

تاريخ الحضارات الأفريقية

المجلد الأول: مقدمات فى تاريخ الروابط الأفريقية العربية

الجزء الأول

المصير الأفريقى العربى المشترك



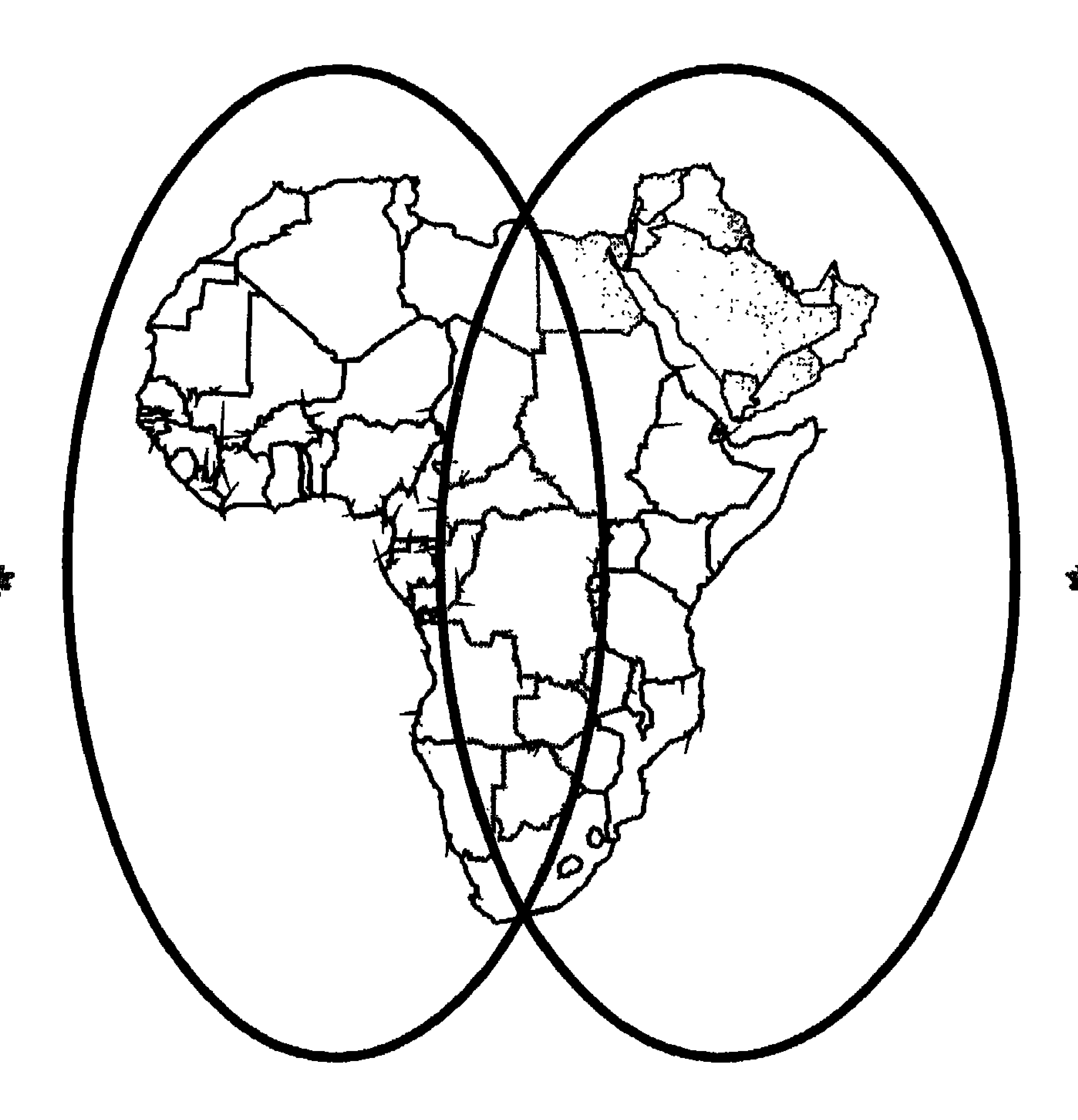


تأليف

عبد الله بن صالح سانا

إهـــــــــداء٢٠٠٨
دار الكتب و الوثائق القومية
القاهرة

أفروريبيا AfroRabia



صورة للإتحادين الأفريقى والعربى المتداخلين والمتعامدين
أفرو ريبيا AfroRabid

تاريـــخ الحضـــارات الأفريقيـــة

(الجـــزء الأول)

المصير الأفريقي العربي المشترك

١- فكرة الغلاف: من المؤلف

٢- تصميم الغلاف: م/ محمد حسن

٣- مراجعة مادة التاريخ والحضارة:

أ.د/ عبد الله عبد الرازق
أستاذ التاريخ الأفريقي بمعهد البحوث
والدراسات الأفريقية بجامعة القاهرة.

٤- المراجعة المنهجية والعلمية:

أ.د/ السيد فليفل
أستاذ التاريخ الأفريقي وعميد معهد البحوث
والدراسات الأفريقية السابق - جامعة القاهرة.

٥- الناشر: المؤلف

٦- المسؤول عن التوزيع: المؤلف

٢٦٥٢٢٧٦٣ - ٠١١٢٣٠١٢٨٧ -
٠١١٥١٨٣٢٠٢ - ٠١٦٩١٢٢٣٦٢
نقوم بتوصيل نسخ الكتاب
E.mail: bensana_1@yahoo.com

الطبعة الأولى

١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨

رقم الإيداع: ٢٠٠٨/١٣٦٦٣

الترقيم الدولي: 977-17-5846-2

الجزء الثاني من المجلد الأول
(مبررات الاتحاد الأفريقي والاتحاد
العربي) تحت الطبع

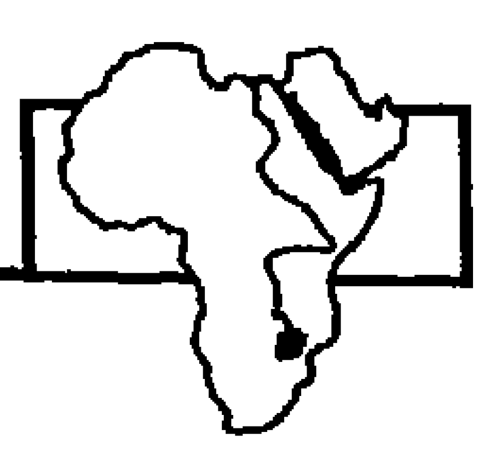
بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ۚ
إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [الحجرات: ١٣].

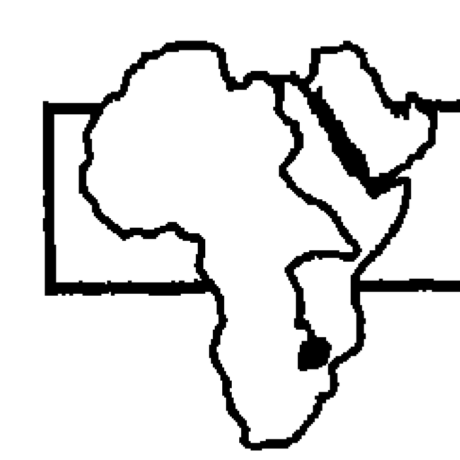
O,mankind! we created you from a single (pair) of a male and a female. And made you into Nations and Tribes, that ye may know each other "not that ye may deispise each other" Verily, The most honoured of you in the sight of God, is "he who is" the most Righteous of you. And God has full knowledge And well acquainted with all things". A Verse from the Holy Qur-an *[49: 13].*


إهداء
* إلى كل مواطن أفريقي مسلم وغير مسلم..
* إلى كل مواطن عربي مسلم وغير مسلم..
* إلى الشعوب الأفريقية والعربية وقبائلها كافة..
* إلى كل الذين يجري في عروقهم دم أفريقيا..
* إلى كل الذين ينبض حب أفريقيا في قلوبهم..
* إلى كل الذين يعملون من أجل أن
تتوحد أفريقيا وتتقدم..
إليهم جميعًا أهدي
هذا الجهد المتواضع
عسى أن ينفعنا الله به
في دنيانا وآخرتنا.

محتويات الجزء الأول
من المجلد الأول



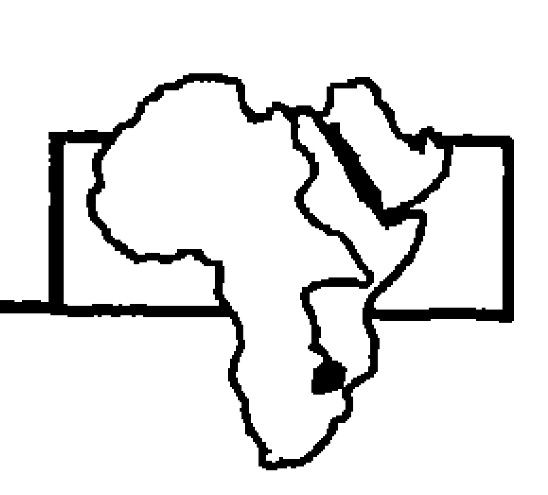
الفصل الثالث



الفصل الرابع

أبناء مسلمي أفريقيا الدارسين

في العالم العربي ومستقبل الروابط الأفريقية العربية ١٢٣

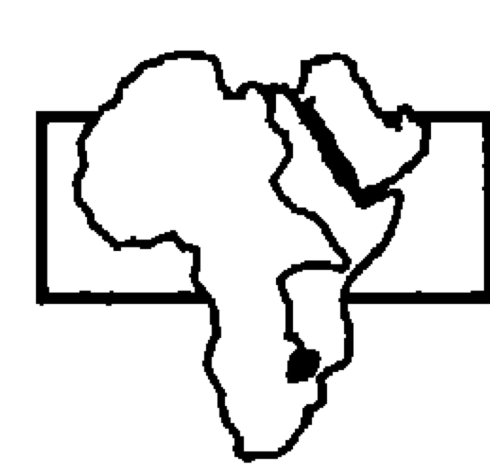


الفصل الخامس

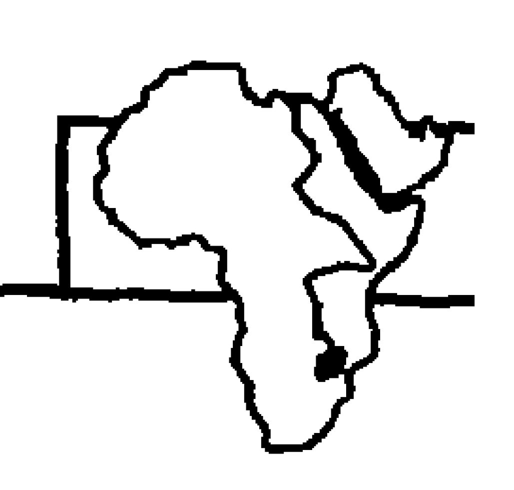
نماذج من إجابات الطلبة الأفارقة في العالم العربي ١٤٥

الفصل السادس

العرب في قلوب مسلمي أفريقيا ١٧٣

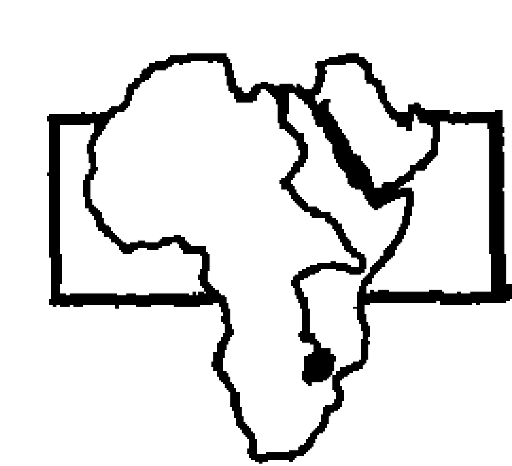


الفصل السابع



ملاحق:

فهرس الخرائط:



فهرس الجداول الإحصائية:

المصادر والمراجع:

تقديم

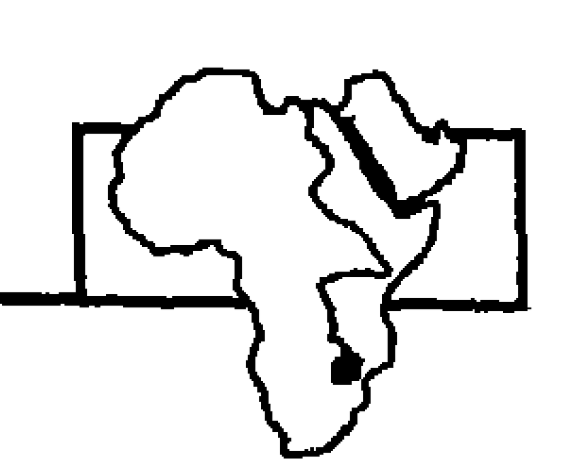
سعدت كثيرًا بقراءة مسودة مخطوطة باليد (قبل الطباعة) لهذا الكتاب المعبر عن الطبيعة الأفريقية الحرة المتمثلة في أبنائها التواقين إلى الخير دائمًا والمحبين للتعاون من أجلها.

ولقد قرأت كل كلمة في صفحاتها التي تضمنت معلومات جيدة وكثيرة عن قارتنا الحبيبة (أفريقيا في سياق تاريخ شعوبها وحضاراتها الراقية المتعاقبة)، والتي أوضحها الأخ الكريم، الأستاذ عبد الله بن صالح سانا بلغته العربية الفصيحة إلى جانب بيانات إحصائية متنوعة مؤيدة، ومراجعها الموثقة والتي ترصد التاريخ الأفريقي والعربي بأسلوب جديد واضح كما تناول العديد من مشكلاتهما المشتركة.

وقد أشار الكاتب في أكثر من موضع إلى ضرورة تكاتف وتعاون العرب المسلمين مع إخوانهم المسلمين الأفارقة، وكيف أن الإسلام راسخ الجذور وعمق مبادئه وقيمه في نفوس معتنقيه في القارة الأفريقية، وليس كما يدعي الغرب الحاقد عليهم بضآلة الإسلام في أفريقيا، وما يقوم به من أمور عدائية لا يقرها صاحب عقيدة أو ديانة سماوية.

إنني أحييٍّ أخي عبد الله صالح على هذا الجهد الطيب الذي بذله في إعداده لهذا الكتاب، وأشكره على اهتمامه بالشئون الأفريقية والعربية بصفة عامة والنواحي الإسلامية بصفة خاصة.

وأرجو أن تتاح لهذا الكتاب القيم الفرصة ليستفيد منه المسلمون العرب والقيادات العربية، وأن يتحقق لمؤلفه ما يرجوه لأفريقيا والعالم العربي والإسلامي من تقدم وتماسك وازدهار في جميع مجالات الحياة لاسيما في عصرنا



الحاضر، والذي تبرز فيه -من وقت لآخر- مظاهر عدم الارتياح من بعض الدول الغربية نحو الشعوب الأفريقية والعربية وقادها.

أرجو للمؤلف دوام التوفيق وللوطن الأفريقي والعربي والإسلامي والعالم الثالث مزيداً من الرفعة والتقدم وإلى الأمام دائماً والله ولي التوفيق.

د/ عرفات عبد العزيز سليمان

أستاذ نظم التعليم العالي في العالم الإسلامي

الأستاذ المشارك بكلية التربية

في جامعات عين شمس وقناة السويس في مصر

وأم القرى بمكة المكرمة بالسعودية

٢٠٠٦

الشكر والتقدير والاعتراف بالجميل

ملحوظة: ربما يلاحظ القارئ في هذا القسم، ذكر عدد كبير من الشخصيات والأسر، وحتى البقال الذي يتعامل معه الباحث في الحي الذي يقيم فيه، قد ذكره وشكر له، فأرجو ألاّ يكون موضع استغراب القارئ، ذلك أن من أهم الموضوعات التي يعالجها الكتاب، قياس أثر معاملة الشعوب العربية لأبناء مسلمي أفريقيا أثناء فترة إقامتهم في البلاد العربية للدراسة في جامعاتها ومعاهدها، إيجاباً أو سلبًا، والذي سيجده القارئ في ثنايا هذا الجزء.

ولو أن الكثيرين من المؤلفين لا يذكرون عددًا كبيرًا من الشخصيات أو الأسر ذوي الأثر الإيجابي في مسيرة أعمالهم، ويكتفون بذكر البارزين منهم فقط، إلا إنني أسمح لنفسي بمجاوزة هذه القاعدة، قصدًا مني في دعوتي إلى التلاحم الاجتماعي الشعبي بين الشعوب العربية والأفريقية وتفاعلهما، من أجل تنمية حس الانتماء إلى بعضهما البعض للاتجاه معًا نحو بناء كيان أفريقي عربي جديد قائم على وحدة الفكر والترابط الأخوي والثقافي والاجتماعي والاقتصادي.

ولن يتحقق كل ذلك إلا بالحب المقرون بالاحترام وحسن المعاملة والتواصي بالخير والصبر فكان لابد من أن أبادر بذكر هذا العدد الكبير ممَّن أدين لهم بالفضل والاعتراف بالجميل.

إنني أنتهز، بحمد الله وعونه، مناسبة نشري لهذا الجزء من سلسلة (بناة الحضارات الأفريقية الذي وفقني الله سبحانه وتعالى في إنجازه، كي أقدم خالص شكري وتقديري وامتناني، ليس للذين أسهموا في إنجاز هذا المشروع فحسب، بل لجميع الجهات والشخصيات الذين أسهموا في تشكيل شخصيتي، حتى استطعت أن أنجز شيئًا متواضعاً ذا بال أحسبه مفيدًا للناس في دنياهم وآخرتهم.

لذا، أقدم شكري وامتناني، وخالص دعائي أولاً: لوالديّ اللذين ربياني

ونشأني مسلمًا «رحم الله والدي» وحفظ والدتي الغالية، ثم لمعلمي الشيخ قاسم أبو مختار - حفظه الله - أول من بدء بتعليمي في صباي «ألفٌ باءٌ» والقرآن الكريم، في كتابه بمدينة «تاكوراس *Takurwasi*» مسقط رأسي بجنوب غانا. وللشيخ محمود ذونغا، أبو إبراهيم - رحمه الله - الذي علمني القرآن كله في كُتّابه بقرية «زنغمة» موطن أجدادي «ببوركينافاسو». ولأستاذي الكبير الشيخ عمر هارون ويدروغو أبو مسعود، صاحب المدارس الإسلامية الشعبية في كل من غانا وكوت ديفوار، الذي علمني اللغة العربية والعلوم الإسلامية في مدارسه -رحمه الله-. فهؤلاء الذين أصقلوا شخصيتي الأولى، فدعائي لهم ما حييت إن شاء الله. ثم للشيخ إبراهيم باشا والد أبي الفردوس - حفظه الله - صاحب المدارس النورية العربية والانجليزية *Nuriya Arabic& English Islamic schools.* بشمال غانا، والذي وافق على ترشيحي على منحة أزهرية واردة إلى مدرسته، والتي أتيت بها إلى مصر لتلقي التعليم الجامعي بالأزهر الشريف.

الفضل:

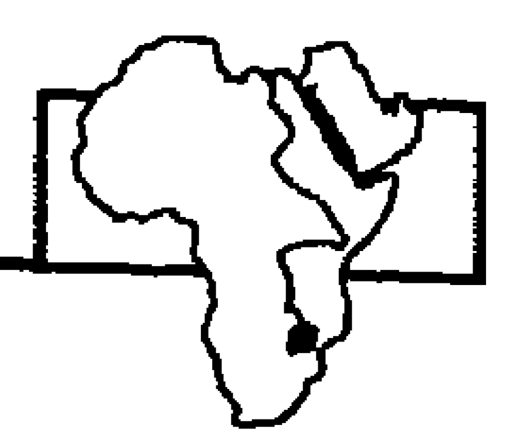
أود أن أذكر بعد فضل الله سبحانه وتعالى، فضل جمهورية مصر العربية، حكومتها وشعبها الكريم، والتي أتاحت لي وللآلاف غيري من أبناء مسلمي أفريقيا فرص الإقامة في ديار الكنانة لتلقي العلم والمعرفة في معاهدها وجامعاتها. وأما أساتذتي الذين أوسعوني بعلمهم وصدورهم، فلا أحصي عددهم، ولكن يحضرني ذكر بعضهم، فأشكر الأستاذ الدكتور عبد القادر محمود - عميد كلية التربية بجامعة الأزهر -رحمه الله- الذي كان أول من شجعني على الاتجاه نحو الدراسة والبحث العلمي والكتابة منذ كنت في السنة الأولى بكلية التربية - وأشكر الأستاذ الدكتور عبد الشافي محمد عبد اللطيف، أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية بجامعة الأزهر، الذي حبّب إليّ دراسة التاريخ والحضارة الإسلامية والسيرة النبوية العطرة بأسلوب محاضراته الفريد، وأشكر أستاذتين عظيمتين:

الأستاذة الدكتورة/ أمينة حسن – رئيسة قسم أصول التربية بكلية البنات جامعة عين شمس سابقاً– التي شجعتني على الالتحاق بالدراسات العليا بالكلية وذللت كل العقبات التي اعترضت سبيل دراستي حتى نلت دبلوم الدراسات العليا في التخطيط التربوي وسيكولوجية الطفولة. والأستاذة الدكتورة/ رجاء سليم – المستشارة الثقافية المصرية بواشنطن سابقًا والمدير العام لشئون أنشطة الطلاب الوافدين سابقًا بمصر– والمدير العام للإدارة العامة للبحوث الثقافية بوزارة التعليم العالي حاليًا – التي شملتني برعايتها وتوجيهاتها القيمة التي لا تقدر بثمن.

ولا أنسى الدكتور/ نصر عارف –الأستاذ بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية–، الذي كان أخًا وصديقًا مخلصًا ومشجعًا لي في البحث والدراسة وعمل على طبع أول كتاب لي في مصر في عام (١٩٩١م) والذي وزع مجانًا على أبناء العالم الإسلامي الدارسين في الجامعات والمعاهد المصرية.

وأما الأسر المصرية والشخصيات التي عاملتني كأحد أفرادها بالتمام، فكفلتني بالرعاية والعطف وأحاطتني بالحب والاحترام الفائقين، فلن أفوت هذه الفرصة السانحة لي إلا وأذكرهم واحدًا واحدًا في كتابي هذا، عرفانًا لهم بالجميل ما استطعت، ومن لم استطع ذكرهم فليعلموا أنني أدعو لهم بالخير، لأنه بفضل الله سبحانه وتعالى ثم بفضل أفرادها استطعت أن أنهي تعليمي الجامعي ثم الدراسات العليا، واستطعت بعدها أن أنجز شيئًا مثل هذا الكتاب المتواضع.

أولاً: أخص بالذكر في المقام الأول: السيد الوالد والصديق الحميم والعزيز المرحوم المهندس: أحمد علي كمال، وزير الري المصري الأسبق – رحمه الله وأرضاه – وجزاه عن طلاب العلم خير الجزاء، وأعظم أجره يوم القيامة، فهذا الذي احتضنني كأحد أبنائه منذ عرفني عام ١٩٩٠م، وجعل منزله ملجأ لي أدخل عليه متى أشاء وأزوره متى شئت، لكن شأنه معي هو شأنه مع أي طالب يزوره، حيث يجالسه ويسأله عن حاله ويناقشه في أحوال دراسته وإقامته وعن



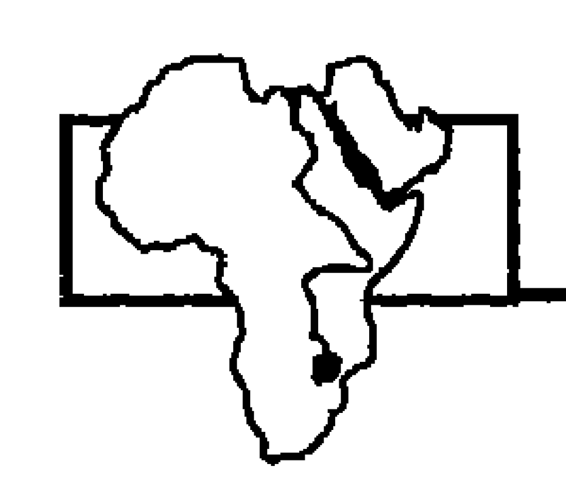
شئون الدعوة وأحوال المسلمين في بلده، ومن ثم يلبي حاجات من يقصده منهم من معونات شهرية بالإضافة إلى معونات طارئة لمن احتاج إلى شراء الكتب الجامعية أو لمن عجز عن سداد إيجار مسكنه، ولمن احتاج إلى تذكرة السفر إلى بلده في حالات طارئة فيشتريها له أو يساهم في شرائها بالمشاركة مع نجله المهندس/ محمد بركة، هذا فضلاً عن اهتمام سيادته بقضايا المسلمين في العالم، وله آراء سديدة لحل كثير من مشكلات الدعوة وتعليم أبناء العالم الإسلامي، وسيجد القارئ مواقفه وأعماله الخيرية في نهاية الفصل السادس من هذا الجزء.

وأما بقية أفراد أسرته الذين حملوا راية الخير من بعده فهم نجله المهندس/ السيد محمد بركة، رئيس مجلس إدارة شركة المهندس، والأستاذة الدكتورة/ سناء، والأستاذة إيناس، والأستاذة الهدايات الذين جعلوا فعل الخير مطيتهم – وأخص بالشكر والامتنان لأسرة الأستاذ الدكتور محمد المليجي رئيس قسم أمراض النساء والولادة بمستشفى القصر العيني ونسيب أسرة الوزير وزوج الدكتورة سناء وابنهما المهندس/ أحمد محمد المليجي اللذين يحيطانني اليوم برعايتهم الكريمة، وأدين لهاتين الأسرتين بالاعتراف بالجميل ولن أوفيهم حقهم أبدًا إلا بالدعاء الدائم لهم ما حييت.

أما الشخصية المصرية الثانية الذي لن أنسى أن أوجه له الشكر الخاص دائمًا مقترن بالدعاء هو الأستاذ/ محمد كامل المحامي الكبير الذي سدد لي مصروف سنة دراسية كاملة في إحدى سنوات دراستي بالدراسات العليا رغم عدم تلاقي وجهينا أبدًا.

لذا فإني أقرن الشكر له بالشكر الجزيل لأخي وصديقي وزميلي بالدراسات العليا الأستاذ/ أمين حسني الذي دل سيادته إلى مشكلة مصروفات دراستي لتلك السنة ١٩٩٣ ، فالدال إلى الخير كفاعله.

ويحضرني في هذه اللحظة أيضًا ذكر أسرة أخي وصديقي وزميلي أيام



الدراسات العليا الأستاذ/ حسن الداعور الذي أقامت لي أسرته حفلة تكريم خاصة بمناسبة نجاحي في الامتحان النهائي للدراسات العليا وحصولي على دبلوم الدراسات العليا عام ١٩٩٣م بمنزل الأسرة في ميدان الجيش بالعباسية، فضلاً عن يد العون التي قدمتها لي في فترات مختلفة، ولن أنسى فضلهم أبدًا فأسأل الله تعالى للسيدة المكرمة والدة حسن ولجميع أفراد هذه الأسرة بالصحة والسلامة والسعادة في الدارين.

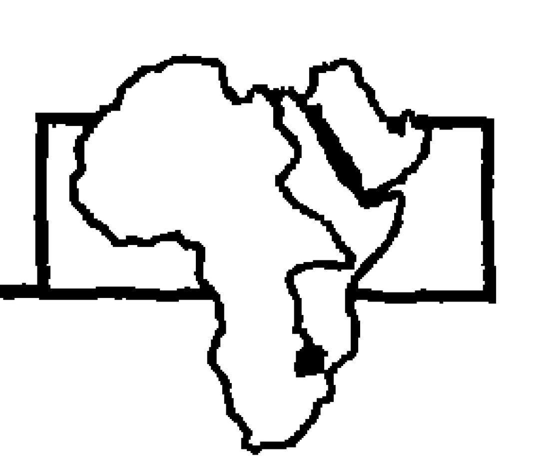
ولا أنسى أن أتوجه بالشكر الجزيل أيضًا للحاج صادق قطب (وهو صادقٌ حقًّا) صاحب شركة القطب للمنسوجات الذي كان عونًا لي ولغيري من الإخوة الطلبة الأفارقة في مواقف كثيرة.

ولكن هذا الشخص الفريد الذي ربطت بيننا صداقة حميمة في الأرض المقدسة، فكانت صداقتنا مقدسة، وهو الأخ والصديق الحميم الأستاذ/ سامي شوقي إذا تقابلنا لأول مرة بمكة المكرمة عام ١٩٨٦م فكانت صداقتنا صداقة متميزة، أشعرني دائمًا بأنني لست مجرد صديق بل أخ له ولا يتأخر عني في شيء أطلبه منه بارك الله له ولولديه ياسمين وخالد.

إن خير الجيران لإبراهيم فهمي، ومحمود محمد، وعلي عربان سنان، والعميد عبد الستار محمد سلامة، والأخوين أشرف وعصام وأبيهما أصحاب بقالة التوحيد أشكر لهم جميعًا حسن معاملتهم الفائقة لي ولأولادي خير جيران الذين أنسوني الغربة حيث أقيم بالمطرية في مصر.

وأخص بالشكر أيضاً أسرة المرحوم أحمد عبد اللطيف مراد وحرمه صباح مرجان وأختها الأستاذة الفاضلة نادية مرجان، عضو جمعية مدينة نصر لخدمات المجتمع.

وهل أنسى الأخ الدكتور/ بشير الدرباك، الباحث الليبي الذي جعل أبناء أفريقيا الدارسين في الجامعات الإسلامية والعربية موضع اهتمامه يشجعهم



ويستنفر هممهم كي يجدّوا في دراساتهم وإنجاز أعمال تفيد أفريقيا والأمة الإسلامية، لذا كان يشجعني على الإسراع بإتمام هذا العمل فجزاه الله عنا خير الجزاء.

وما أفضل من أن يكون للمرء شيخًا عالمًا بالقرآن يصاحبه ويتعلم على يديه قراءة صحيحة لكتاب الله كما أنزل، ويتخلق بأخلاقه ويهتدي بهديه، ويتعلم على يده الصدق والأمانة وحب الله وحب رسوله وحب الناس واحترامهم وسلوك المسلم القويم.

ألا إن شيخي وصاحبي في ذلك كله، هو الشيخ/ محمد حمدان أبو عبد الرحمن. قدوة في الأدب مع الله وكتابه ورسوله، وقدوة في الخير قدوة في الحب والاحترام للجميع، حفظه الله وأعز به الإسلام.

ولكني أختتم هذه الشخصيات بالأستاذ الدكتور/ عرفات عبد العزيز سليمان أستاذ أصول التربية وباحث في التربية الإسلامية والنظم التعليمية الإسلامية في كل من جامعة عين شمس وجامعة أم القرى وجامعة قناة السويس، الذي رغم انشغاله بالإشراف على الرسائل العلمية في مختلف الجامعات المصرية، إلا أنه اقتطع من وقته الغالي كي يهتم بتصحيح أخطائي اللغوية والنحوية، والذي تفضل بتقديم هذا الجزء بشكل راقٍ وموجز فجزاه الله عني وعن كل من قرأ هذا الكتاب خير الجزاء.

وجزى الله كل هذه الأسر والشخصيات خير جزاء الدنيا والآخرة، وجعل أولادها من الصالحين ومن ذوي العلم والدين والغنى والخلق القويم وجعل بناتهم ذوات علم ودين وخلق وجمال ومال، ونفع بهم جميعًا الأمة الإسلامية والبشرية جمعاء. آمين.

المؤلف.

عبد الله بن ص[illegible] سانا

المدخل

بسم الله الرحمن الرحيم

حمدًا لمن علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم، وصلاة وسلامًا على سيدنا محمد رسول الله النبي الأمي، خاتم الأنبياء والمرسلين المبعوث هاديًا ومربيًا ومعلمًا ورحمة للعالمين، وعلى آله وصحابته الكرام الهداة، والتابعين لهم حملة شعلة الهداية والحضارة إلى العالمين، ومن والاهم إلى يوم الدين.

أما بعد:

فهذا المجلد(*) برمته مقدمة لموضوع «تاريخ الروابط الأفريقية العربية في سلسلة بناة الحضارات الأفريقية»، ومقدمة لا تحتاج إلى مقدمة(**) ولكن لابد من مدخل يستطيع القارئ الولوج من خلاله إلى مضامين صفحات هذا المجلد لكي يعي ويستوعب مقاصد المؤلف وراء مجلدات هذه الدراسة، من تقديم لمعلومات، وطرح لأفكار، ومناقشة لموضوعات، وشرح لأقوال ومواقف، وتحليل لاتجاهات، وتوضيح لغوامض، وتنبيه إلى أخطار، ودعوة إلى الوحدة وإرشاد إلى الخير، ومعالجة لقضايا مصيرية، بغية الوصول إلى حلول وأهداف وغايات سامية.

فعندما قمت بأول دراسة لي في قضايا المسلمين في أقاليم جنوب الصحراء

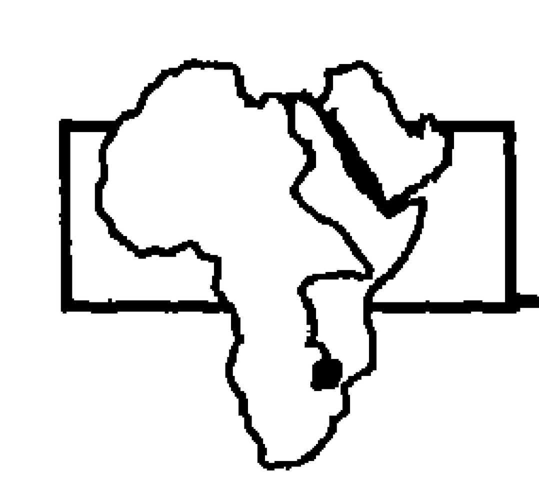
(*) هذا الكتاب، هو كتاب سلسلة بناة الحضارات الأفريقية، كما هو موضح في غلاف هذا الجزء، يتكون من أربع مجلدات، والمجلد الأول بعنوان: مقدمات في تاريخ الروابط الأفريقية والعربية وينقسم هذا المجلد الأول إلى أربعة أجزاء، حسب موضوعاته، راجع الصفحات ٢٠-٢٥ من هذا الجزء.

(**) هكذا استهل الأستاذ الدكتور/ حسين مؤنس كتابه: الحضارة. (الكويت: عالم المعرفة، العدد ٢٣٧، جمادي الأول ١٩١٩هـ- سبتمبر ١٩٩٨م)، ص٩.

الأفريقية في مطلع التسعينيات التي طبعت ونشرت في عام ١٩٩١م في القاهرة بعنوان: «مدخل لقضايا المسلمين في غرب أفريقيا، دراسة في الإنسان والمجتمع»[1] كان الدافع لي للقيام بالبحث فيها، هو أوضاع المسلمين التعليمية والمعرفية والثقافية والاقتصادية في دول جنوب الصحراء الأفريقية، وكذلك أوضاع النشئ والشباب الأفريقي المسلم من تلك الدول الذين يتغربون عن أوطانهم إلى البلاد العربية لتلقي العلم والمعرفة في جامعاتها الإسلامية والعربية، والظروف الأكاديمية والمعيشية والنفسية التي يعيشونها في البلاد العربية أثناء فترة دراستهم، ومن بعض معاملات غير لائقة التي يلاقونها من جانب بعض العرب، بقصد أو بغيره، أضف إلى ذلك تذمر غالبية هؤلاء الشباب المسلم من نطاق التعليم الضيق والسطحي الذي يضعهم العرب فيه. وعدم مراعاة العرب لاحتياجات المجتمعات الأفريقية الإسلامية بالدول الأفريقية؛ **الأمر الذي دفع الكثيرين من مسلمي أفريقيا إلى اعتبار التعليم العربي والسفر إلى البلاد العربية للتعليم كشجرة بلا ثمار، وأنه رغم المشاق التي يكابدها أبناء مسلمي أفريقيا في هذا التعليم إلا أنه يبقى عملاً غير مثمر. ولا يحقق لهم أدنى مؤهلات الحياة في العصر الحديث، بل نصيبهم الفقر الاقتصادي والفكري والثقافي للمجتمعات الإسلامية في الدول الأفريقية في أقاليم جنوب الصحراء، لأن أبناء المسلمين الذين كانت تأمل تلك المجتمعات أن يسافروا إلى البلاد العربية للتعليم ويعودوا كي يعملوا**

---

(1) انظر: عبد الله صالح سانا: مدخل لقضايا المسلمين في غرب أفريقيا، دراسة في الإنسان والمجتمع، (القاهرة: دار القارئ العربي، ١٩٩١م)، ومودع بمكتبة المعهد العالمي للفكر الإسلامي ٢٦ب - شارع الجزيرة الوسطى بالزمالك - القاهرة. ج.م.ع.



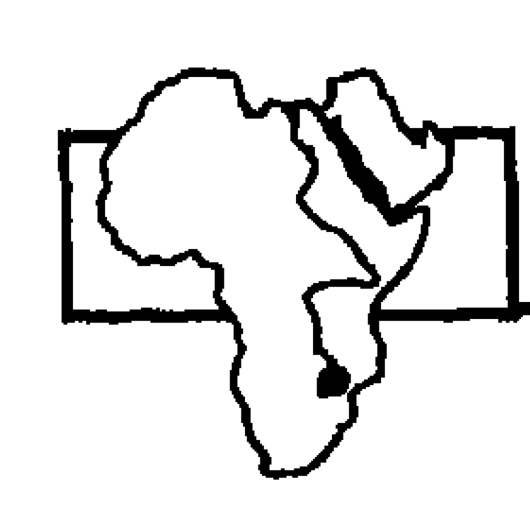
على النهوض بها أو يتبوّؤا أمكنة سياسية واقتصادية تمكنهم من ذلك، وحتى العلوم الشرعية والعربية التي تعلموها يعودون ولا يحملون مما تعلموا سوى إجازاتهم الجامعية الخالية من الثقافة والفكر عاجزين عن تقديم أفكار تقدمية ومشاريع اقتصادية وثقافية وصحية لخدمة مجتمعاتهم الإسلامية. ويعيش ٩٩% منهم بطالة مستديمة(*) عالة على ذويهم. إذ لم يظهر من بينهم مفكرون أو كتاب أو مؤلفون ومثقفون، ولم يوجد أطباء ولا صيادلة ولا مهندسون لا فنيون أو اقتصاديون إلا نادراً، وقلما يوجد من بينهم من يصلح أن توظفه حكومة بلده، والأسوء من ذلك أن القطاعات الخاصة أيضًا لا تحتاج إليهم لأنهم غير مؤهلين للعمل بها، وغالباً ما يكونون موضع سخرية غير المسلمين أو من أقرانهم الذين تعلموا في الجامعات الغربية في تلك البلاد، ولا يوجد من بين خريجي الجامعات العربية والإسلامية أساتذة في جامعات بلادهم، ويندر وجود دبلوماسيين أو مستشارين في ملحقيات سفارات

(*) وهذا ما أكدته رابطة خريجي الجامعات والمعاهد العربية في السنغال، حيث أعلن أعضاؤها في إحدى مؤتمرات الرابطة عام ١٩٩٢م. أن السفر إلى الدول العربية للتعليم في جامعاتها والحصول على الليسانس يقود إلى الشارع. وكانت الجريدة المسلمون حاضرة في هذا المؤتمر والتي قامت بتحقيق للوقوف على حقيقة هذا الموضوع الخطير في حياة خريج الجامعات الإسلامية والعربية من أبناء أفريقيا في بلد يغلب فيها المسلمون بنسبة ٩٨% من السكان وتغلب فيها الثقافة الإسلامية والعربية ولو أنها غير رسمية ورغم ذلك فإنها تنافس بقوة الثقافة الفرنسية الرسمية في البلاد. يواجه أبناؤها من خريجي الجامعات الإسلامية والعربية مثل هذه البطالة فكيف يكون حال أبناء الدول الأفريقية أقل الإسلام شأنًا فيها؟ لقد خرجت جريدة المسلمون التي تصدر عن رابطة العالم الإسلامي بتقرير شامل عن هذا الموضوع. انظر: تعلم العربية والحصول على الليسانس يقود إلى الشارع. في جريدة المسلمون، العدد ٤٠١، (مكة المكرمة، ٢٧ ربيع الآخر ١٤١٣هـ الموافق ٩ أكتوبر ١٩٩٢م)، ص١.

بلادهم في الخارج أو سفراء، وحتى في مجال الدعوة والأعمال الإسلامية فقد كان الفشل نصيبهم في معظم الحالات.

ولقد شكلت هذه الأمور كلها قضية خطيرة جداً استوجبت الدراسة والبحث والكتابة فيها للتنبيه إليها بكل صدق وإخلاص وموضوعية من أجل إيجاد حلول جزئية أو كلية لها، لأن تلك الأوضاع إذا ظلت كامنة و لم تظهر بدراسات وبحوث، و لم توجد لها الحلول الناجعة؛ يوشك أن تصاب العلاقات والروابط بين الشعوب الأفريقية والشعوب العربية من الكراهية والفصام، ويرى الأفريقي المسلم العرب في بلده في الدول الأفريقية، فينظر إليهم بنظرة كره وغضب فينضم مسلمو أفريقيا إلى المتهمين للعرب بالعنصرية والأنانية .. الخ فتوهن المسلمون وتوهن الدعوة الإسلامية وتوهن العلاقات.

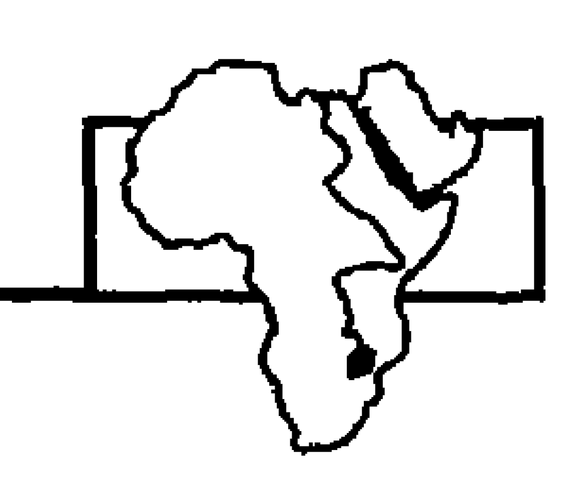
ومن جانب آخر فمن أجل أن يصبح التعليم العربي والإسلامي مثمرًا في البلاد الأفريقية بأقاليم جنوب الصحراء، وأن يصبح المتعلمون والمثقفون بالثقافة الإسلامية والعربية من أبناء مسلمي أفريقيا مفكرين وكتاب ومؤلفين وباحثين في مختلف مجالات الحياة العصرية قادرين على توليد أفكار تقدمية وقادرين على طرح مشروعات فكرية وعلمية وثقافية واقتصادية وعملية وأن يجد كل منهم من مشروعات مثمرة يشغل به حياته ويثري مجتمعه. قادرين على المشاركة الفعالة في إدارة عجلة التقدم في بلادهم، ويكون لهم ظهور في كل ميادين الحياة العملية العصرية المثمرة في أوطانهم؛ فمن أجل تحقيق هذه الأهداف كلها في حياة الشباب الأفريقي المسلم في أفريقيا في القرن الحادي والعشرين، قمت بدراسة ثانية ضخمة، تعالج هذه الجوانب الحيوية، قدمت فيها نماذج لمشروعات حضارية التي يمكن أن ينطلق بها مسلمو أفريقيا المثقفون بالثقافة الإسلامية والعربية للمشاركة في تنمية مجتمعاتهم وبلادهم. وهي بعنوان: «**قضايا مسلمي**



أفريقيا المعاصرة في دول جنوب الصحراء: دراسة في تنمية الفرد والمجتمع» ويقع هذا الكتاب في ٧٠٠ صفحة و لم يطبع بعد.

وأما هذه الدراسة في موضوع بناة الحضارات الأفريقية: تاريخ الروابط الأفريقية والعربية، فإن الظروف والمتغيرات المحلية والإقليمية والدولية القاسية والخطيرة التي تعصف بالأمتين العظيمتين "الأمة الأفريقية والأمة العربية" وتعيق مسيرهما نحو التقدم والتي باتت تهدد مستقبلهما، وتشتت وحدهما، وتعزز فرقتهما، وتوهن عزيمتهما في النهضة المشتركة، هي التي شغلت بالي ودفعتني بشدة إلى القيام بهذه الدراسة الثالثة من أجل المساهمة بأفكار أراها وأحسبها بناءة في عمليات توجيه هذا المصير المشترك بينهما نحو بناء مستقبل أفريقي عربي أفضل.

فكرة هذه الدراسة: نبعت فكرة هذه الدراسة من تساؤلات حول أنواع العلاقات والصلات الإنسانية التي يمكن أن تجمع البشرية وتوحدها في بوتقة العمل الحضاري المشترك حتى لو اختلفت ألوانهم وألسنتهم ومآربهم، ولقد مرت بذهن الباحث نماذج تجمعات وتكتلات في العالم: مثل الولايات المتحدة الأمريكية، أوروبا والصين والهند.. الخ وإلى تساؤلات حول العلاقات الأفريقية العربية ما إذا كان لدى الأفارقة والعرب من العوامل الإيجابية المشتركة كفيلة بنجاح تجمعهما في وحدة تكاملية رغم اختلاف اللون واللسان بينهما، ولقد وجد الباحث إجابات إدراكية لمضمون التاريخ والوعي بدوره الفعال في معالجة إشكاليات التضامن والوحدة، إذن الإجابة في التاريخ، نعم، التاريخ والتاريخ، وهي إذا كان الاتصال بين العرب والأفارقة الذي بدأ في العصور ما قبل الإسلام ثم تعززت تلك الصلات بينهما بعد الإسلام إلى اليوم قد نجم عنها قيام حضارات راقية في كل أنحاء القارة الأفريقية، ازدهرت فيها كل عناصر الحضارة



من علوم وثقافة وأدب واقتصاد وتجارة، ونشأت مدن فائقة التخطيط بنماذج عمرانية حضارية ذات ملامح أفريقية وعربية، كما ترتب على تلك الاتصالات الامتزاج العرقي الاجتماعي بالمصاهرة والتزاوج بين العرب والأفارقة نتج عنها أجناس ذات أصول أفريقية عربية، كما نتج عنها لغات وثقافات مشتركة بينهما، آثارها واضحة المعالم في القارة الأفريقية اليوم حيث عاش العرب والأفارقة مع بعضهما البعض بسلام وبشكل إيجابي، وهذا لا يعني عدم حدوث سلبيات خلال تلك المسيرة الطويلة ولكن من المؤكد أن الإيجابيات الحضارية بينهما أكثر من السلبيات، وأن ما يجمع بين العرب والأفارقة اليوم أكثر بكثير مما يفرق بينهما، ولم يفترقا من قبل إلا بعد مجيء الاستعمار، ولكن يبقى حقيقة راسخة لا يمكن محوها على الإطلاق، رغم السلبيات التي حاول الغرب إظهارها بين العرب والأفارقة، أنّهما أصبحا مواطني القارة الأفريقية الأساسيين اليوم، إذا كانت هذه هي ثمرة تلك الاتصالات القديمة بينهما، إذن فإنهما أحوج إلى تجديد تلك الصلات التاريخية الحضارية القديمة وهما يتجهان **إلى بناء وحدة القارة الأفريقية التكاملية السياسية والاقتصادية؛ التكتلات التي أصبحت السمة العالمية العصرية وتوجهاتها، ولكي يحدث هذا فلابد أن يعرف الأفارقة والعرب التاريخ المشترك بينهما بالضرورة، لإزالة جميع المفاهيم الخاطئة والمشوهة من العلاقات الأفريقية والعربية التي غُرست في الذهن الأفريقي والعربي بقصد أو بدون قصد.**

فالكثيرون من مؤرخي أفريقيا وعلمائها ومفكريها "من الأفارقة والعرب" على قناعة كبيرة بجدوى التاريخ في تحقيق المشروع الحضاري الأفريقي العربي المشترك، وفي معالجة الكثير من الشكوك وسوء الفهم بينهما، وأن إعداد الترياق التاريخي لمعالجة تلك القضايا المعنية يحتاج إلى نهجه مبتكرة لدراسة التاريخ

الأفريقي العربي وقراءها، بعيداً عن السرد المجرد، بل دراسة تحليلية لجميع العناصر المكونة لهذا التاريخ المشترك.

فمن هنا جاءت تسمية هذه الدراسة بسلسلة بناة الحضارات الأفريقية تاريخ الروابط الأفريقية والعربية. ويتناول فيها الباحث، بدراسة تحليلية مستفيضة لأهم الثوابت لهذه الروابط الطبيعية الراسخة التي نشأت بين الأمتين منذ القدم. وهذه الثوابت هي:

١- وحدة الموقع الجغرافي، وليس التجاور الجغرافي.

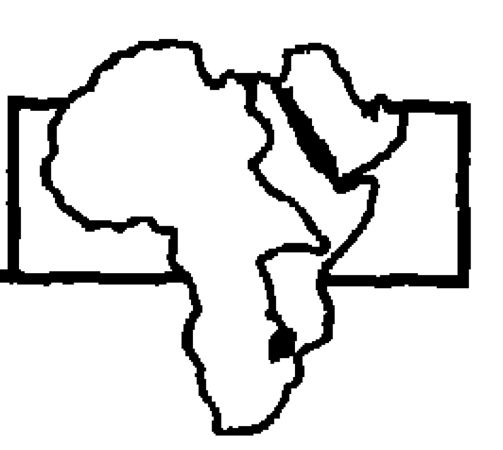
٢- الامتزاج العرقي وليس العلاقات الاجتماعية.

٣- رباط العقيدة وليس الصلات الدينية.

٤- التاريخ المشترك، وليس تشابه التاريخ.

٥- المواطنة المشتركة وليست الجالية.

ويستخدم المؤلف في دراسته التحليلية لهذه الثوابت الخمسة، متغيرات فكرية وثقافية ونفسية وسياسية واقتصادية لرصد اتجاهات تلك الروابط الإيجابية في الوقت الراهن لتعزيزها. ورصد السلبيات فيها لإزالتها بأسلوب المكاشفة الموضوعية "الشفافية" المباشرة في ظل المسيرة الأفريقية العربية تحت مظلة الاتحاد الأفريقي الذي يشوبه عدم اليقين في الوقت الراهن، للوصول إلى قناعة أفريقية عربية، لا تشوبها شائبة بأنهما "بعد مرور ألفي سنة من التواصل، أصبحا كياناً واحدًا، لا يمكن لأي منهما إنكاره، ولا يجدان بدا من أن يعملا معاً لتنمية الحس الانتمائي لبعضهما البعض وأن يتوحدا ويتكاتفا في بناء حضارة أفريقية عربية مشتركة جديدة تكون خيراً لهما وللعالم أجمع. هذه هي مهمة هذه الدراسة، لذلك فإن المؤلف يتبع خطة مبتكرة لتحقيق الغرض من هذه الدراسة فيما يلي:-



أولاً: الاتصالات العربية الأفريقية قبل الإسلام، وفيها تتم دراسة ما يلي:-

- صور وأصول الشعوب والمجتمعات الأفريقية وهجراتها في الفترة من ألفي عام قبل الإسلام.
- صور وأصول الشعوب والمجتمعات العربية القديمة وهجراتها.
- كيف تمت الاتصالات بينهما والنتائج المترتبة عليها.

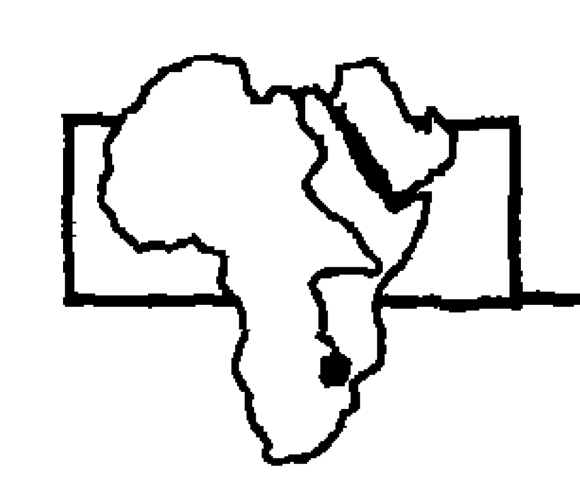
ثانيًا: الاتصالات العربية الأفريقية بعد الإسلام، وفيها تتم دراسة ما يلي:

- كيف تمت هذه الاتصالات
- محاور الاتصالات بينهما.
- النتائج التي ترتبت على هذه الاتصالات في أفريقيا على مدى ١٠٠٠ سنة من ظهور الإسلام.

دراسة تفصيلية لحضارات أفريقية وسمات كل حضارة.

- بناة كل حضارة * أصول شعبها * ملوكها * مكوناتها
- كيف بنوا حضاراتهم * مدى رقيها * اتصالاتها الخارجية.
- وعوامل محلية وخارجية لقيامها (وتشمل جميع إمبراطوريات وممالك في كل أنحاء القارة).
- وتمتد فترة هذه الدراسة أكثر من ألف عام في كل أنحاء القارة الأفريقية.

كل هذا تكشف ماذا حدث في الأمتين فيما يتصل بأفريقيا قبل مجيء الأوروبي إلى أفريقيا ثم بعد ذلك:



ثالثًا: الاتصال الغربي «الأوروبي» بأفريقيا

كيف تم هذا الاتصال * النتائج المترتبة عليها * في الفترة من ١٤٠٠م - ١٩٠٠م — تجارة الرق الغربي والعربي بأفريقيا- النقاش العالمي والأفريقي والعربي المثار حول هذه التجارة.

المقارنة بين الاتصال العربي والأوروبي بأفريقيا والنتائج المترتبة بين كل اتصال.

رابعًا: الاستعمار الغربي لأفريقيا والعالم العربي وفيه تتم دراسة ما يلي:

- كيف سيطر الأوربيون على كل من أفريقيا والعالم العربي.
- نماذج من المقاومات الأفريقية والعربية الأولى للزحف الأوروبي.
- أشكال النضال الأفريقي العربي من الاستقلال في الفترة من ١٩٢٠- ١٩٦٠م.

خامسًا: العلاقات الأفريقية العربية في الفترة من ١٩٦٠-٢٠٠٠م وحتى الآن:

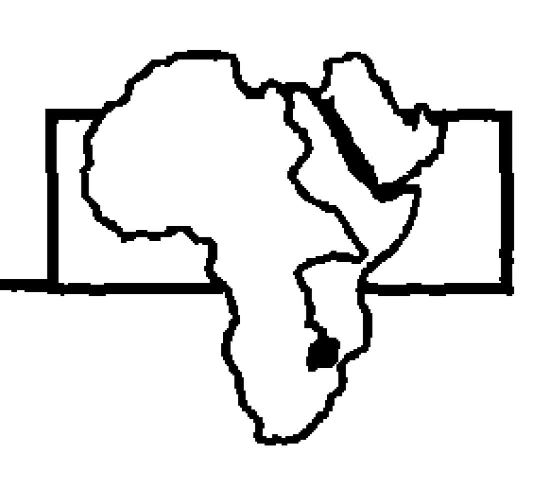
* نوعيتها * متغيرات مؤثرة في تلك العلاقات * وسائل التفعيل العلاقات في تلك الفترة المعاصرة.

سادسًا: صورة الدول والمجتمعات الأفريقية في أقاليم جنوب الصحراء:

- الدول الأفريقية الحديثة * الأسس السياسية والثقافية والاقتصادية.
- أوضاع المسلمين في الدول الأفريقية الحديثة * أوضاع غير المسلمين
- المقارنة بين الوضعين * توجهات المسلمين * توجهات غير المسلمين.
- كل هذا في الفترة الحديثة من ١٩٦٠-٢٠٠٠م

الحركات الأفريقية التحررية والبناء الحضاري

- **الحركة الأفريقية التحررية الأولى:** في القرن العشرين، النضال



الأفريقي من أجل الاستقلال، وقيام منظمة الوحدة الأفريقية.

- **الحركة الأفريقية التحررية الثانية:** في بناء حضارة أفريقية جديدة، المتمثلة في (الاتحاد الأفريقي) الذي يشترك في بنائه وتنميته كل من الأفارقة والعرب المسلمين وغير المسلمين.

* زعماء الفكر الأفريقي الحديث: **في الحركة الأفريقية التحررية الثالثة التي سوف تكون في معركة بناء الولايات المتحدة الأفريقية.**

* والدراسة تقع في ٤ مجلدات

المجلد الأول منها: بعنوان "مقدمات في تاريخ الروابط الأفريقية العربية وهي دراسة تمهيدية شاملة لبقية المجلدات الثلاثة".

ونظراً لضخامة هذا المجلد فقد قسمه المؤلف إلى أربعة أجزاء:

الجزء الأول بعنوان: المصير الأفريقي العربي المشترك.

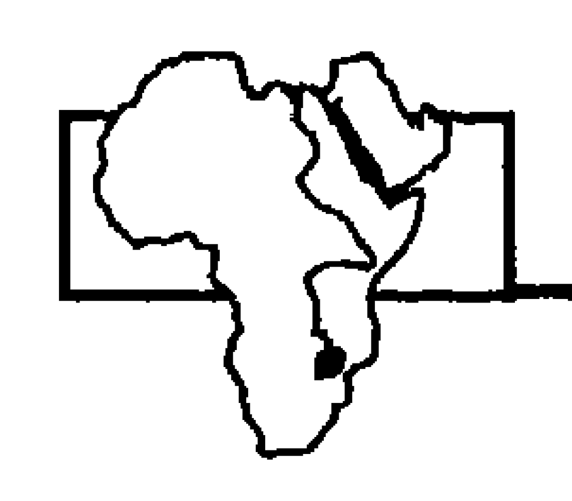
الجزء الثاني بعنوان: مبررات الاتحاد الأفريقي والاتحاد العربي.

الجزء الثالث بعنوان: ماذا فعل الغرب بالعرب أمس وماذا يفعل بهم اليوم.

الجزء الرابع بعنوان: أفريقيا ورفاهية الغرب والغرب وشقاء أفريقيا.

وهذا الجزء الأول بين يديك (المصير الأفريقي العربي المشترك).

يضم سبعة فصول: ففي الفصل الأول استعرض المؤلف نماذج لمختلف أساليب الاستعمار الحديث الذي صورها المفكرون الأفارقة من أمثال «الدكتور/ كوامي انكروما *Kwame Nkrumah*» زعيم غانا الداعية إلى جعل أفريقيا ولايات متحدة أفريقية في القرن الماضي لوقاية القارة من الهلاك والتردي، وكيف عملت القوى الاستعمارية الحديثة لإبقاء دول القارة متخلفة بتعطيل جميع أنواع النمو والتقدم فيها فضلاً عن تصفية الزعماء الذين كانوا يصرون على تحديث وبناء بلادهم .. الخ، وبالتالي دعوة الأفارقة والعرب إلى



الوحدة التكاملية من أجل تقدم بلادهما.

وأما الفصل الثاني:

فيستعرض الواقع الجغرافي والبشري الذي يجمع بين الأمتين الأفريقية والعربية والتفاعلات التاريخية والحضارية والثقافية والاجتماعية التي ترتبت على الاتصال العربي والأفريقي الذي بدأ في العصور ما قبل الإسلام وما بعد الإسلام إلى اليوم، وأنهما بعد مرور ألفي عام بعد اتصالهما ببعضهما؛ أصبحا وجهين لعملة واحدة فلن يستطيعا أن يفترقا، ويقدم الباحث في هذا الفصل مصطلحا مقترحاً لشكل الوحدة الاندماجية الأفريقية العربية، والمصطلح خاص بهذه الدراسة.

والفصل الثالث:

يتناول دعوة كل من الأفارقة والعرب إلى مراجعة تاريخ الروابط بينهما، منبهًا إلى أهمية هذه المراجعة، ومحذراً في نفس الوقت من أخطار الجهل بالتاريخ المشترك بينهما متضمنا دعوة أفريقيا إلى كل من ينتمي إليها إلى معرفة أفريقيا عن طريق دراسة التاريخ الأفريقي والتي انطلقت في عام ألفين، في سياق الحركة الأفريقية الجديدة للتاريخ الأفريقي التي تقام سنوياً في لندن وفي دول الكاريبي وجنوب أفريقيا داخل القارة الأم، يشارك في فعالياتها كل المنتمين إلى أفريقيا من كل أنحاء العالم، وعن البرنامج التاريخي الأفريقي لمسابقة الناشئ الأفريقي الصاعد، أو المؤرخ الأفريقي الصغير.

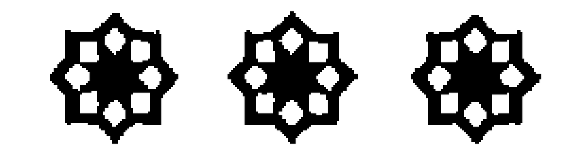
أما الفصل الرابع والخامس والسادس:

فقد قدمت فيها تقرير البحث الميداني قمت به لقياس آراء وأوجه نظر أبناء مسلمي أفريقيا الدارسين في الجامعات الإسلامية والعربية في إمكانية التكتل والتكامل الأفريقي العربي لبناء كيان حضاري مشترك، وقياس مدى حسهم

الانتمائي للأمة العربية، وسيجد القارئ نماذج إجابات هؤلاء الدارسين عن عدة أسئلة حول التوقعات الفكرية والسلوكية والانتمائية لهؤلاء الطلاب الأفارقة الذين أقاموا في الدول العربية وعاشوا بين الشعوب العربية وتعلموا ودرسوا في جامعاتها، فما هو السلوك الفكري والانتمائي والانطباعات المتوقعة منهم، هل يرون العرب شعوباً طيبة الأعراق وأمة صالحة وخير أمة بالمقارنة مع الشعوب الأخرى، وهل زاد حبهم للإسلام وللعرب بعد تخرجهم وعودتهم إلى بلادهم؟ وهل زادت لديهم رغبة للدعوة لنشر الدين الإسلامي في بلادهم وكذلك هل هم أكثر الناس حباً للغة العربية وعلى استعداد لتعليم الناس إياها في بلادهم؟ وهل هم الأكثر عملاً للدفاع عن سمعة العرب في بلادهم، وتصحيح ما شوه عنهم والعالم الإسلامي والعربي يتعرضان لهجمات غربية شرسة.

وأما الفصل السابع:

حاولت فيه لفت أنظار مسلمي أفريقيا إلى قيمتهم الحضارية والتاريخية والعددية باعتبارهم بناة مختلف الحضارات الأفريقية الراقية، والتي تعتبر نقاط مضيئة لجميع شعوب القارة مسلميها وغير مسلميها يفتخر بها كل أفريقي اليوم، وكذلك باعتبارهم أكثر عدداً من أتباع الديانات الأخرى في القارة، وهذا يعطيهم الحق في لعب دور جوهري في بناء حضارة القارة الجديدة، ولهم الحق في تقديم مشروعات أخلاقية ثقافية واجتماعية إسلامية تقي شعوب القارة من الأمراض المهلكة والمميتة الناجمة عن الثقافات الغربية المدمرة ولهم الحق في طلب إخلاء القارة الأفريقية من «ثقافات الدمار الشامل» كما يقدم هذا الفصل نماذج إحصائية شاملة لمختلف الديانات في القارة.



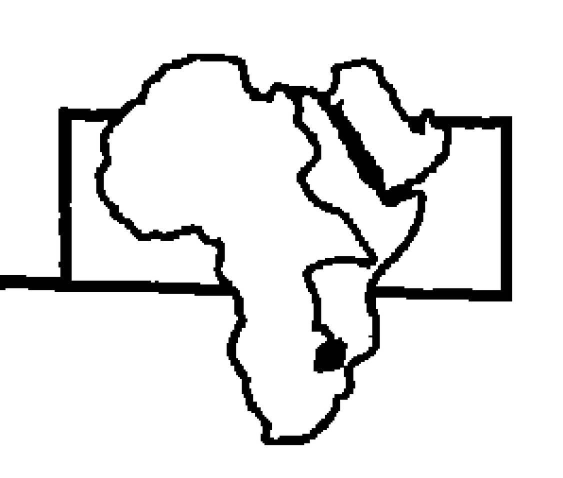
«التاريخ شعاع من الماضي ينير الحاضر والمستقبل»

من أقوال المؤرخ المصري الكبير د. أحمد شلبي



الفصل الأول
تنبيه الأمتين

* دعوة إلى الوحدة الأفريقية والعربية.
* توقعات انكروما.
* الاختيار بين الحياة والموت.
* ماذا حدث لأفريقيا.
* ماذا يحدث للعرب.
* الخلاصة.



تنبيه الأمتين

يدعو هذا الكتاب الأفارقة والعرب، باعتبارهما بناة الحضارات الأفريقية إلى الوحدة في «الدول الأفريقية والعربية المتحدة» من أجل إنقاذ البشرية وحماية حقوق الإنسان وحفظ السلام العالمي.

ويعالج الكتاب هذه القضية؛ «قضية الوحدة الأفريقية والوحدة العربية» من خلال المنظور التاريخي والمتغيرات العصرية الشائكة، الدولية والإقليمية. حيث يبرز الظروف التاريخية والعصرية التي شكلت القاسم المشترك بين العالمين الأفريقي والعربي، **في أنهما أكثر أمم الأرض تضرراً بفعل الحركات الاستعمارية القديمة والحديثة[*] *"The Old and the Neo-colonialism"*[1] الجاسمة على صدريهما والكاتمة على نفسيهما. ولا يزالان يتضرران بهما.**

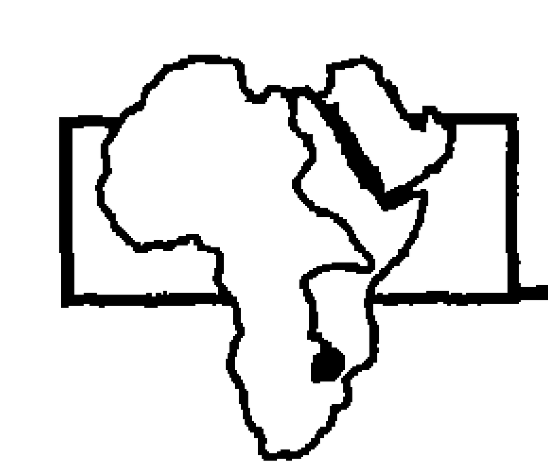
(*) *Neo-colonialism* أي الاستعمار الحديث مصطلح أطلقه لأول مرة زعيم غانا المناضل، وأول رئيس لها (الراحل)، «كوامي نكروما: *Kwame Nkrumah*» في الستينيات من القرن العشرين المنصرم، في خطبه وكتاباته من خلال دعوته إلى الوحدة التكاملية لدول القارة الأفريقية في أعقاب نيلها استقلالها السياسي، وكان أكثر زعماء أفريقيا استشعاراً بخطورة استراتيجية الغرب الجديدة لاستعمار أفريقيا بل وجميع العالم الثالث من جديد. لدرجة أنه أفرد هذه القضية بكتاب خاص يحمل عنوان تلك الاستراتيجية الاستعمارية الجديدة والتي أطلق عليها مصطلح الاستعمار الحديث، وهو اسم الكتاب الذي شرح فيه بالتفصيل نظريات ومفاهيم هذا النوع من الاستعمار وطرق ممارساته وتطبيقاته. وللمعلومات عن الاستعمار الحديث.

(١) انظر:

Kwame Nkrumah, Neo-colonialism (London panaf Books l.t.d. 1965).

ولقد ترجم هذا الكتاب إلى اللغة العربية في مصر عام ١٩٦٦م.

انظر: ترجمة لهذا الكتاب بعنوان الاستعمار الحديث آخر مراحل الإمبريالية ترجمة: عبد الحميد حمدي (القاهرة:دار الطباعة والنشر ١٩٦٦٠)



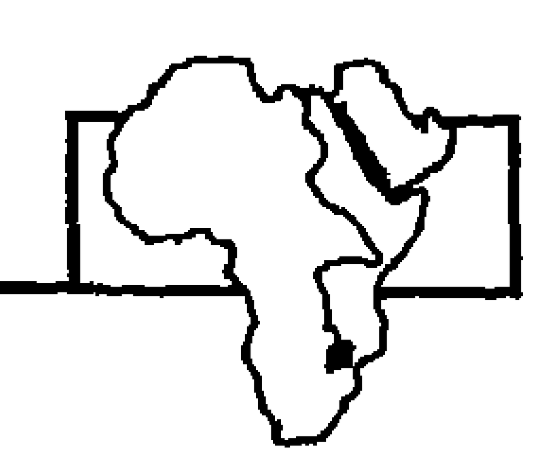
ويرى المؤلف أن السبيل الوحيد لفكاكهما من قبضة جميع أشكال الاستعمار الغربي القديمة والحديثة، هو:

* أن يتحد العالم العربي في: "الدول العربية المتحدة" باعتباره قلب العالم الإسلامي وبناة حضاراته التي أثرت العالم كافة علماً وثقافة.

* وأن يعزز الأفارقة اتحادهم الأفريقي الذي أسسوه في مستهل القرن الحادي والعشرين وتم الإعلان عن قيامه عام ٢٠٠٢م؛ باعتبارهم الحس الإنساني العالمي، ونبض ضميره، والذين كانوا آلات بناء الحضارات العالمية، ينشرون العدالة ويكرهون الظلم، **من أجل أن يصبحا معاً، قوة عالمية عظيمة غير استعمارية لأداء الرسالة الإنسانية والحضارية، ولدعم التوازن في النظام العالمي الجديد الذي نشأ ظالماً وطاغيًا، وأخذ ينمو معتدياً وعدوانيًا، ولتقليص دور الهيمنة ولتعزيز دور التعاون والتعايش السلمي في جميع الأصعدة من العالم(*).**

فإذا لم يتوحد العرب في أحد أشكال الوحدة أو التكتل، أياً كان عنوانها: «الاتحاد العربي»، «الدول العربية المتحدة»، «الدول الفدرالية العربية ...الخ، ولم يعمل الأفارقة على تقوية وتعزيز «اتحادهم الأفريقي» الذي شكلوه عام

(*) لاشك أن ضعف أفريقيا وتشتت الأمة العربية، هما السببان الرئيسيان لطغيان قبضة الهيمنة الغربية عليهما بأشكال الاستعمار الحديثة، وظهور بوادر الاستعمار العسكري القديم من جديد على الإقليمين العربي والأفريقي، لو نظرنا جيداً لوجدنا أن هذه الهيمنة الغربية قد تقلصت وأخذت تتلاشى تدريجياً من آسيا وأمريكا الجنوبية نتيجة لتكتلهما في رفض السياسات الغربية الهيمنية، لكي تعزز قبضتها على أفريقيا والعالم العربي اللذين لا يستطيعان رفض تلك الهيمنة عليهما لضعفهما ليست بالهيمنة الاقتصادية والثقافية فحسب بل بالاستعمار العسكري المباشر على العالم العربي في فلسطين والعراق والدول العربية الأخرى مرشحة له.



٢٠٠٢م، وتركوه ضعيفاً واهناً، فإنهما يكونان جانيين على نفسيهما وخاذلين لشعوبهما، ولن يحظيا باحترام العالم، فضلاً عن أنهما لن ينعما بأي أمن أو سلام، ولن يشهدا الطمأنينة أبدًا، والأسوأ من ذلك أنهما لن يستفيدا مما وهبهما الله سبحانه وتعالى، من الموارد الطبيعية الضخمة(*) الضرورية التي يمكنهما استغلالها للتنمية الاقتصادية إلى أقصى حد لتحقيق رفاهية شعوبهما فيما لو حققا الوحدات والتكتلات التكاملية القوية والوطيدة.

وهذا ما نوَّه به «د/ كوامي انكروما» بشدة، ونبّه به أفريقيا عند استقلال دولها في الستينيات، ودعتها إلى اندماج دولها في: "الولايات المتحدة الأفريقية: *The Unite States of Africa*". **وحذّر بشدة أن الدول الأفريقية إذا لم تتوحد وتركت كل دولة بمفردها، فسوف تصبح لقمة سائغة للقوى الاستعمارية، ولن تستطيع أي دولة بمفردها أن تفيد نفسها اقتصاديًا واجتماعيًا مهما توفرت لديها من الموارد الطبيعية، وأنه بدون الوحدة التكاملية لدول القارة، فإن موارد "القارة" الضخمة، لن تفيدها، بل ستصبح نقمة على جميع دولها التي سوف تصبح أكثر فقرًا ووهنًا،** بل ذهب «كوامي انكروما» إلى أبعد من ذلك في تحذيراته من العواقب الوخيمة التي سوف تنجم عن عدم الوحدة التكاملية للدول الأفريقية، التي وصفها بـ"الهلاك ***Perish***"

(*) وللمعلومات عن موارد القارة الأفريقية الطبيعية، انظر:

1) Roland Oliver, and Other Editors, The Cambridge Encylopdia of Africa. (London Cambrige University press, 1975).

2) Regine. Van Ch-Bonnardel, Atlas of Africa, Jeune Afrique. "press, Agngie d'Histore et al Geographie Universte de paris, 1970).

٣) التقرير الاستراتيجي الأفريقي ٢٠٠١-٢٠٠٢ إصدار مركز البحوث الأفريقية بمعهد البحوث والدراسات الأفريقية جامعة القاهرة، سبتمبر ٢٠٠٢.

وقد جاءت تلك التحذيرات في الكلمة التاريخية التي ألقاها أمام جميع القادة الأفريقية وزعمائها الذين كانوا مجتمعين في القمة الأفريقية المصيرية بأديس أبابا *Addis Ababa* ٢٤ مايو ١٩٦٣م. الكلمة التاريخية التي اعتبرها السياسيون في العالم أعظم كلمة ألقيت في شأن مصير أفريقيا حتى الآن حيث قال":

«يجب أن نتّحد الآن أو نهلك: (١)

«We must unite Now, or perish» «فلا عمل مجزّء مشتّت، ولا قرارات مجاملة زائفة، ولا شيء آخر يمكن أن ينقذنا سوى عمل متّحد في إطار وحدة تكاملية لأفريقيا»، وقال: «في هذه القارة، لم يستغرقنا وقتًا طويلاً كي نكتشف أن النضال ضد الاستعمار لا ينتهي عند نيل الاستقلال الوطني، فما ذلك الاستقلال، إلا مقدمة لنضال جديد أكثر ارتباطاً بحقنا في امتلاك زمام إدارة شئوننا الاقتصادية والسياسية لبناء مجتمعاتنا طبقاً لطموحاتنا وطموحات شعوبنا»(*).

---

(1) *See: Dr. Kwame Nkrumah. Africa must unite, in the New African No. 381)London, New African publications 1 cold Bath str. January 2000) pp. 18-25.*

(*) تتبنى مجلة (*New African*: أفريقيا الجديدة). مشروعاً ضخماً لنشر كل ما هو أفريقيا، في إطار إعادة كتابة التاريخ الأفريقي وتقديم المعلومات الصحيحة عن الشعوب الأفريقية في كل مكان، من القارة الأفريقية وفي الأمريكتين (الشتات" وأوروبا، وفي جزر المحيطات وعن مساهمات الأفارقة في بناء الحضارات العالمية القديمة والحديثة، ونشر سير المناضلين الأفارقة، ونشر كل المؤامرات التي دبرت ضد زعماء أفريقيا المخلصين لإعاقة تقدم أفريقيا، وكان أهم ما نشرت بمناسبة احتفال الأفارقة بحلول الألفية الجديدة، وبمناسبة التوجه الأفريقي الجديد نحو بناء الاتحاد الأفريقي *"African Union (A.U)"* هو النص الكامل لخطاب الزعيم الغاني كوامي نكروما الذي ألقاه في القمة الأفريقية مايو ١٩٦٣م، التي أسست فيها منظمة الوحدة =



لم يكتف «كوامي انكروما» بمجرد عرض لشعارات خطابية بل وضع الأسس والقواعد التي تقوم عليها الوحدة التكاملية لجميع الدول الأفريقية والقانون التأسيسي لها وأشكال مؤسساتها التشريعية والتنفيذية، وكيفية إدارة شئونها، وسوف نقدم النص الكامل لتلك المبادئ التي طرحها «نكروما» لبناء الولايات المتحدة الأفريقية، في الجزء الثالث من هذا المجلد، وهو بعنوان «مبررات الاتحاد الأفريقي»(*).

فاليوم ونحن في العقد الأول من القرن الحادي والعشرين، وتحيط بنا ظروف دولية وإقليمية قاسية: *International and regional*

=

الأفريقية *"Organization of African Unity "O.A.U"* بدلاً من الولايات المتحدة الأفريقية كحل وسط، باعتباره أعظم خطاب في الشأن الأفريقي الذي يمكن تبنيه كخطة عمل لبناء مستقبل أفريقيا رغم مرور أكثر من نصف قرن من إلقائه. لقد نشر الخطاب من ضمن سلسلة: *Panaf Books* . أي منشورات الجامعة الأفريقية.

(*) وللمعلومات عن الولايات المتحدة الأفريقية حسب رؤية كوامي نكروما وعن الاستعمار الحديث وعن موارد القارة وكيفية استغلالها لبناء أفريقيا بعد استقلال الدول الأفريقية في الخمسينيات والستينيات من القرن العشرين، انظر:

1) *Kwame Nkrumah, Africa must unite. (London, Panaf Books l.t.d. 1964).*
2) *Kwame Nkrumah, Neo-colonialism. (London, Panaf Books l.t.d. 1965).*
3) *Kwame Nkrumah, Handbook of Revolutionary Warfare. (London, Panaf Books l.t.d. 1966).*
4) *Kwame Nkrumah, Revolutionary Path. (London, Panaf Books l.t.d. 1972).*

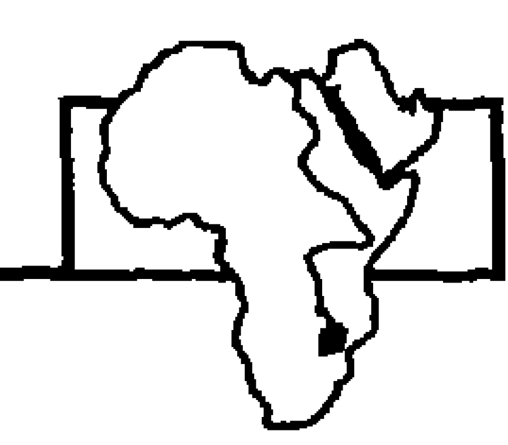
وللحصول على هذه الكتب يمكن الاتصال بـــ:

panaf Books. 15 Weston Str. London Sel, 3RS. Tel: 0171-403-0855
Fax: 017-592-3766. E-mail: panaf. Co. UK 299 PP hardback.

crulty circumstances واتجاهاتها التي لا تبشر بخير لكل ضعيف ومشتت من أي أمة مثل أفريقيا وعربيبا، لذا فقد باتت مسألة الوحدة العربية والأفريقية بالنسبة للعرب والأفارقة قضية إجبارية، فهما مجبران على الاتجاه نحو التوحد والتكتل فلا خيار لهما فيه، إن عاجلاً أم آجلاً، وأن الاختيار بين الاتجاه نحو الوحدة التكاملية The intergrated unity أو عدمها، مثل الاختيار بين الحياة والموت، فإن اختار العرب والأفارقة بناء وحدتين متجاورتين متعاونتين أي الاتحاد العربي والاتحاد الأفريقي فيكونان قد اختارا الحياة بكرامة Life in Dignity وإن لم يفعلا فيكونا قد اختارا الموت والخزي والذل لشعوبهما، وتستطيع أي دولة غربية مهما كان حجمها صغيرًا كانت أو كبيرًا أن تعتدي عليهما بالكذب والافتراء بل ويتلاعب بهما كل خسيس عديم الضمير وكذاب معتد أثيم(*).

فبالنسبة لأفريقيا، فقد تحقق عليها جميع ما توقع لها «نكروما» من تخلف وشقاء وبؤس ومعاناة شعوب دولها المشتتة، من فقر مدقع ومرض متوطن، وجهل مذل، بما في ذلك حكوماتها التي وقفت عاجزة عن حل مشكلاتها

(*) ما حدث للعراق من الغزو المقرون بالتدمير الوحشي وتشريد شعبها وتخريب ثقافتها وتصفية مثقفيها وعلمائها، ورياضيها جسديًا (أي قتلهم أو نفيهم خارج بلادهم) لتحذير واضح كل الوضوح للعالم العربي وأفريقيا، بل وللعالم الثالث بأكمله، أنه بإمكان استخدام الأكاذيب والافتراءات الملفقة لتدمير أمة بأكملها، مثلما فعل «جورج بوش» رئيس الولايات المتحدة الأمريكية و«توني بلير» رئيس وزراء بريطانيا وحلفاؤهما، من نسج الأكاذيب والافتراءات وأقنعوا بها المجتمع الدولي بضرورة غزو العراق والنيل منها، وبالرغم من أن العالم كله قد اكتشف تلك الأكاذيب والافتراءات إلا أنهما لا يزالان يتلاعبان بالعالم العربي، بالخداع والنفاق والنميمة لإيقاع بين الدول العربية، وبينها وبين جيرانها، وبتدعيم أي صراع ينشأ في داخل أي دولة عربية حتى يتأجج.



الجزئية، ناهيك عن مشكلاتها المجتمعية . في ظل عدم جعل أفريقيا دولاً متحدة بعد نيلها استقلالها في نهاية الخمسينيات وعقد الستينيات من القرن العشرين المنصرم، حيث تركت كل دولة أفريقية لوحدها وشأنها، كي تواجه مصيرها المشئوم، وأتاح ذلك أمام كل القوى الاستعمارية فرص سانحة وهانئة كي تتكالب عليها بشكل تعسفي وتنفرد بكل دولة على حدة، ولتستغلها أسوأ الاستغلال(١).

بل وأثارت نزاعات مسلحة بين سكانها؛ في حروب أهلية، وبين دولها في

---

(١) انظر: كوامي انكروما، الاستعمار الحديث، ترجمة عبد الحميد حمدي "القاهرة دار للطباعة والنشر ١٩٦٦"، (ص ٣١، ١٧٠) بل أن الكتاب بأكمله يشرح شرحاً وافياً كيف تفعل القوى الاستعمارية بالدول الأفريقية ومدى الاستغلال التعسفي الذي تقوم به للموارد الأفريقية، ولمزيد من المعلومات عما أصاب أفريقيا من تخلف وأزمات اقتصادية واجتماعية ونفسية ناجمة عن فعل الاستعمار الحديث انظر:

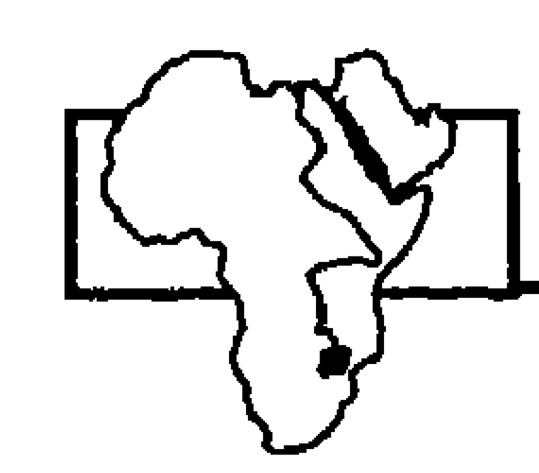
١) دادي أوتيمود، أفريقيا: الطريق الآخر، ترجمة بهجت عبد الفتاح عبده، (الهيئة المصرية العامة للكتاب) (١٩٩٥).

2) Moin Asiddiqi. Brinking out of the DEBT trap in the New African No. 366, September 1998, London).

3) See Dr. Adebayo Adedeji. Africa's Development Crisis. in Africa Guide (Africa GuideCompany, Sabbrom Wolden, Englan, 1978).

4) Richard Sandbrook. Economic Grisis, Structure Adjustment and the state, in the sub-saharan Africa. in the IMF and the south the social inpact of the crisis (Dharam Ghai Geneva: UNRISD 1990 P95. 114.

هذا الأخير عن أفريقيا يمكن الحصول عليه والمترجم له في معهد التخطيط القومي في القاهرة، فاكس: ٣٦٣٤٧٤٧ (٠٠٢٠٢) فلهذه الدراسة أهمية حيث تناولت جميع جوانب الأزمات الأفريقية ما بعد الاستقلال.



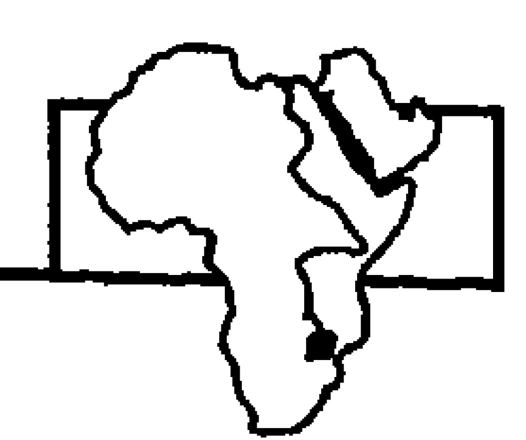
حروب حدودية، التي اصطنعتها تلك القوى، ووفّرت الأسلحة لكل أطراف النزاع(*).

(*) لقد أثبتت دراسات دولية وأفريقية أن الحروب الأهلية والحدودية، تعد من أهم مصادر القوى الاستعمارية لاستجلاب أموال الدول الأفريقية السائلة Cush واستراتيجية فعالة لتغلغل تلك القوى في أعماق الدول الأفريقية وترسيخ أقدامها فيها، وهذا من أسباب إشعال وإثارة تلك الحروب، فهي تجني من ورائها أموالاً طائلة، فضلاً عن نفوذ غير مقيدة وامتيازات واسعة، حيث ضمنت الحصول من كل دولة على ما بين ١٥-٣٠% من سيولة دخلها القومي العام طواعية في شكل إنفاقها العسكري، مما تشتري منها من الأسلحة، بالإضافة إلى استئجار خبراء وفنيين وعسكريين ومدربين على الفنون العسكرية واستعمال الأسلحة التي تشتريها، وبالتالي التمكن من تثبيت الأقدام والحصول على النفوذ المطلق، حتى أن الدول التي لم تكن تستعمر أي دولة أفريقية في حقبة الاستعمار العسكري، تمكنت من التغلغل في الدول الأفريقية من هذا الباب، وحصلت على نفوذ وامتيازات مثل: إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية وبعض الدول الأوروبية الشرقية والآسيوية. وللمعلومات عن هذا الموضوع الخطير، انظر:

1) *Al Venter. Arms are pouring into Africa from every source. in the New African No. 310 January 1999. (I.C. Publication, London 1999) pp. 10-15.*

2) *David Blair, Tank Trouble. in the New African No. 312, March 1999. (I.C. Publication, London 1999) p. 23.*

لقد ضاع الأمن الأفريقي على يد القوى الاستعمارية على المستوى الرسمي للدول الغربية وعلى مستوى القطاعات الخاصة والتي مثلت ثنائي الخطر على الأمن والسلم واستقرار الحكم في القارة الأفريقية، إذ أن تلك القطاعات بوضعها الراهنة في الدول الأفريقية في أشكال شركات متعددة الجنسيات، وشركات التدريب الأمنية والعسكرية، وكذلك شركات المرتزقة، كل هذه الأشكال المتواجدة على أرض أفريقيا وفي أعماقها، تعد بحق أكبر خطر تهدد أمن أفريقيا الذي يحاول الاتحاد الأفريقي تحقيقه، وكذلك خطر يهدد محاولة الدول الأفريقية نفسها تثبيت أركان =



ووقفت بحزم ضد الزعماء الأفارقة المخلصين لأوطانهم، الذين أرادوا بناء بلادهم لتحقيق رفاهية شعوبهم بحق وصدق بعد الاستقلال، فأطاحت ببعضهم، ووضعت عراقيل أمام جهود بعضهم، وحالت بينهم وبين تحقيق طموحاتهم الوطنية الحقة(*) بينما كفلت الحماية والدعم المتواصلان للزعماء الأفريقيين

=

الحكم الديمقراطي من أجل استئصال جذور جميع أنواع الحركات الانقلابية من الدول الأفريقية، فإن شركات متعددة الجنسيات وشركات التدريب العسكرية والأمنية والمرتزقة قادرة على إحداث انقلابات واستمرار الحروب الأهلية رغم وجود الاتحاد الأفريقي الذي لا يزال في طوره الجنينية ولا يبذل زعماء القارة جهودًا حقيقية لتنمية وتقوية هذا الاتحاد كما ينبغي حتى يكون قادر على تحقيق الأمن والسلم الأفريقيين. انظر تقرير مجلة الشاهد على أفريقا لعام ٢٠٠٤ وحدة الأمن الأفريقي، في الشاهد العدد ٢٢٤ إبريل ٢٠٠٤ (قبرص، شركة الشاهد للنشر المحدود: ٢٠٠٤) ص٥٦، ٦٧.

(*) فمن بين أبرز الزعماء الأفريقيين الذين أرادوا توحيد بلادهم، وبناء رفاهية شعوبهم وتمت تصفيته جسدياً من قبل القوى الاستعمارية (بترس لوومبا: Patrice Lumumba) زعيم كنغو الذي سعى بكل إخلاص إلى توحيد أراضي كنغو، من أجل إعادة بناءها بعد حقبة الاستعمار، فتآمر عليه كل القوى الاستعمارية وقتلته في ١٧ يناير عام ١٩٦١م، بعد تعذيبه بوحشية وبطريقة لا أخلاقية، بينما أيدت زعماء كنغو الذين أرادوا تفتيت البلاد من أجل مصالحهم الشخصية من أمثال (موييس تشومبي Moise Tshombe) الذي أراد فصل إقليم كتنغا: Katanga) الغني عن البلاد، بالاتفاق مع القوى الاستعمارية وموبوتوسسيكو: Mubutu الذي أصبح رئيساً مؤيداً للبلاد بالانقلاب المتآمر الذي جاء به والذي وافق على تقديم موارد البلاد وثرواتها للقوى الاستعمارية مجانًا مقابل نصيب شخصي له مع حماية كاملة له ولأعوانه.

لقد كان معروفاً منذ البداية بهذا التآمر ولكن لم تكن أطراف المتآمرين معروفة بالتحديد، وفي عام ١٩٩٩م انطلقت تحقيقات جادة رسمية وغير رسمية كشفت أطراف التآمر، وعند التحقيق لم تجد الدول الاستعمارية بدأ من أن يطلقوا وثائق تآمرهم، وأهم هذه التحقيقات، تحقيق بلجيكا التي كانت تستعمر كنغو وتحقيق الأمم المتحدة، ولقد

=

=

تابعت مجلة نويو أفريكان New African هذه التحقيقات أولاً بأول ومن ثم نشرت نتائجها بالتفصيل، وبالتالي عرفت أطراف هذا التآمر: وهي بلجيكا والولايات المتحدة الأمريكية وفرنسا وبريطانيا، انظر نشرات التالية:

1) Francois Misser: Belgium Finally sets up official inquiry into lumumba's murder, 30 years after the event. in the new African no. 382 February 2000 (I.C. publication, London 2000) pp.18-30.

2) Fracois Misser, Lumumber murder inquiry began in NA. No. 386, 2000.

3) Lumumba more revealations NA No. 381 July Augst 2000. pp.36-39.

4) Reports from Brussel. NA No. 392 January 2001. pp. 28-29

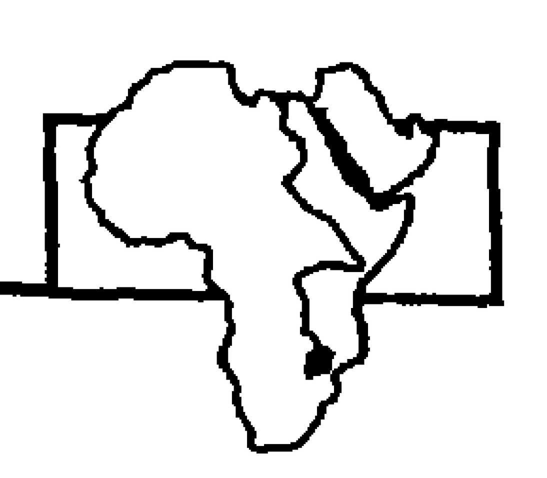
5) Lumumba the UN and American role, NA. No. 382, 2000, pp25-30.

6) Mrs. Lumuba Speaks, NA, No. 406, April 2002 pp. 20-23.

ومن أهم وأشهر الزعماء الأفريقيين الذي تآمرت عليه القوى الاستعمارية ودبرت الانقلاب العسكري ضده (الدكتور كوامي انكروما: Dr. Kwame Nkrumah) واقصائه عن حكم بلاده، وإبعاده عن بلده الذي كان يسعي إلى بنائه بناء عصريًا صناعيًا وزراعيًا لتكون مثالاً تحتذي به سائر الدول الأفريقية، وكذلك إبعاده عن دعوته إلى الوحدة التكاملية وبناء حكومة اتحادية للدول الأفريقية "African Union Government" باسم الولايات المتحدة الأفريقية "United states of Africa"" وهذا أيضًا عرف منذ البداية أنه مؤامرة استعمارية وراء هذا الانقلاب الذي وقع ضد هذا الزعيم في ٢٤ فبراير ١٩٦٦م أثناء وجوده في الخارج في فيتنام للقيام بمهمة وساطة إنهاء الحرب بين فيتنام والولايات المتحدة الأمريكية.

لقد كان الانقلاب ضد انكروما فاجعة ومؤلمة لكوامي انكروما نفسه الذي مرض ومات كمدًا بسبب هذا الانقلاب ولكن كانت فاجعة أيضًا لجمع الدول الأفريقية، وخاصة الدول التي كانت ولا تزال تناضل من أجل الاستقلال في تلك الحقبة من أمثال ناميبيا وزمبابوي وجنوب أفريقيا.. الخ الانقلاب الذي نال الاهتمام الأفريقي والآسيوي بل والغرب منقطع النظير ، ففي مصر كتبت مجلة الطليعة في عددها ٤ للسنة الثانية إبريل ١٩٦٦م تبرز أبعاد هذا الانقلاب وخطورته، وتصفه بغير عادي. حيث جاءت:

=



«ويُعد انقلاب غانا البداية الخطيرة لما أسميناه بالمرحلة الثانية من المخطط الاستعماري، وتكمن خطورته في أنه لم يكن مجرد انقلاب عادي كالذي وقع في البلدان المجاورة لغانا وإنما يعد – في الواقع – أشد الانقلابات الاستعمارية التي شهدتها القارة الأفريقية خطرًا منذ تصدير الاستعمار للثورة المضادة في الكونغو في عام ١٩٦١م. بل أنه يحمل دلالات ذات "أبعاد أفريقية وعالمية". انظر حسين شعلان: غانا ومواجهة الثورة المضادة في أفريقيا" في مجلة الطليعة طريق المناضلين إلى الفكر الثوري المعاصر العدد ٤ إبريل ١٩٦٦م. "القاهرة: مؤسسة الأهرام إبريل ١٩٦٦" ص ص ٣٣–٣٨.

في عام ١٩٩٩م نشرت «جون مايلين *June Milne*» السيرة الذاتية جديدة Biography للزعيم انكروما كشفت فيها كثيراً عن أسرار الأحداث التي وقعت لهذا الزعيم، وهي تحظى بمصداقية راسخة، لأنها عملت مع نكروما عن كثب منذ عام ٥٧ أولاً كباحثة مساعدة له وكناشرة لمقالات وكتب انكروما بعد ذلك وهي الآن تناهز أكثر من ٧٩ عاماً عندما نشرت السيرة الذاتية، وهي استرالية المولد وكانت بجنب انكروما في رومانيا عند وفاته في ٢٧ إبريل ١٩٧٢م وعنوان الكتاب: كيف سيق انكروما إلى مصيره "How Nkrumah was lured to his end"

see: Osei Boateng in the NA No. 380 December 1999. pp 18-25.

ففي عام ٢٠٠٢ عرفت أفريقيا وعرف العالم تلك الدول الاستعمارية التي دبرت الانقلاب ضد انكروما زعيم غانا وذلك عندما أطلقت الولايات المتحدة الأمريكية وثائق المخابرات الأمريكية عن التخطيط وتنفيذ الانقلاب وكشفت أن كل من أمريكا وبريطانيا وفرنسا هي التي دبرت الانقلاب وكان التخطيط يجري في كل من البيت الأبيض وفي بريطانيا وأحيانا في فرنسا ثم في السفارة الأمريكية في أكرا عاصمة غانا إلى أن تم الانقلاب بنجاح.

وبعد نشر هذه الوثائق وعرف الجميع ما وقع على شعب غانا، من الظلم الاستعماري الفاضح وأدى ذلك إلى إيقاف عجلة التقدم التي كانت تسير عليها غانا بخطى ثابتة وسريعة، وإيقاف مشروع وحدة الدول الأفريقية تماماً، ولقد طالبت شعوب غانا اعتذارًا رسميًا من الدول الثلاثة وأيضًا التعويض بطريقة أو بأخرى:

انظر:

I) How Nkrumah's dream to industrialise Ghana as a model for the

=

whole of Africa was frustrated. in NA. No. 404, February 2002 London" pp. 18-25.

2) *E. Ablorh Odjdja. the 24 February 1966 coup that overthrew Nkruma created a chain reaction that brought Ghana to the brink of a failed state in NA No. 406- April 2002 London, P. 29.*

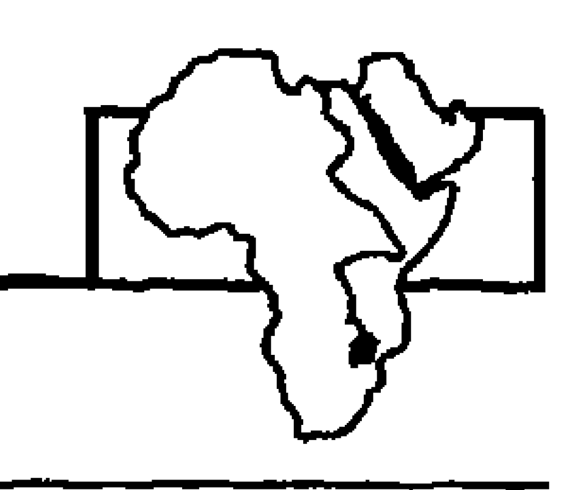
3) *Aidoo Prince Jnr, Who Killed Dr. Kwame Nkrumah? in Ghanaian Weikly News paper. the independent Thuosdery No. 4 September 2003 Aecra, P6.*

وأيضًا طالبت شعب غانا تغيير اسم مطار غانا الدولي الذي سمي باسم قائد الانقلاب الغاني من مطار (كوتوكا الدولي Kotoka International Airport) إلى مطار انكروما الدولي Nkromah International Airport.

ومن أبرز وأهم زعماء القارة الأفريقية والعربية الذي حاولت الدول الاستعمارية التخلص منه لمواقفه الوطنية المخلصة هو زعيم مصر وأفريقيا والعالم العربي: جمال عبد الناصر، ولما فشلت القوى الاستعمارية في التخلص منه بقتله أو بالانقلاب ضده نتيجة للوعي القومي المصري القوي، بحيث لم تجد من جميع الشعب المصري خائنًا واحدًا لتنفيذ مخططاتهم، لجأت تلك القوى الاستعمارية إلى إعاقة تقدمها بزجها في أتون الحروب والعدوان السافر عليها لمعاقبة الشعب المصري كله إن لم تجد منهم مواطنًا مصريًا واحدًا لتنفيذ انقلاب ضد جمال عبد الناصر أو قتله. توجد وثائق منشورة في شبكات معلومات الدولية Internet يمكن لأي دارس أفريقي اطلاع عليها فضلاً عن كتب كثيرة تناولت هذا الموضوع الخطير.

ويوجد زعيم آخر بارز جدًا من الذين أعاقهم الاستعمار وهو أحمد سيكوتوري ومن أبرز الزعماء الأفارقة المناضلين الذين كانوا مخلصين جدًا لبلادهم وأرادوا لها الاستقلال الحقيقي وبنائها عصريًا، وهو أحمد سيكوتوري زعيم غينيا كوناكري وأول رئيس لها بعد الاستقلال الراحل، وهو حفيد «ساموري توري» إمام وملك وأمبراطور، أمبراطورية ساموري الذي ناضل ضد الاستعمار الفرنسي في غرب أفريقيا خلال ٢٨ سنة (١٨٧٢-١٨٩٨). فالزعيم أحمد سيكوتوري -الحفيد- الرئيس الأفريقي المسلم الذي كان يفتخر بإسلامه أمام الغرب، أراد أن يكون استقلال بلده استقلالا كاملا

=



=

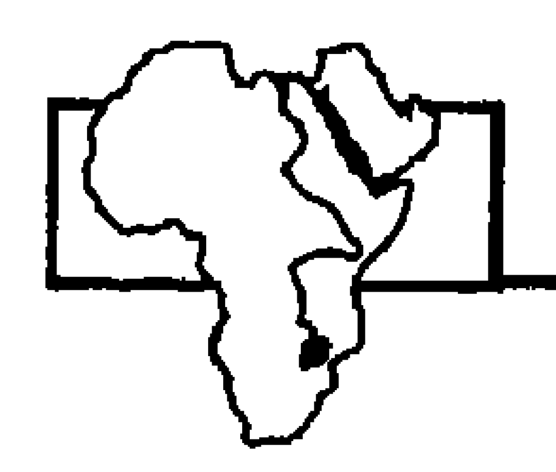
دون أي تبعية لفرنسا التي اشترطت على دول مستعمراتها الأفريقية لنيل الاستقلال. بحيث لا تستطيع تلك الدول عمل أي شيء قبل الرجوع إلى فرنسا لطلب موافقتها. فلما رفض الزعيم أحمد سيكوتوري هذا الشرط التعسفي، لأنه أراد لغينيا أن تكون حرة في عقد علاقات ثنائية مع أي دولة في العالم دون الرجوع إلى فرنسا من أجل بناء رفاهية غينيا بناء عصريًا، حيث طالب شعبه أن يصوتوا بـ (لا) للتبعية وبـ (نعم) للاستقلال التام. من أجل هذا غضبت فرنسا وغضبت معها القوى الاستعمارية الأخرى تضامنًا مع فرنسا فتجمعت بقيادة فرنسا لمعاقبة غينيا، فبادرت فرنسا بقطع علاقاتها بها وبنقل كل معدات الجيش وكذلك المعدات الطبية من مستشفيات غينيا وحتى القطارات في سكك حديد غينيا أخرجت فرنسا كلها من غينيا وتركتها فارغة بلا سلاح ولا أطباء ولا معدات طبية ولا مواصلات ولا جيش يحميها، ثم دفعت فرنسا إليها بجيش مرتزقة لغزو غينيا لإسقاط الرئيس أحمد سيكوتوري وفرضت حصارًا بحريًا عليها، ولكن رغم كل ذلك استطاع أبناء غينيا بقيادة رئيسها المخلص الدفاع عن البلاد وهزمت المرتزقة، فعادت من حيث أتت تجر أزيال الهزيمة، وتكررت عدة محاولات لقتله في عدة محاولات انقلابية ضده ولكن الله نجاه وباءت فرنسا بالفشل إزاءه.

والزعيم أحمد سيكوتوري رغم كونه رئيسًا على دولة غينيا إلا أنه من المفكرين الأفارقة الأفذاذ وله مؤلفات كثيرة في مختلف المجالات الفكرية من بينها ما يتصل بالوحدة الأفريقية، مثل: كتابه الثورة الثقافية ووحدة الشعوب الأفريقية «كوناكري: مجلة الحزب. يونيه ١٩٧٥م». ومنها ما يتصل بالدين الإسلامي: مثل كتابه: «الإسلام دين الجماعة». ترجمة: محمد البخاري. (الكويت: شركة الشايع للنشر والتوزيع ١٩٧٧م)، وكذلك كتابه الثورة والدين: ترجمة محمد البخاري: (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٨م).

ومنها ما يتصل بالفكر السياسي مثل كتابه: الثورة الديمقراطية: الهدف والمنهج. ترجمة محمد البخاري (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٨م).

وللمعلومات عن جد الزعيم أحمد سيكوتوري الإمبراطور الإمام: ساموري توري انظر نصر الدين رشوان: دولة ساموري في غرب أفريقيا (١٨٧٢-١٨٩٨) رسالة دكتوراه غير منشور (القاهرة معهد البحوث والدراسات الأفريقية. جامعة القاهرة، ١٩٧٨).

=



=

وأما عن كل الأحداث حول استقلال غينيا كوناكري بقيادة الزعيم أحمد سيكوتوري وقامت فرنسا بإجراءات ضدها: انظر: صلاح صبري: أفريقيا وراء الصحراء (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية ١٩٦٠).

أما أبرز وأشهر الزعماء الذين كفلت لهم القوى الاستعمارية الحماية اللامحدودة نتيجة لموافقته على تسليم كل موارد بلاده لها وإتباعه لإملاءاتها والسكوت عن سرقة ثروات البلاد وحكمه الفاسد: هو زعيم الكنغو: موبوتو سسيكو: Mubutu وهو الصديق للغرب كما وصفه الغرب وحتى جورج بوش الأب الذي جاء على حكم الولايات المتحدة الأمريكية وصفه بذلك قائلا: «على الغرب المحافظة على صديقه الحميم في الحكم بأطول فترة ممكنة:

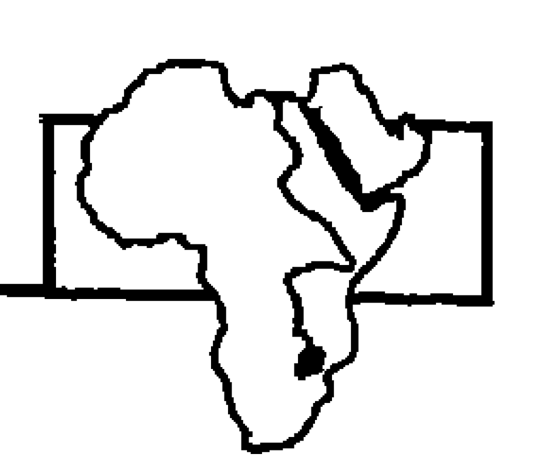
«The w*est* to keep its most valued friend in power as lond as it take» بمعنى. الصديق الأكثر قيمة للغرب، بقى موبوتو على حكم بلاده، دكتاتورا يمارس جميع أنواع الفساد في الحكم من عام ١٩٦٠ حتى عام ١٩٩٧م زهاء ٣٧ عاماً* عندما تخلى عنه جميع حلفائه الغربيين وأصدقائه وتم طرده من بلاده منفياً، وذلك عندما أرسلت إليه الولايات المتحدة الأمريكية وفدًا رسمياً في ٢٩ إبريل ١٩٩٧م لإبلاغه رسمياً أن واشنطن لن يستطيع حمايته هذه المرة وعليه المغادرة، فغادر البلاد هو وجميع أفراد أسرته وبعض أعوانه حاملا معه ما استطاع من مال وذهب حتى قيل أن ما حمله موبوتو من ذهب لدى مغادرته بلاده بلغت قيمته ٤٠ مليون دولار فضلاً عن الأموال السائلة قدرت بالمليارات الدولارات.

*- *see: Mubutu staged independent Africa's first ever coup on 4 September 1960 in NA. No. 382. February 2000 p. 28.*

اعترف موبوتو في نفس العام قبل وفاته أن لديه حوالي عشرين من ممتلكات في عشر دول حول العالم، وأما ودائعه المالية على حسابه الخاص هي ٦ مليارات. لاحظ أيها القارئ أن مبلغ ليس ٦ ملايين بل ٦٠٠٠ مليون دولار، هذا غير ودائعه في أمريكا وبريطانيا وفرنسا وهنغ كنغ وغير ذلك من الممتلكات العينية من القصور وضيع ... الخ. انظر:

1) *The troika that kepte Mübutu in power in the New African, No. 390, Nov. 2000, London pp. 25-27.*

2) *Elvis Iruh. African's Missing Billions. in the NA No. 253, June 1997 London, P 27.*



الفاسدين، ذوي أنظمة الحكم الفاسدة الذين بإمكانهم الموافقة على نهب القوى الاستعمارية لموارد بلادهم، بل والتعاون معها على هذا النهب المنظم: *Organized Lutting* والموافقين منهم على دفن نفايات نووية خطرة في أراضي بلادهم وإيقاعها في مستنقع الديون.

وأما قائد الثورة الليبية وقائد ثورة النهضة الأفريقية الحديثة وأبرز دعاة الوحدة التكاملية الأفريقية في الوقت الراهن؛ القائد معمر القذافي(*)، فقد

(*) إذا أردت أن تعرف لماذا أطلقت على هذا القائد قائدة ثورة النهضة الأفريقية، ووصفته بأعظم دعاة الوحدة التكاملية الأفريقية في القرن الحادي والعشرين؟ فما عليك أيها القارئ إلا أن تقرأ وتدرس أفكاره وأطروحاته لأفريقيا ومن أجل أفريقيا، ليس فيما يتصل بالجوانب السياسية والاقتصادية للاتحاد الأفريقي المرحلي الذي يجب أن يصل به الأفارقة إلى الولايات المتحدة الأفريقية مستقبلاً، ليس تلك فحسب، ولكن أعظمها أيضاً فيما يتصل بالجوانب الثقافية والاجتماعية والأدبية والدينية والمواطنة الأفريقية، ولا أعتقد في وجود زعيم أفريقي آخر في الساحة الأفريقية الراهنة يدانيه في الاهتمام الدؤوب بالتفكير والدراسة والعمل وبذل النفيس لصالح الشعوب القارة ودولها ولا يمكن لأي شخص في أفريقيا وفي العالم أن ينكر أو يبخسه حقه فيما بذل من مجهودات حتى تحقق قيام الاتحاد الأفريقي الذي سوف تجني القارة الأفريقية وشعوبها ثماره المتزايدة.

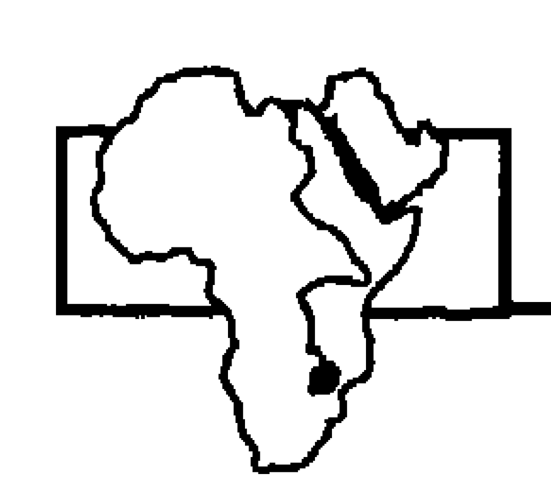
إذن فهو أكثر شخصية تأثيراً في تحقيق نقطة تحول أفريقي إيجاب،ي وفي مجرى وحدة القارة الأفريقية ونهضتها.

وللتعرف على أفكار هذه الشخصية وأطروحاته وكل ما أنجزه لأفريقيا ابتداء من تجمع دول الساحل والصحراء إلى قيام الاتحاد الأفريقي، ومنظمات أخرى أفريقية، انظر:

١) أفكاره الشخصية: www.algathafi.org.al-gthafiyatahaddas

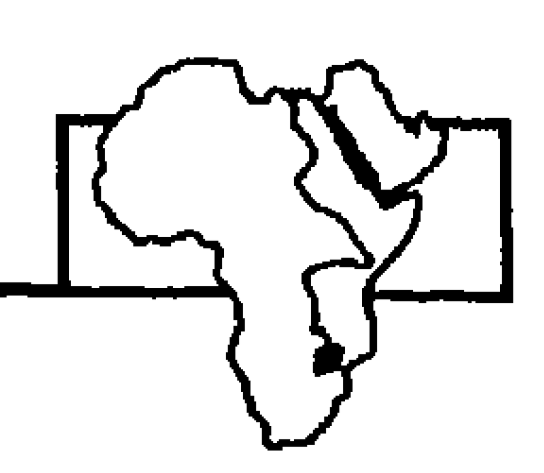
٢) أطروحاته للاتحاد الأفريقي ومستقبله: http://www.africanunion.htm

٣) انظر: مجلة الثقافة العربية، ثقافة عربية أصيلة وفكر إنساني متفتح، العدد الأول السنة السابعة والعشرون، يناير ١٩٩٩م. ص. ص ٦-١١٤، هذا العدد كله خصصت لشؤون لقارة الأفريقية وحدها.



استند في دعوته هذه إلى واقع الكوارث التي أحلت بالقارة الأفريقية في كل جوانبها الناجمة عن المتغيرات الخارجية والداخلية المدمرة، لمقوماتها وإمكانتها البشرية والمادية، وإلى ما سوف تحيق بالقارة وشعوبها من المساوئ والكوارث المصطنعة مستقبلاً والتي سوف تنجم عن الاتجاهات الدولية العولمية القاسية إذا لم تتبادر الدول الأفريقية إلى استجماع ما أمكن من قوتها النفسية والبشرية والمادية المتاحة في شكل الوحدة التكاملية السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية، إما في الشكل الفيدرالي باسم الولايات المتحدة الأفريقية The United states of Africa أو في شكل الاتحاد الأفريقي African Union وأن أي واحد منهما تتبناه الدول الأفريقية سوف يحقق لها ليس الاستقرار ومنع التدهور فحسب، بل سوف يحقق لها النهوض والنمو والتقدم في كل مجالات الحضارة الحديثة.

ولقد قدم الزعيم الليبي العربي الأفريقي الثائر مشروعه إلى زعماء القارة وقادتها مع دراسة مسحية شاملة لكل جوانب مبرراتها الواقعية القاسية الملموسة الشاهدة لكل أنواع المعاناة والبؤس المتواطنة في أفريقيا "وليس مجرد أزمات عابرة" على كافة الأصعدة حكومية وشعبية وبيئية، حتى بات التعريف بكل المساوئ على كوكب الأرض تعرّف على أنها أفريقية، فأي شخص تسأل في أي مكان سواء من القارة أو خارجها، عن أفقر بلاد في العالم فسيجيبك بلا تردد أفريقيا. وعن بلاد تكثر فيها الأمراض فسيجيبك أفريقيا بلا تردد، وعن أكثر البلاد تخلفاً فسيجيبك أفريقيا، وعن أكثر البلاد تشتعل فيها الحروب الأهلية فسيجيبك أفريقيا، وعن أكثر البلاد عدد للاجئين فسيجيبك أفريقا، وهذا ليس فعل الوسائل الإعلامية الدولية إنما هو واقع أفريقي يلمسه الأفارقة قبل غيرهم، حيث أعلى معدلات التدهور الاقتصادي والصحي والتعليمي "أي



تزايد انخفاض معدلات كل ما هو رفاهية وزيادة معدلات كل ما هو بؤس أو فقر".

فتصدر تقارير سلبية عن أفريقيا من هنا وهناك بدراسات وبحوث علمية عن مصائب القارة، فتذكر إحدى التقارير الأمريكية عن اتجاهات عالمية عام ٢٠١٥ أن أفريقيا في هذه الحقبة ستكون أكثر تهمشاً دولياً، وذلك أنها سوف تصل إلى حالة فوضى الديموجرافية مصحوبة بزيادة الأمراض وسوء إدارة الموارد، حين يصل عدد سكان المدن إلى الضعف دون زيادة الموارد، وأن سوء التغذية سيرتفع بنسبة ٢٠%[1] وذلك يعني اكتمال تهميش أفريقيا، حيث تصل أفريقيا إلى أسوأ حالة لن تستطيع معها أن تفيد شعبها في أي شيء.

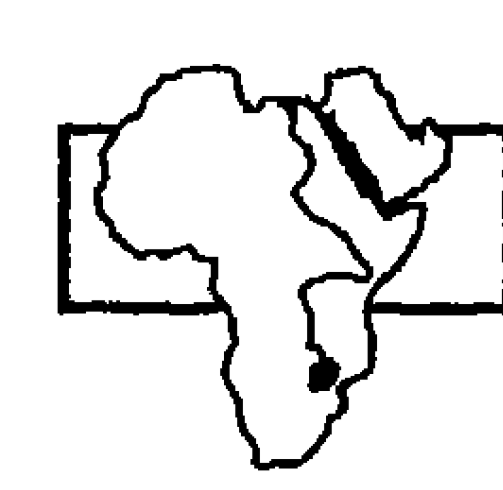
ويؤكد تقرير آخر للأمم المتحدة عام ١٩٩٩م أن القارة الأفريقية لن تستطيع في عام ٢٠٢٤ توفير طعام لنحو ٦٠% من سكانها، الأمر الذي يشير إلى تفشي مجاعات على نطاق غير مسبوق وأن حوالي ٤٨ دولة أفريقية لن تستطيع إطعام أكثر من ٤٠% من شعوبها الذين سوف يبلغ عددهم بعد ربع قرن قرابة المليار[2]. وهذا ما إذا لم تقم أفريقيا بأي تدابير جماعية لإنقاذ نفسها.

ولكن إذا قامت أفريقيا بتدارك نفسها واتخذت تدابير مجتمعية وجماعية على المستوى السياسي والاقتصادي والشعبي في إطار التكتل الحضاري فبإمكانها تفادي كل تلك المساوئ ودرء الكوارث بل والانطلاق نحو النهوض والتقدم. ولعل ذلك كان من أهم عوامل قبول قادة القارة الأفريقية وزعماؤها لمشروع

---

(1) أ.د عبد الرحمن الصالحي، الاتحاد الأفريقي كمنظمة إقليمية.. بين الأمل والحذر، في الاتحاد الأفريقي ومستقبل القارة الأفريقية، بحوث ومناقشات المؤتمر الدولي الذي نظمه مركز البحوث الأفريقية. (معهد الدراسات الأفريقية: جامعة القاهرة، ٢٠٠١/٦/١١) ص١٧٣.

(2) المرجع السابق: ص١٧٤.

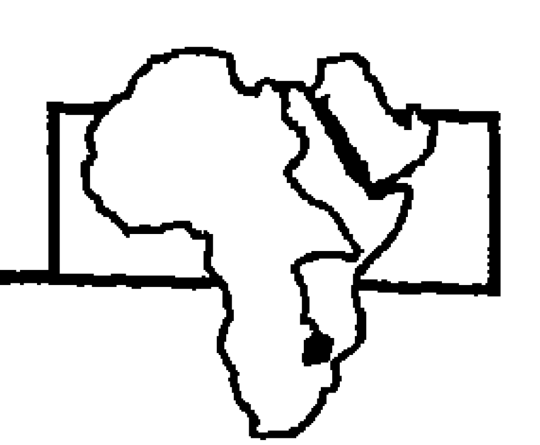


القذافي لإحياء حلم أفريقيا في الوحدة التكاملية في شكل الاتحاد الأفريقي الذي اعتبره القذافي المرحلة الأولى نحو اكتمال الوحدة في الولايات المتحدة الأفريقية في المستقبل على الأسس التي وضعها داعية القرن العشرين الدكتور «كوامي انكروما»(*) .هذا بالنسبة لأفريقيا.

وأما العالم العربي، فقد عاد إليه "دون غيره" الاستعمار العسكري الغربي المباشر من النوع القديم، بنفس المبررات القديمة بالإضافة إلى مبررات استعمارية جديدة وخطيرة، الاستعمار الذي كان من المفروض أن يكون عصره قد انقضى وولى، وأن ينتهي ما بقى من الاحتلال العسكري الاستعماري الوحيد في العالم، "المتواجدة في العالم العربي وحده" وهو الاحتلال الاستعماري الإسرائيلي لفلسطين بحلول القرن الحادي والعشرين؛ فإذا بهذا الاستعمار بدلاً من أن ينتهي نهائياً "كنتيجة للتقدم الحضاري للبشر، القائم على قوانين دولية ودساتير والأعراف والوعي الحضاري العام" فإذا بهذا النوع من الاستعمار القديم يعود بشكل خطير ليمارس على الأمة العربية والإسلامية: "نتيجة لتركهم أنفسهم عرضة لجميع أنواع الاعتداء والظلم".

بل أن مشروع الاستعمار العسكري الغربي الآن أسوأ وأخطر من ذي قبل، ففي الماضي كانت دولة استعمارية غربية وحدها التي تقوم بغزو الدولة التي تريد استعمارها، **أما الآن فإن الاحتلال الاستعماري من نوع فريد وخطير، وهو الاستعمار الجماعي، حيث تتحالف مجموعة من الدول الغربية لغزو دولة عربية أو إسلامية معنية "بمبررات أسوأ وأخطر" حيث تحاك عليها مجموعة من الأكاذيب والافتراءات الملفقة، ومن ثم ترويجها وحشد التأييد الشعبي والدولي**

(*) *See: http//: www.africanumion.htm.*



لهذه الأكاذيب الاستخباراتية ويتم غزو الدولة الضحية(*) مع إقناع جيران هذه

(*) فغزو العراق مثلاً حياً لهذا النموذج الاستعماري المسمى بالنظام العالم الجديد، فبعد مرور قرابة أربع سنوات من غزو القوى الاستعمارية الغربية للعراق "مع تهديدات شديدة بغزو دول أخرى بالمنطقة، بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا واستراليا، اتضحت للعالم أجمع، بما لا يضع مجالاً للشك، أن الولايات المتحدة الأمريكية وحلفائها، تبنت حزمة من الأكاذيب الاستخباراتية الحاقدة، ودلالات منسوجة وروجتها ترويجاً إعلامياً ضخماً، حتى بدت كأنها حقائق صحيحة، وأقنعت بها العالم بما في ذلك العالم العربي، بضرورة غزو العراق، حتى أن الذين كشفوا للعالم تلك الأكاذيب هم ذو الضمير الحي من الشعب الأمريكي نفسه، وللمعلومات عن أكاذيب أمريكا المنسوجة لغزو العالم العربي والإسلامي: انظر:

١) خرافة التفوق الأمريكي: The Bubble of American Supermacy

لمؤلفه "جورج سوروس: George Soros" ويكشف هذا الكتاب الأكاذيب والافتراءات التي استند إليها جورج بوش وأعضاء حكومته لغزو العالم العربي والإسلامي، وزعزعة الأمن والسلم العالميين، وقد نشر ملخص لهذا الكتاب في أخبار اليوم العدد ١٣٠٩ السبت ٩ من ذي الحجة ١٤٢٤هـ الموافق ٣١ يناير ٢٠٠٤م.

2) American Dynasty Aristoceracy, and the policy of decit in the house of Bush.

انتبه إلى ترجمة العنوان التفصيلي لهذا الكتاب "السلالة الحاكمة في أمريكا: الاستقراطية المال وسياسة الخداع في بيت بوش" لمؤلفه كيفين فيليب Kevin Phillips ويكشف مخططات أمريكا لغزو العالم العربي والإسلامي والسيطرة على ثرواتها البترولية فضلاً عن استعماره وقد نشر ملخص منه في أخبار اليوم. العدد ٣٠٩٣ فبراير ٢٠٠٤م.

وتوجد كتب ومجلات متخصصة وتحقيقات صحفية ودراسات متنوعة في كل أنحاء العالم تثبت أكذوبة أمريكا وحلفائها لغزو العراق ، ولم تستطع أمريكا نفسها إثبات شيء واحد من مجموعة الأكاذيب التي اتهمت بها العراق من امتلاك العراق للسلاح النووي والكيماوي "أي أسلحة الدمار الشامل" ولم تستطع أن تثبت أن للصدام علاقة بالقاعدة، ويكفي اعتذار وزير الخارجية الأمريكي، كولين باول: Colin Powell

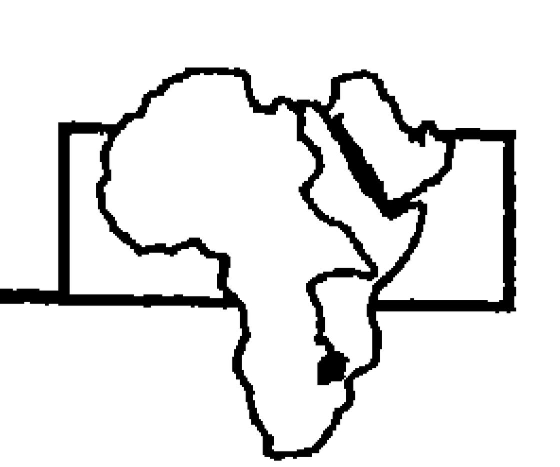
=

الدولة الضحية بدعم غزوها وإبعاد أي صديق عنها، وعندما يتم الغزو؛ فإذا واجهت الدول المتحالفة مقاومة شعبية، فسوف تستعين بقوة متحالفة أخرى ذات عتاد عسكري أضخم وأخطر، وهي حلف «ناتو»، كما يحدث الآن مع أفغانستان لأن عمليات توسيع نطاق هذا الحلف وتقويته ليس من فراغ، وها قد تم غزو العراق بطريقة تحالفية بالمبررات الكاذبة المختلقة وجاري تدمير كل شيء فيها من المنشآت والكوادر العراقية العلمية والفكرية والرياضية بالقتل والتشريد من أجل قتل حضارتها وجعلها دولة متخلفة، ودول عربية وإسلامية أخرى مرشحة لكل ما حدث للعراق وأفغانستان لجعل جميع الدول العربية والإسلامية أكثر تخلفاً وضعفًا.

وبوادر غزوات أخرى للدول العربية والإسلامية الأخرى جارية الآن تقوم بها أمريكا وحلفاؤها، **وهذه المرة تستخدم استراتيجية ماكرة وشريرة جدًا وهي إحداث الفتنة بين الدول العربية وإيقاع بينها وبين جيرانها، فضلاً عن دعمها أي نزاع ينشأ داخل أي دولة عربية بل وتعمل على نشوء تلك النزاعات الداخلية حتى تشتعل وتتفاقم، وبالتالي تتمكن من التدخل المباشر وتقوم بمساعدة فريق ضد آخر وتسميته بصديق، وتطلب منه مساعدة لغزو جاره، وهكذا تفرق بين الدول العربية والإسلامية بالنفاق والنميمة، حتى تستطيع أن توجه تهديدات ضد كل دولة منفردة، والعجيب أن كشف أكاذيبها وافتراءاتها لم تمنعها من التلاعب بالأمة العربية والإسلامية، والأعجب من ذلك؛ أن تجد القوى الاستعمارية آذاناً صاغية لألاعيبها**

=

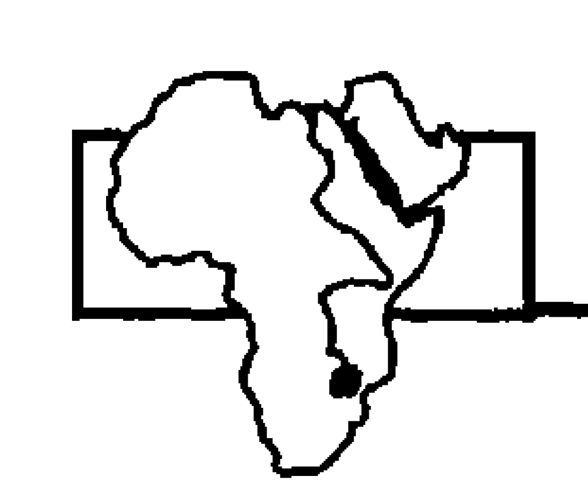
للشعب العراقي وللعالم عن التمثيلية الكاذبة التي قام بها هو شخصياً في مجلس الأمن عام ٢٠٠٣ للإثبات أن العراق تمتلك أسلحة الدمار الشامل.



الشريرة وإذعانًا لأوامرها في العالم العربي والإسلامي بل والتعاون معها، لا أقول ضد الآخر الشقيق أو الجار لكن إعطاء فرص تحقيق مخططاتها ضد البعض في الشرق الأوسط.

والآن، فإذا لم تتوحد الدول العربية وتقف صفاً واحدًا ضد ألاعيب الغرب عليها، فسوف تفقد الأمة العربية الأصدقاء والمناصرين لقضاياها فالهند والصين وروسيا التي كانت تعتبر صديقة ومناصرة لقضاياها، قد بدأت هذه الدول الصديقة تبتعد عن العرب رويداً رويدًا؛ فالهند والصين بدأتا منذ فترة ترفعان أيديهما عن العرب بطريقة أو بأخرى وتتجهان إلى الارتباط أكثر مع إسرائيل. وروسيا تلعب مع العرب على وجهين، منذ وقف العرب مع الغرب لغزو العراق أو أعطوا فرصة للغرب في ذلك، ولم يعترضوا بل قدم بعض الدول العربية دعمًا كبيرًا للغزاة، وباكستان انطلق لشأنها وأصبحت أكثر ارتباط بالقوى الاستعمارية لو طلبت منها المساندة لغزو جارها لهرعت إلى الاستجابة، وأفريقيا التي لا تريد أن تتخلى عن العرب ولكنها لا تعرف كيف تقف مع العرب، إذ لا يوجد موقف للعرب حتى تقف أفريقيا معهم، كما يقول بعض زعماء أفريقيا.

وجاء الدور الآن على إيران، وهي دولة إسلامية جارة ذات الجنب الجغرافي والديني، وربما ذات القرب للدول العربية، جاء الدور عليها أن تبتعد هي الأخرى عن الأمة العربية وعن دعم قضاياها، لأن الغرب الاستعماري يعمل جاهداً على دفع الدول العربية إلى الوقوف ضده، لذا يعمل الآن على الإيقاع بينهما باسم الشيعة والسنة الذين عاشوا مع بعضهما البعض لأكثر من ألف وربعمائة عامًا دون العداوة المدمرة، ولم يبق إلا أن تأتي أمريكا والغرب لتخبر العرب بخطر إيران الشيعي، وتجد آذانًا صاغية من الأمة العربية، واستجابة لما



تريد من تحذيراتها عليهم وبدأنا نسمع لأول مرة من زعماء العرب ينتقدون إيران ويتهمونها بمحاولة نشر مذهب الشيعة على أهل السنة، والتدخل في شئون الدول العربية وهذا ما نسمعه ونقرأه من المثقفين العرب في البرامج التليفزيونية وفي الإذاعات العربية.

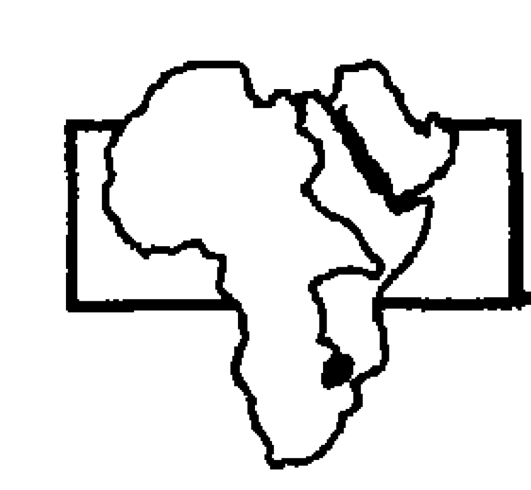
إيران التي ناصرت المسلمين في البوسنة والهرسك في ١٩٩٣م بالسلاح للدفاع عن أنفسهم عندما طلب الغرب تحريمهم من سلاح للدفاع عن أنفسهم. إيران التي ناصرت لبنان في مقاومتها للاحتلال الإسرائيلي، فلولا فضل الله ثم بفضل مساعدة إيران لحزب الله لحلت بالعرب كارثة احتلالية أخرى في حرب أغسطس ٢٠٠٦م عندما قام الغرب بمعاونة إسرائيل لغزو لبنان وتدميرها ومدها بسلاح أكثر فتكًا بالإضافة إلى العتاد العسكرية التي تمتلكها إسرائيل فنجًا الله الأمة الإسلامية العربية من الكارثة والإذلال والمهانة التي أرادت إسرائيل والغرب إلحاقها بالأمة العربية في لبنان.

ويقول العرب أن إيران تحتل جزر تابعة للإمارات، ولكن إيران لا تمارس أي نوع من أعمال استعمارية عليها، ولا تهدد باحتلال أية دولة خليجية أو جيرانها على الإطلاق كما تفعل إسرائيل من ممارسات استعمارية في أراضي سورية وفي أراضي فلسطين ولبنان، وتهدد بضرب سورية، وإيران التي لم تقم بغزو أية دولة عربية من قبل بل العكس هو الصحيح، فالعرب هم الذين قاموا بغزو إيران.من خلال الحرب العراقية الإيرانية في الثمانينات من القرن العشرين.

لقد باتت الأمة العربية تخاف من إيران "وإن كان ذلك غير مبرر إلى هذا الحد، لأن الغرب هو الذي أوهم الأمة العربية بهذا الخطر الإيراني المزعوم" **وباتت تخاف من إسرائيل النووية المحتلة للأراضي العربية ومستعمرها، وهذا مبرر، لأنها عدو لدود لا يرقب في المؤمن إلاّ ولا ذمة، وتضرب بعرض الحائط كل القوانين**

والدساتير الدولية، قلما تنفذ معاهدة، فضلاً عن أن الغرب لن يمنع إسرائيل عن أي شيء ضار تفعله، بأي دولة عربية مهما انتهكت المواثيق، ولن تفرض عليها أية عقوبة، ولن يهددها بأي شيء من هذا القبيل ولن يدينها حتى مجرد إدانة وتستطيع إسرائيل أن تفعل بالمسجد الأقصى كل ما تريد من حفريات بما في ذلك هدم أجزاء منه أو كله إذا ما قررت لأنها ضمنت أن الغرب وما يسمى بالمجتمع الدولي لن يعاقبها على الإطلاق بل سوف يعاونها الغرب لتدمير أي دولة عربية إن هي قررت ذلك، إذا لم تقم هذه الدولة العربية بالدفاع عن نفسها كما فعلت لبنان عام ٢٠٠٦م، فالدولة مثل هذه -أي إسرائيل- أحق أن يتخوف منها العرب، وليس إيران التي لم تشكل خطرًا من قبل ولا الحاضر ولا تدعمها أي قوة دولية لكي تؤذي الآخرين. على سبيل المثال لو فكرت إيران في غزو أي دولة خليجية هل سيتركها الغرب تفعل ذلك أو تساعدها على ذلك؟ كلا وألف كلا بل ستقف كل القوى الغربية لتمنعها فورًا، ونفس الشيء لو قررت إسرائيل غزو أي دولة عربية وتدميرها هل سيمنعها الغرب ويقف ضدها؟ كلا وألف كلا بل ستدعمها وتباركها وتجازيها خير الجزاء، إذن فلا خوف من إيران، بل كل الخوف يجب أن يكون من إسرائيل وإسرائيل و إسرائيل، فاعتبروا يا أولي الألباب.

ثم إن العرب يخافون من الغرب، فلهم كل الحق في ذلك، بل العالم الثالث كله يجب أن يتخوف من الغرب، **لأن الغرب يخطط لغزو الدول العربية واحدة تلو أخرى وينفذ مخططاتها بالغزو الفعلي، ويستخدم منظمة الأمم المتحدة في إصدار قرارات حسب هواه للإضرار بالدول العربية والإسلامية وإخضاعها بعقوبات وبغزوات، والتخطيط الغربي جاري الآن على قدم وساق لإخضاع الدول العربية والإسلامية بعقوبات أو بغزوات إن لزم الأمر إخضاعًا كاملاً وتركيعها، فمؤتمر**



ميونخ في ألمانيا ٩-١٠ فبراير ٢٠٠٧ يؤكد التصميم على تنفيذ كل هذه المخططات الغربية والإسرائيلية ضد العرب والمسلمين.

فما الحل إذن والعرب يتوجسون خوفًا من هذه الأطراف؟ إسرائيل والغرب وإيران؟ ولو أن التخوف من إيران غير مبرر، لكن الحل هو أن يتحدوا ويتكتلوا ويقفوا صفًا واحدًا لحماية أنفسهم من شرور أو أضرار كل تلك الأطراف، أو على الأقل أن يقفوا صفًا واحدًا في اتخاذ موقف تجاه ما يحدث وسوف يحدث في بلادهم، عندئذ سوف يعود إليهم الأصدقاء، الصين والهند وروسيا عندما يكون لهم موقف قويًا تجاه أي قضية في ساحتهم.

الخلاصة: مما سبق لموضوع النتائج المترتبة على عدم الوحدة التكاملية للدول الأفريقية كما دعى إليها دعاة الوحدة في الستينيات من القرن الماضي، وكذلك العواقب الوخيمة الناجمة عن تشتت الأمة العربية؛ لقضية مصيرية للأمتين، قد أثرتها، بل ويجب أن يثيرها كل أفريقي وعربي في كل محفل وملتقى، ليس من أجل توبيخ الزعماء الأفارقة وقادة الدول أو ذم قادة العرب بعد استقلال دولهم في تلك الفترة، لربما كان الوقت مبكرًا ولم يكن وعيهم بتلك النتائج السيئة أكثر وضوحًا ورسوخًا، ودولهم حديثة الاستقلال أو كانوا يعتقدون أن القوى الاستعمارية سوف تتركهم بسلام يبنون رفاهية شعوبهم بحرية تامة. ولكن أثرت هذا الموضوع من أجل أن تتكتل الأمتان الأفريقية والعربية بعد أن رأوا البراهين الساطعة من النتائج الوخيمة الفعلية التي لحقت بهما والتي سوف تلحق بهما من أزمات ونكثات اقتصادية وأمنية وآثارها الاجتماعية والنفسية والحضارية المدمرة، إن لم تفق وتتكامل وتتجه نحو بناء الأمم المتحدة الأفريقية ***United states of Africa (U.N.A)*** بدلا من ***(U.S.A)*** والدول العربية المتحدة مستقبلاً: ***(United states of Arab)***

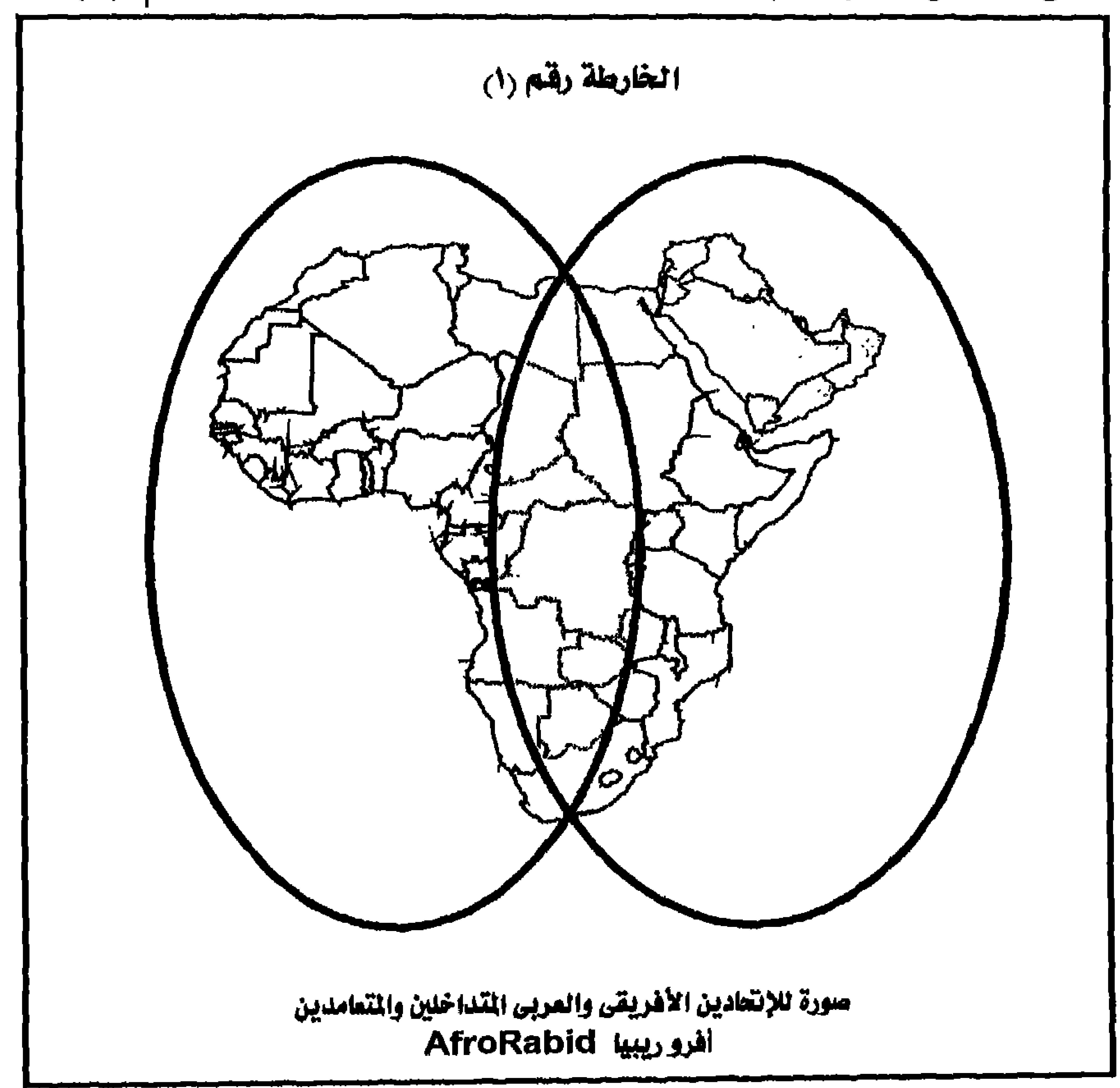


الفصل الثاني
الواقع الجغرافي والبشري
للوحدة الأفريقية العربية
* وحدتان متداخلتان ومتعامدتان. * أفروريبيا.
* الصلات بين أفريقيا وعربيا قديمًا.
* الاتصال العربي المتميز بأفريقيا.
* مناطق الاتصال قبل الإسلام.
* لم يكن الأفريقي غريبًا في شبه الجزيرة البلاد العربية.
* الأقدار التي جمعت بين العرب والأفارقة.
* من حيث الهجرات.
* من حيث الرابطة الدينية
* من حيث الموارد.
* واجبات مشتركة.
* رسالة إلى حكومة السودان
وقيادات المتمردين في دارفور

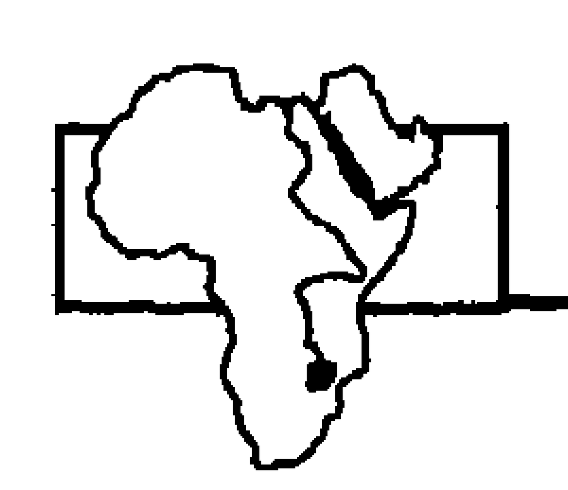
ربما يتبادر إلى ذهن القارئ سؤال: عن لماذا الكلام عن الوحدة الأفريقية والعربية معًا، وليس عن الوحدة الأفريقية منفصلة عن الوحدة العربية..؟

وفي الحقيقة، أن الواقع الجغرافي والواقع البشري، والظروف التاريخية والمعاصرة تجيب على هذا السؤال..**فطبقاً لهذه الحقائق والظروف؛ لن توجد وحدتان منفصلتان، إحدهما أفريقية صرفة، وأخرى عربية صرفة.. فعندما تتحقق لأفريقيا وحدة؛ فإنها في الواقع الملموس وحدة أفريقية وعربية معًا، وعندما تتحقق للعالم العربي وحدة، فإنها في الواقع الملموس ستكون عربية وأفريقية معًا.. "شئنا أم أبينا" وعندما تتحقق وحدتان أفريقية وعربية في وقت متزامن فإنهما سيشكلان وجهين لعملة واحدة، لأنهما سوف تكونان وحدتين متداخلتين متعامدتين**، انظر الخريطة رقم (١).

الخارطة رقم (١)

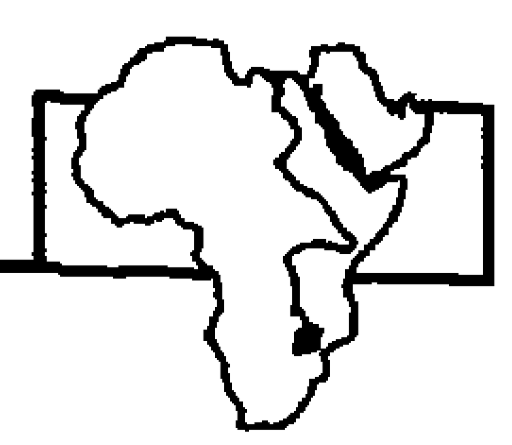


صورة للإتحادين الأفريقى والعربى المتداخلين والمتعامدين
افرو ريبيا AfroRabid

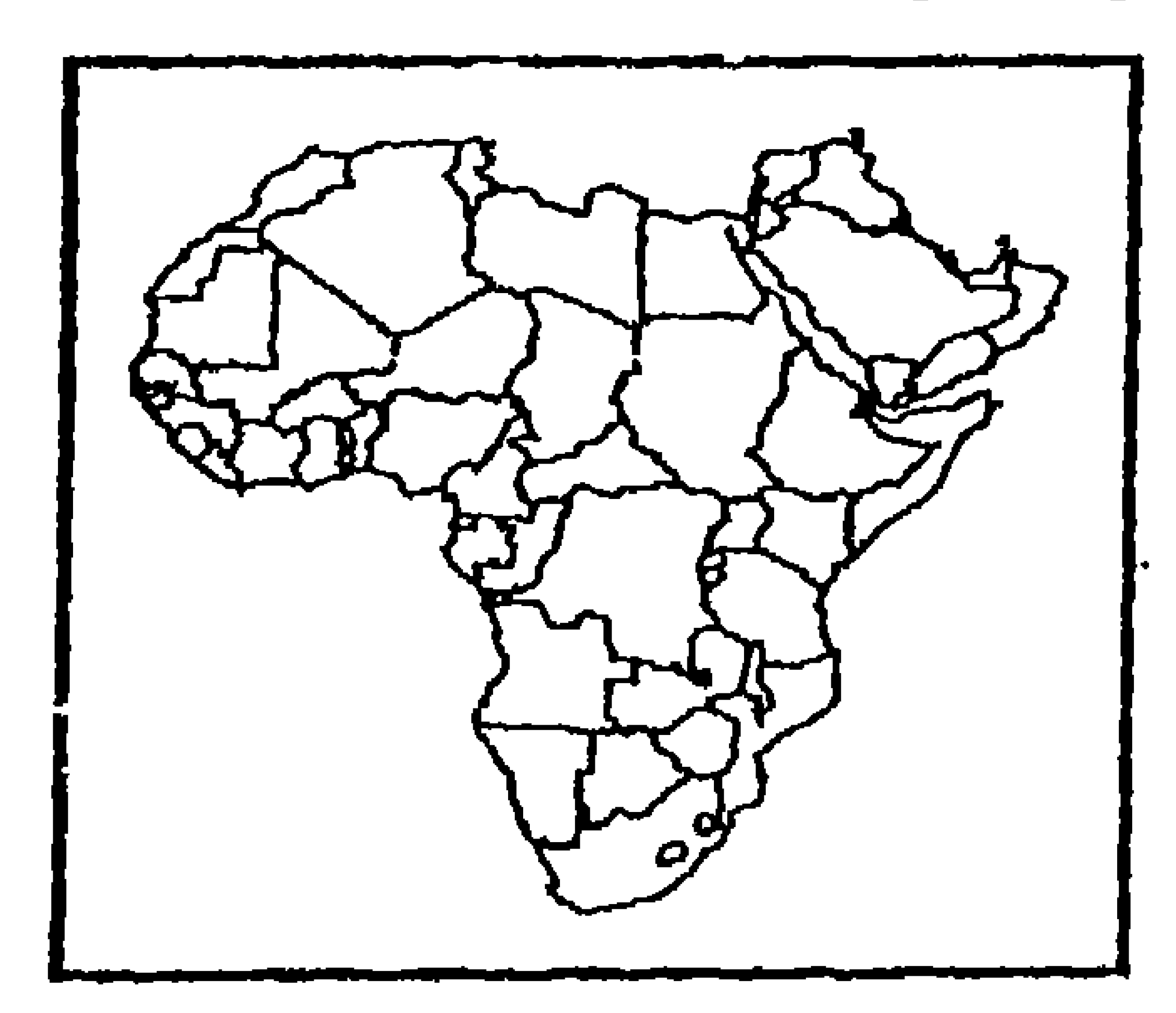


فهتان الوحدتان الأفريقية والعربية المتداخلتان والمتعامدتان، (في، وعلى) **بعضهما البعض،** يمكن إطلاق اسم قاري عليهما، يرمز به إليهما، وهذا الاسم القاري هو: أفروبيا *AfroRabia* هكذا: بإلغاء حروف *ica* من كلمة *Africa* وإلغاء حروف A من كلمة *Arabia* عربية، والتوصيل بينهما بحرف (و ، O) باعتباره الرابط بينهما، وكذلك إلغاء الشرطة القصيرة التي كانت تتوسط بين: "أفرو-عربيبا *Afro-Arabia* " فبدلاً من هذا المصطلح القديم الذي أطلق على العلاقات بين أفريقيا والعالم العربي، رمزًا للعلاقة بين كيانين منفصلين في القرن الماضي، يطلق اسم قارئ جديد *A New Continental Title* على الوحدة الأفريقية والعربية المتداخلتين المتعامدتين يلحق الجزء العربي من قارة آسيا بالقارة الأفريقية الأم، فتصبح أفروبيا: *AfroRabia*(*) باعتبار أن شبه الجزيرة العربية جزء من القارة الأفريقية، قائمة على أساس جغرافي طبيعي، وإشارة إلى أن حدود القارة الأفريقية لا ينتهي عند الشاطئ الغربي للبحر الأحمر، كما اعتاد الجغرافيون رسمه وتسميته، وإنما ينتهي حدودها في بعض نظريات جغرافية عند الخليج العربي شرقًا، وعند حدود العراق مع كل من إيران وتركيا في الأناضول، وكذلك عند

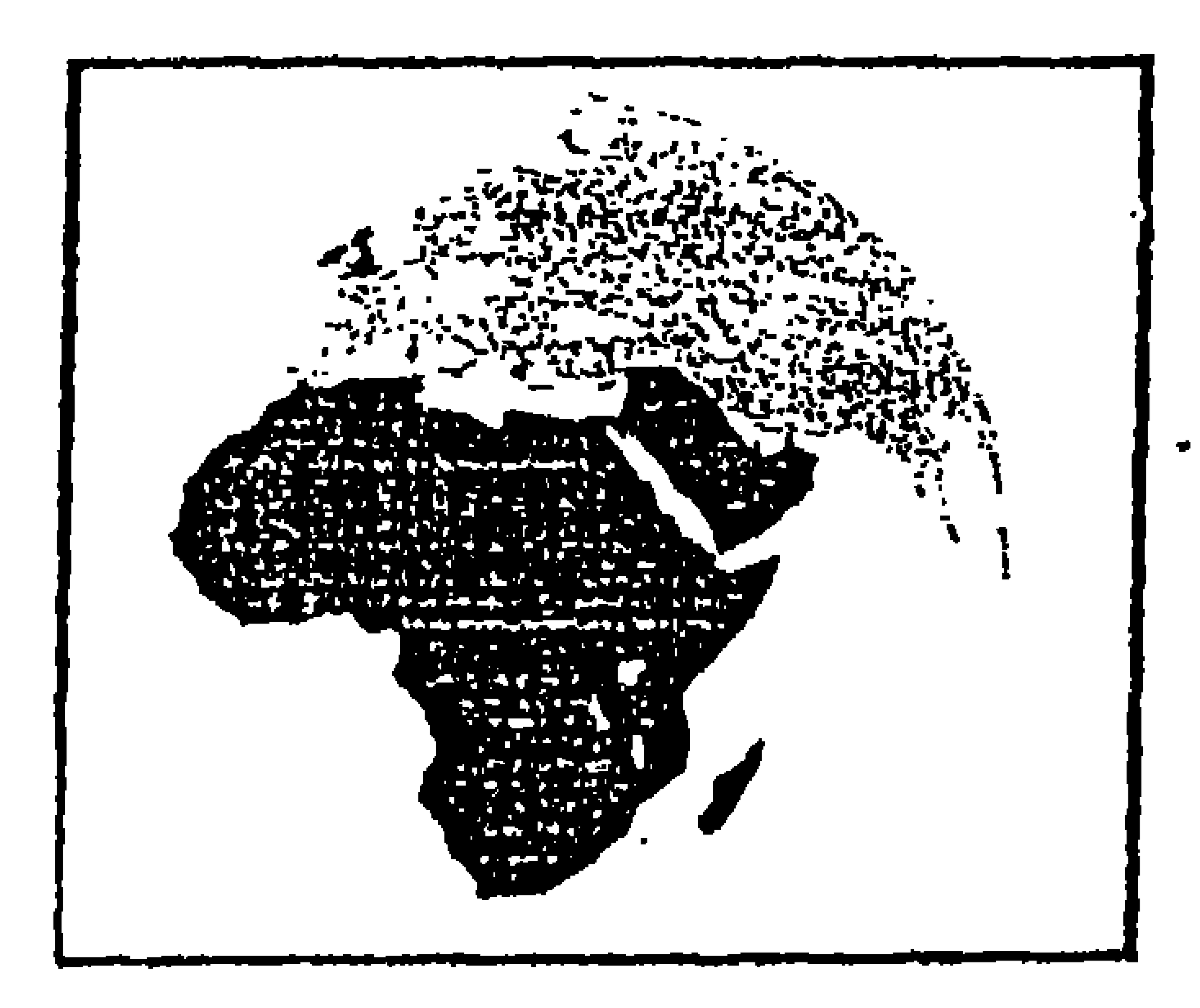
(*) أفرورببيا: AfroRabia مصطلح جديد خاص بهذه الدراسة وأعني به العالمين؛ "الأفريقي والعربي" معًا، ولهذا المصطلح الجديد المقترح من الباحث، مفهوم ومدلول أوسع وأعمق من المصطلح الأفريقي العربي السابق أفروعربيبا Afro-Arabia الذي كان يفصل بينهما شرطة قصيرة والمشار به إلى مجرد العلاقات الثنائية بين العالمين، أما المصطلح الجديد المقترح، ولئن كان الحرف R في وسط المصطلح الحروف الكبير Capital ، إلا أنه لا يعني الفصل، وإنما هو الجانب الفني لكتابة المصطلح الذي يرمز إلى اسم قاري مندمج، يلحق الجزء العربي من قارة آسيا بالقارة الأفريقية الأم، باعتبار شبه الجزيرة العربية جزء منها على أساس جغرافي طبيعي.



حدود سوريا مع تركيا(*) هذه من ناحية الصلة الجغرافية بالاحتصار بين القارة الأفريقية وشبه الجزيرة العربية والعراق والشام انظر الخريطة رقم (٢) و(٣).



هذه صورة للقارة الأفريقية
فى بعض النظريات الجغرافية



هذه الخريطة توضح
حدود القارة الأفريقية من قارة أسيا

(*) وللمعلومات عن مفهوم أفرو-عربيبا وأيضاً المفهوم أن شبه الجزيرة العربية جزء طبيعي من القارة الأفريقية والدعوة إلى بناء الوحدة الأفريقية العربية الأكثر تكاملياً انظر دراسات رائدة في ذلك:

١) د. علي مزروعي: قضايا فكرية أفريقية والإسلام والغرب، ترجمة د. صبحي قنصو وغيره. القاهرة: مركز دراسات المستقبل الأفريقي، ١٩٩٨) ص. ص. ١٤١-١٥٧ وانظر كتاباته بالإنجليزية.

2) Mazrue. The Africans A Triple Héritage. (London, BBC, Publications and Boston, Liltle Brown press 1986).

3) C.MC Evedy. the penguin Atlas of African History. (Harmandesworth Middlesex: penguin Books, 1980).

والدكتور علي الأمين مزروعي: كيني Kenyan الأصل، مسلم، وهو مدير معهد دراسات الثقافة العالمية في الولايات المتحدة الأمريكية، وهو أيضًا من أبرز المشاركين في برنامج إعادة كتابة تاريخ أفريقيا العام الذي أنجز تحت إشراف اليونسكو UNESCO عام ١٩٩٧م، ويعتبر الدكتور مزروعي من أقوى دعاة الوحدة الأفريقية العربية وإقامة روابط أقوى مما هي عليه.

الصلات البشرية بين أفريقيا وعريبيا(*):

الصلات البشرية بين شعوب القارة الأفريقية الأم وبين شعوب شبه الجزيرة العربية في العصور ما قبل الإسلام وما بعده إلى اليوم تؤكد طبيعة الصلة الجغرافية بين القارة الأم وشبه الجزيرة العربية الابنة، حيث كانت القارة الأفريقية دائمًا جاذبة للشعب العربي إليها أكثر من أي شعب آخر "كجذب الأم لابنائها" وليس بعد الإسلام (فحسب) بل في عهود ما قبل الإسلام، فهذه الجاذبية حطمت حاجزين طبيعيين كانا كفيلين بمنع الاتصال بين شعبي القارة، وخاصة توجه العرب إلى أفريقيا.

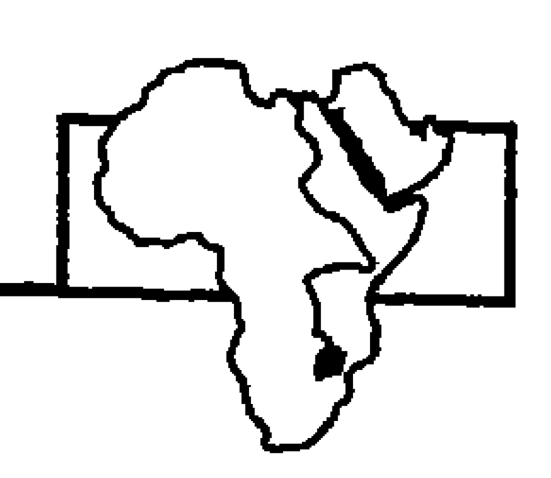
الحاجز الأول الحاجز المائي المتمثل في البحر الأحمر:

الحاجز الثاني: الحاجز اللوني والمتمثل في لون بشرة شعوب القارة الأم.

فهذان الحاجزان لم يمنعا العرب من التوجه إلى القارة الأفريقية والتواصل مع شعوبها أكثر من توجههم إلى قارات أخرى لا توجد بينها وبين الجزيرة العربية مثل تلك الحواجز، مثل آسيا وأوروبا، فليس بينها وبين الجزيرة العربية لا حاجز بحري ولا حاجز لوني، ورغم ذلك لم تكن هجرة العرب إليهما بكثرة والتواصل العرقي مع شعوبهما مثل كثرة هجرة العرب إلى أفريقيا والتواصل العرقي مع شعوبها(**) والكلام هنا عن الهجرات العربية والتواصل العرقي

(*) عريبيًّا Arabia في هذه الدراسة تعني العالم العربي.

(**) لست هنا بصدد حشد المصادر والمراجع للتأكد على الصلة البشرية التاريخية بين الأفارقة والعرب بقدر ما أحاول تقديم ما يتفق عليه الباحثون والمؤرخون الأفارقة والعرب على السواء ورؤيتهم لهذه الصلة وعلى مدى العصور، فلذلك رجعت إلى أهم المرجعية التاريخية الأفريقية الأكثر اتفاقا عليها، والأكثر مصداقية وهي التاريخ الأفريقي الذي أعاد تصحيحه وكتابته المؤرخون الأفارقة والعرب المتخصصون في علم التاريخ والسلالات البشرية والأثرية والخطوط واللغات، الأعضاء في اللجنة =



العلمية الخاصة التي شكلت لهذا العمل الحضاري العظيم تحت إشراف اليونسكو UNESCO بعنوان تاريخ أفريقيا العام General History of Africa باعتباره الموسوعة الأفريقية المصححة للتاريخ الأفريقي وتحظى بصفة رسمية والتي تم إصدارها لأول مرة عام ١٩٩٢م ويصل عدد مجلداتها (ثمانية) مجلدات،بلغ عدد صفحات كل مجلد ٨٠٠ صفحة من النصوص وتغطي جميع جوانب التاريخ البشري والطبيعي السحيق يربو على ثلاثة ملايين سنة من تاريخ القارة الأفريقية. وقد ترجم إلى مختلف اللغات من بينها اللغة العربية وتوجد في مكتبات في كل أنحاء العالم على أن الغرض من هذه الدراسة التي بين يديك ليس مجرد السرد للتاريخ الأفريقي بقدر ما هو التحليل من أجل معالجة القضايا الأفريقية والعربية المصيرية، في سياق الدعوة إلى الوحدة الأفريقية والعربية، وأيضًا سيكون الاعتماد على الواقع الديموجرافي الأفريقي العربي في هذه القارة باعتبارهما سكان القارة الأساسيين، وهو أكثر واقعية من أي مصدر آخر اليوم، حيث يبلغ عدد الدول العربية في القارة الأفريقية ١١ دولة من أصل ٥٤ دولة أفريقية. ويبلغ عدد سكان العرب في القارة حوالي ٢١٤ مليون نسمة بنسبة (٢٠%) من مجموع سكان القارة الأفريقية البالغ عدده ٩٠٠ مليون نسمة، معنى ذلك أن عدد السكان العربي في القارة الأفريقية أكثر من مجموع سكان شبه الجزيرة العربية والشام والبالغ عدده ١١٧ مليون نسمة. وللمعلومات عن الاتصالات البشرية القديمة بين أفريقيا وشبه الجزيرة العربية، انظر:

1) *general History of Africa, Vol. 2, The Ancient African Civilizations. UNESCO international Scientific Committee for the Drafting of a General History of Africa. (7 place De fontenoy 15700 paris, 1992):*

٢) تاريخ أفريقيا العام المجلد الثاني. وتوجد هذه المجلدات بنسختيها الإنجليزية والعربية بمكتبة معهد البحوث والدراسات الأفريقية بجامعة القاهرة.

وعن مصادر عدد سكان أفريقية وعربية انظر:

2- www.or.wiklpedia.org the main page.

3- www.project-syndicate.org.

٣- وللمعلومات عن أحدث تعداد سكان العالم بما في ذلك أفريقيا والعالم العربي: زيارة

الاجتماعي مع الشعوب الأفريقية في عهود ما قبل الإسلام.

الاتصال العربي المتميز بأفريقيا:

وأود أن أؤكد هنا أن العرب هم خير من اتصل بالشعوب الأفريقية وخير من تعامل معها من الشعوب الأخرى، التي اتصلت بالأفارقة قديمًا.

ذلك أن العرب في عصور ما قبل الإسلام بقرون عدة أو آلاف السنين لم يكونوا وحدهم من اتصل بأفريقيا في تلك الأزمنة البعيدة أي في عصور ما قبل الميلاد، لكن الاتصال العربي بأفريقيا كان متميزًا إلى حد كبير، فقد شاركهم في هذا الاتصال كل من الإغريق والرومان والفرس للتجارة أيضًا، ولكن هؤلاء جميعًا منعهم الحاجز اللوني عن التواصل الاجتماعي والتزاوج مع الشعوب الأفريقية، أو إنشاء مناطق للإقامة في شرق أفريقيا.

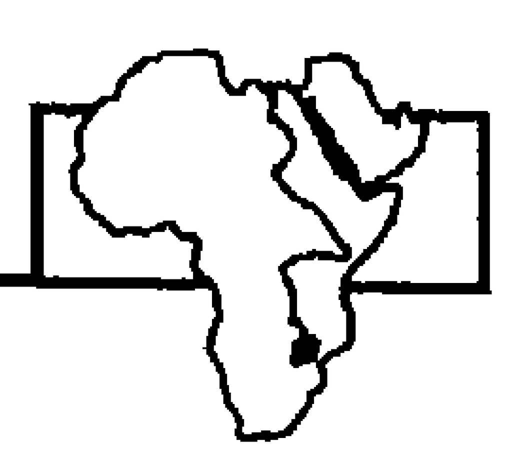
أما العرب، فبالرغم من اختلاف اللون بينهم وبين الشعوب الأفريقية، حيث البياض العربي والسواد الأفريقي؛ إلا أن العرب لم يمنعهم هذا من أن يقيموا علاقات اجتماعية وعرقية مع الأفارقة مثلما استنكف كل من الإغريق والرومان والفرس، فتزوج العرب ببنات زعماء أفريقيا وببنات أوساط المجتمعات الأفريقية وأنشأوا مناطق الإقامة والتعايش مع الأفارقة.

لكن الأجناس الأخرى التي كانت تشارك العرب في التجارة في أفريقيا كانت تأتي للتجارة من حيث البيع والشراء فقط، وحتى في التجارة نفسها كانوا يتأففون عن التعامل المباشر مع الأفارقة، وكان العرب هم الوسطاء، ووكلاء

=

موقع الأمم المتحدة للشئون الاقتصادية والاجتماعية *Unpopulotion.org*

٤) التكامل الاقتصادي العربي في ظل الانفتاح على العالم. في الأهرام الاقتصادي العدد ١٩٠ أكتوبر ٢٠٠٣، ص٥٢.



التجارة بينهم وبين الشعوب الأفريقية(*).

ومن هنا نستطيع أن نقول أن الأفارقة والعرب كانا يألفان بعضهما البعض، فلم يكن العربي غريبًا أبدًا لدى الأفريقيين في المناطق التي تم هذا الاتصال بينهما، وتستطيع أيها القارئ أن تتعرف على هذه المناطق بكل سهولة جدًا جغرافيًا وعرقيًا.

مناطق الاتصال العربي بأفريقيا قبل الإسلام:(**) تمتد مناطق الاتصال

(*) على أن أقدم المصادر التاريخية التي تحدثت عن حالة العرب في سواحل شرق أفريقيا، تمثلت في كتاب وضعه أحد الملاحين الإغريق في سنة ٦٠ ميلادية باسم "الدليل الملاحي للبحر الإريتري The periplus Maris Erythrean والبحر الإريتري كان يطلق على الجزء الغربي من المحيط الهندي الملامس لسواحل شرق أفريقيا والجزء الجنوبي من البحر الأحمر للساحل الشرقي لأفريقيا، ولهذا الكتاب ترجمة إنجليزية بعنوان The periplus of Erythrean Sea

انظر: ١) د. جمال زكريا قاسم، الروابط العربية الأفريقية قبل حركة الكشوف الجغرافية وبدء حركة الاستعمار الأوروبي في القرن الخامس عشر. في العلاقات العربية الأفريقية دراسة تاريخية للآثار السلبية للاستعمار (القاهرة: معهد البحوث والدراسات العربية منظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ١٩٧٧) ص١٠.

٢) جمال زكريا قاسم: الأصول التاريخية للعلاقات العربية الأفريقية (القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٩٦) ص. ص. ٦٣.

3) See also: Roland Oliver: the History of East Africa Volume 1 (Oxford university press El House, London W.I, 1963). P 122.

(**) لم يتمكن المؤرخون من تحديد تاريخ لبداية هجرة العرب إلى أفريقيا قبل الإسلام، ولكن تمكنوا من تحديد مناطق هجراتهم، ويرى المؤرخون أن أوائل هجرات العربية إلى أفريقيا ربما بدأت خلال ألف عام قبل الميلاد ولفترات غير معروفة، وأكثر الهجرات العربية وضوحًا كانت هجرات بعض القبائل العربية من شبه الجزيرة العربية عبرت البحر الأحمر واستوطنت منطقة إريتريا. في الفترة من ٥٠٠ عام قبل الميلاد. وسرعان من جعلت لنفسها سيادة على الشعوب والقبائل الكوشية [النوبية] التي

العربي بأفريقيا قبل الإسلام من سيناء بمصر شمالاً على امتداد الشاطئ الغربي للبحر الأحمر حتى باب المندب جنوبًا وتقع على هذه الشواطئ اليوم الدول الأفريقية التالية:

أولاً: شرق السودان، وإريتريا، جيبوتي وشرق الحبشة وشرق الصومال من حيث الشاطئ الغربي للمحيط الهندي وأنشأوا بها حضارة عرفت (بحضارة فترة شبه الجزيرة العربية *The era of Arabian peninsula civilization*)[1].

ثانياً: شواطئ جنوب شرق أفريقيا: من القرن الأفريقي حتى نهاية الحدود الجنوبية لتنزانيا أي من القرن الأفريقي من الصومال حتى تنزانيا والجزر المطلة على هذا الشاطئ وتقع على هذه المناطق اليوم كل من الصومال وشرق كينيا وجزر القمر وزنجبار، وموزمبيق وكلامي هنا يرجع إلى ما قبل الإسلام عندما كان العرب والإغريق والرومان والفرس يتاجرون مع أفريقيا.

=

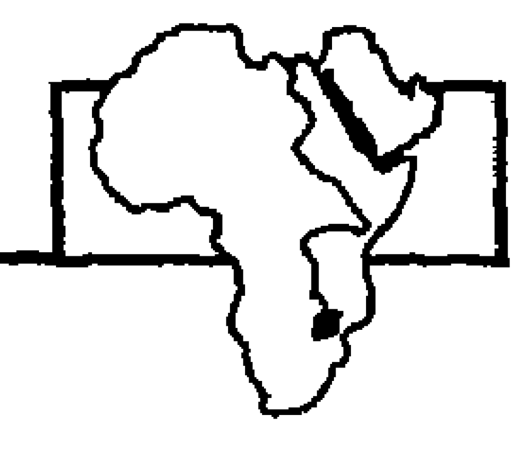
كانت تعيش السواحل الغربية للبحر الأحمر، ثم بدأت الانتشار شمالاً على امتداد البحر الأحمر فاتصلت بقبائل البجّة Beja ثم اتجهت جنوباً واتصلت بقبائل الدناكل Danakil وشملت مناطق الاتصال العربية كما قلنا، في شرق السودان وارتيريا وجيبوتي والحبشة وشرق الصومال أي القرن الأفريقي انظر:

١) كولين ماكيفيد Colen Macvedy أطلس التاريخ الأفريقي ترجمة مختار السويفي، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٧م)، ص٤٩.

ولقد سميت حضارة هذه الفترة "فترة ٥٠٠ قبل الميلاد" على هذه المنطقة المذكورة بفترة "جنوب شبه الجزيرة العربية" أو حضارة فترة ما قبل أكسوم انظر: النسخة العربية لتاريخ أفريقيا العام، المجلد الثاني عن حضارات أفريقيا القديمة، ص٣٤٧.

وهذه التسمية كانت نتيجة للاكتشافات الأثرية العربية التي تم العثور عليها في هذه المناطق - من معابد وأوان وبعض المنشآت وخطوط أثرية والكتابات الخ، والتي تؤكد على أن الحضارة التي قامت في هذه المناطق كانت حضارة عربية.

(1) *General History of Africa, Ibid, p.p 350-382.*



هذا من حيث المواقع الجغرافية للاتصال العربي بأفريقيا [انظر خارطة رقم ٤].

الخريطة رقم ٤

مناطق الاتصال العربي الأولى بأفريقيا في عصور ما قبل الإسلام(*)

(*) الإشارة الواردة في خرائط هذا الجزء غير منقولة من خرائط سابقة، إنما رسمت حسب مسارات مذكورة في كتب التاريخ الأفريقي.

أما المؤثرات العربية الاجتماعية والعرقية على شعوب هذه المناطق فواضحة تمام الوضوح. فقد نشأ عن هذا الاتصال العربي الأفريقـي، لغـات وأعـراق وثقافات جديدة(*)، فمن حيث اللون مالت ألوان الشعوب الأفريقية في هـذه المناطق من السواد إلى السمرة شيئًا فشيئًا فأصبحوا خليطين من البيض والسمر أكثر من الشعوب التي لم يتصل بهم العرب، أي البعيدة عن الشواطئ. وأما من حيث اللغات بدى تأثير اللغة العربية واضحًا حيث أخذت تؤثر في اللغات المحلية

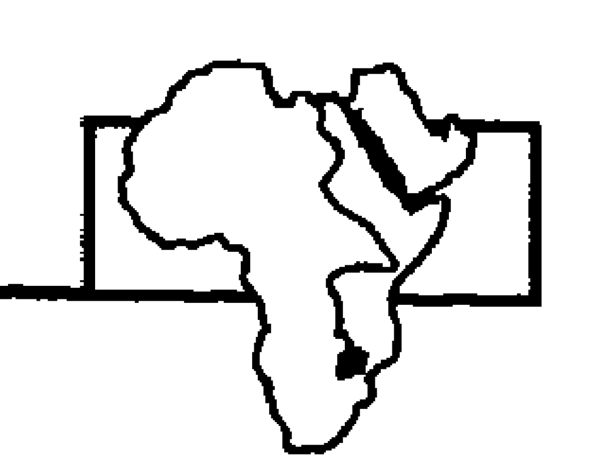
(*) لقد ناقش الدكتور/ علي مزروعي المؤثرات العرقية واللغوية المتبادلة بين العرب والأفارقة في مناطق التماس في الشرق الأفريقي للبرهنة على أصولية مشتركة بينهما في سياق دعوته إلى الوحدة الأفريقية العربية، واعتبر أن الروابط الأفريقية العربية ليست مجرد حالة من حالات انتشار اللغات أو التضامن العربي، بل هي رابطة أعمق وأعرق من ذلك فظهور الجماعات الكوشية مثل الشعب الصومالي والتيجرية والأمهربة الأثيوبية والإريترية، على امتداد الساحل الشرقي والقرن الأفريقي، وكذالك كانت عمان واليمن والعربية السعودية تعد من أقوى الأدلة على الأصولية المشتركة للسكان الشرق الأفريقي وشبه الجزيرة العربية، أضف إلى ذلك اللغات السامية مثل الأمهربة تمامًا مثل اللغة العربية، وحتى اسم (الحبشة التي تعد اسم مأخوذة من اللغة العربية، وأسماء أخرى في المنطقة كثيرة لا تحصى لأدلة قوية من الناحية الواقعية قبل أن تكون أدلة مكتوبة كتبها الغرباء مثل اليونان والرومان.. الخ. وللمعلومات عن ذلك كله:

١) انظر د. علي مزروعي قضايا فكرية أفريقية والإسلام والغرب" مرجع سابق، ص. ص. ١٤١-١٥٢.

٢) انظر أيضاً: د. دي كنتنوت، في تاريخ أفريقيا العام، مرجع سابق، ص. ٣٤٦.

٣) انظر: يوسف فضل حسن: الجذور التاريخية للعلاقات العربية الأفريقية، في العرب وأفريقيا بحوث ومناقشات لندوة الفكرية، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨٧م، ص٢٧.

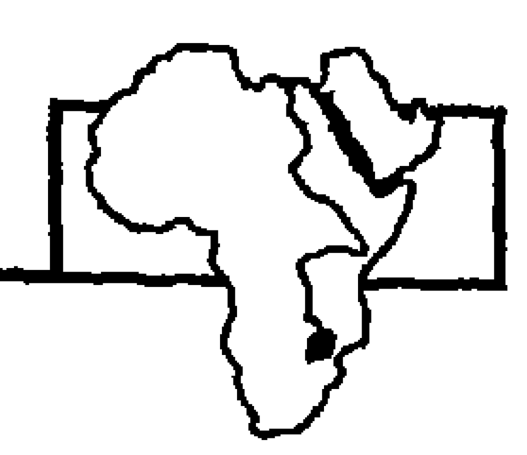
٤) انظر: د. محمد عبد الغني سعودي، أفريقيا دراسة شخصية الأقاليم، (القاهرة، الأنجلو المصرية، بدون تاريخ)، ص. ص. ٥٤-٥٥.



الموجودة فنشأت منها لغة جديدة في تلك المناطق، من اندماج كل من اللغـــات الأفريقية واللغة العربية فخرجت منها اللغة السواحلية بالشكل الذي تتكلم بهـــا الشعوب الأفريقية اليوم في هذه المناطق واللغة الأمهرية في أثيوبيا تعتبر إحدى أعرق اللغات السامية، فلم تكن السواحلية والأمهرية وليدة الاندماج في العصور مـــا بعـــد الإسلام، بل بدأت نشأتها منذ عصور ما قبل الإسلام ثم اتخذت شكلاً متميزًا بعـــد الإسلام عندما كثرت الهجرات العربية وكثر تزاوج العرب بالأفريقيات .. إلخ، "انظر الخريطة رقم ٥".

خريطة رقم ٥

مناطق التأثير العربى الاجتماعى والعرقى والثقافى واللغوى
فى شرق وجنوب شرق أفريقيا فى عصور ما قبل الإسلام



لم يكن الأفريقي أيضًا غريبًا في شبه الجزيرة العربية أبدًا:

وأريد أيضًا أن يعرف القارئ أن الإنسان الأفريقي بدوره لم يكن غريبًا في الجزيرة العربية، وأنا أقول له ذلك بالأدلة القاطعة، فقد كان مألوفًا لدى الشعوب العربية، في كل أنحاء الجزيرة العربية، في عصور ما قبل الإسلام، ولست أشير إلى العبيد الأفارقة الذين تم بيعهم كعبيد إلى البطون العربية هناك، وإنما أشير إلى هجرات بعض الأفارقة إليها في فترات متفاوتة فكوّنوا أسرًا وأصبحوا سكانًا عربًا بمرور الزمن.

وكذلك الاتصال الأفريقي بالجزيرة العربية ليس باعتبارهم مهاجرين تجار أو مقيمين قاطنين، بل باعتبارهم حكام وملوك الجزيرة العربية في العصور المتأخرة من ظهور الإسلام، ولا يتخيل أحد من القراء سواء القارئ العربي أم الأفريقي أن الأفريقيين حكموا جزءًا كبيرًا من شبه الجزيرة العربية ردحًا من الزمان[1]، إلى أن استعان العرب بالفرس فأخرجوا الملوك الأفارقة من شبه الجزيرة العربية[2] فما قصة أبرهة الذي بنى ملكًا عظيمًا في اليمن وبنى بها أكبر

---

(1) انظر الجزء الثاني من المجلد الأول من كتاب التاريخ والسيرة معاً؛ البداية والنهاية للإمام الحافظ أبو الفداء إسماعيل بن كثير، (القاهرة، دار التقوى، ط٣، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م) ص٢٠١-٢٠٩.

(2) انظر: الجزء الثاني من المجلد الأول المرجع السابق، ص٢٠١-٢٠٩.

وكان ذلك من خلال إمبراطورية أكسوم الحبشية أو الحضارة الأكسومية The Aksumite Civilization التي قامت في القرن الأول الميلادي، بعد فترة الحكم العربي في أفريقيا في نفس المنطقة وهذه الإمبراطورية استمرت حتى فترة ظهور الإسلام، وكان جزءاً كبيرًا من شبه الجزيرة العربية منطقة حكم ملوك أكسوم الحبشي ومن بين حكام الحبشة المشهورين أبرهة الذي حاول هدم الكعبة المشرفة ولقد أمتد الحكم الأكسومي على شبه الجزيرة العربية فترة من ٣٤٠ إلى ٥٧٥ الميلادية وللمعلومات عن هذه المملكة ومناطق حكمها، انظر:

=

كنيسة في العالم حينذاك داعيًا العرب للحج إليها بدلاً من الكعبة المشرفة، ومحاولته هدمها، في القصة المشهورة التي جاءت في القرآن الكريم في سورة الفيل، فما هذه إلا طائفة من سيرة الأفريقيين في شبه الجزيرة العربية.

ولقد تناول العرب قصة الملوك الأحباش على اليمن في أشعارهم، وتناولها كتاب السيرة والتاريخ، وأشهرهم صاحب كتاب التاريخ والسيرة معًا "البداية والنهاية" الإمام الحافظ أبو الفداء إسماعيل بن كثير، الذي أورد هذه القصة في أسباب انتقال ملك اليمن إلى الأحباش ورجوعه مرة ثانية إلى اليمنيين وما كان من قصة أبرهة مع أرياط الذي انتزع أبرهة منه الملك إلى أن هلك وتولى أولاده ملك اليمن حتى نهاية ملكهم وخروجهم من اليمن فما هذه إلا سيرة للوجود الأفريقي في الموطن العربي بشبه الجزيرة العربية.

=

١) تاريخ أفريقيا العام، المجلد الثاني، سواء من النسخة الإنجليزية ص٣٧٦ أو النسخة العربية ص٣٦٧.

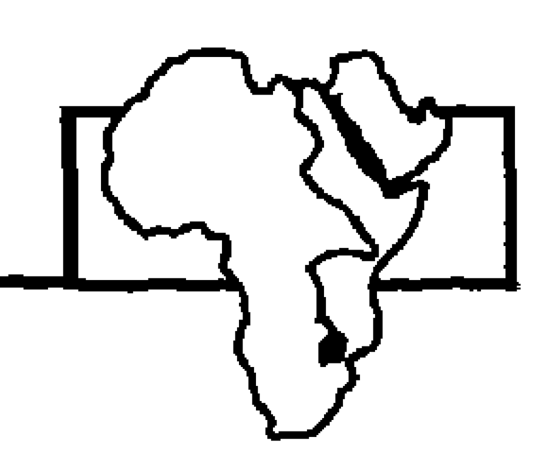
٢) انظر أطلس التاريخ الأفريقي، مرجع سابق، ص٦٠.

٣) انظر: الموسوعة الأفريقية: لمحات من تاريخ أفريقيا تقديم أ.د. رجب محمد عبد الحليم، بإعداد مجموعة متخصصين في التاريخ الأفريقي العربي في معهد البحوث والدراسات الأفريقية، بجامعة القاهرة، ١٩٩٧م) المجلد الثاني، ص.ص. ٥٤-٥٨.

4) See: Basil Davidsan, Africa in History. (London, Granada publications and pladin Books. 1974) p 645.

٥) انظر يوسف فضل الله، الحبشة وشرق أفريقيا في العرب وأفريقيا، مرجع سابق، ص٣٠.

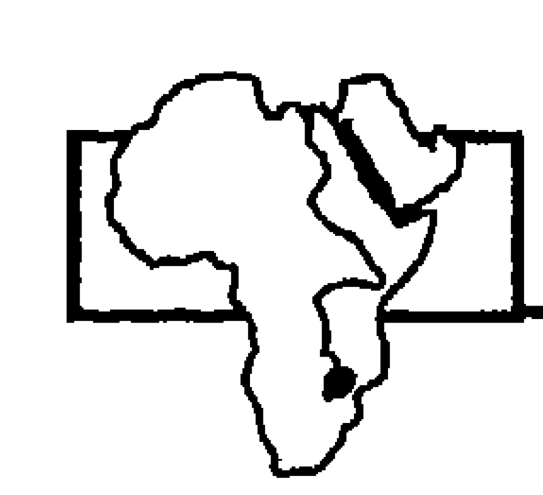
٦) انظر: الجزء الثاني من المجلد الأول.



الخريطة رقم ٦

ليبيا
مصر
مكة
اليمن
الحبشة
الصومال
غرب افريقيا

مسارات الاتصال الأفريقى بالعرب، وبعض الهجرات الأفريقية إلى الجزيرة العربية ، والحكم الحبشى على اليمن ، وأجزاء من الجزيرة العربية فى الفترة من ٣٤٠ إلى ٥٧٥ ميلادية



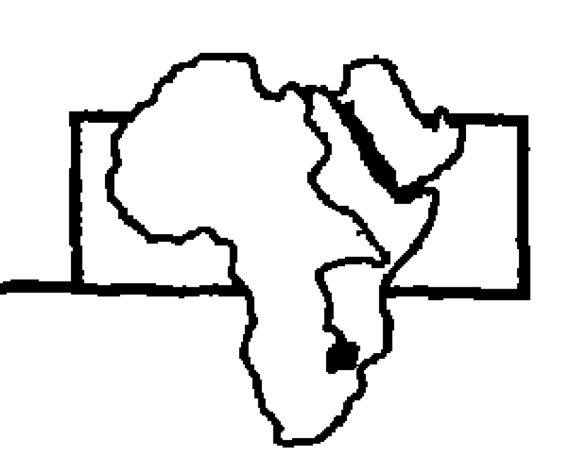
لذلك: فإن العرب عندما كانوا يتوجهون إلى أفريقيا سواء للهجرة والإقامة أو للتجارة، فإنهم لم يكونوا يذهبون إلى شعوب غريبة عنهم، بل كانوا يذهبون إلى شعوب أفريقية مألوفة لديهم، والعرب بدورهم، لم يكونوا غرباء لدى الشعوب الأفريقية فلقد ألفت العرب أكثر من ألفتهم الشعوب الأخرى الذين كانوا يأتون شرق وجنوب شرق أفريقيا للتجارة، مثل الإغريق والرومان والفرس والهنود، والصينيين بل يمكن القول أن الأفارقة كانوا اكثر الناس قبولاً وترحيبًا بالعرب أكثر من أي شعوب أخرى في العالم.

الأقدار التي جمعت بين العرب والأفارقة:

لو نظرنا إلى العلاقات والروابط بين الأفارقة والعرب التي نشأت منذ العصور البعيدة، قبل المسيحية، وقبل الإسلام، ثم تعززت تلك الروابط بينهما بعد الإسلام وتوسع نطاقها من شرق أفريقيا إلى أقصى جنوب شرقها وأعالي شمالها وغربها ووسطها، وما تم خلال ذلك من تفاعلات وتأثيرات اجتماعية وعرقية وثقافية واقتصادية .. الخ، لو نظرنا إلى ذلك كله، وإلى أمور أخرى، وإلى الطريقة التي تمت بها، فلسوف نجدها قدرًا من الأقدار، أراد بها الله سبحانه وتعالى تمهيد السبل لأمور جليلة وعظيمة تكون خيرًا لهما وللبشرية عامة في المستقبل، لكن "للأسف" لم ينظر كل من العرب والأفارقة إلى مثل هذه الأقدار، والتي سوف أحاول استقراءها للقارئ فيما يلي:

أولاً: من حيث الهجرات وطريقة الاتصال العربي بأفريقيا:

لقد قضى الله سبحانه وتعالى أن تكون شبه الجزيرة العربية موطن الأمة العربية وهي مجاورة للقارة الأفريقية موطن الإنسان الأفريقي،تجاورًا مباشرًا ثم قدر أن يكون الاتصال بينهما اتصالاً طبيعيًا منذ أقدم العصور، أي لم يتم ذلك عن طريق غزوات عسكرية، حيث لم يسجل التاريخ موقعة حربية واحدة قام



بها العرب ضد الأفارقة على طول امتداد البحر الأحمر للـــشرق الأفريقـــي ولا جنوب شرقها، فالإغريق والرومان هم أول من كتبوا تاريخ الاتـــصال العـــربي الأفريقي في عصور ما قبل المسيحية والإسلام، و لم يسجلوا لنا أي اتصال حـــربي بينهما أبدًا، بل تحدثوا عن اتصال ودي واقتصادي، وعرقي اجتماعي[*].

ثم قضى الله وقدر أن تكون جميع الهجرات العربية تقريبًا قبـــل الإســـلام وبعده متجهة إلى أفريقيا دون سواها[1]، رغم وجود هذا الحاجز المائي المتمثل

(*) كما سبق أن قلنا أن أقدم المصادر التاريخية التي تحدثت عن حالة العرب في ساحل شرق أفريقيا تتمثل في كتاب وضعه أحد الملاحين الإغريق، في السنة ٦٠ الميلادية وعرف باسم "الدليل الملاحي للبحر الإريتري Periplus Maris Erythrean و لم يذكر لنا موقعة حربية وقعت لدى الاتصال بينهما في الساحة الأفريقية، بل كانوا يتصرفون بالألفة بينهما، فهاهو بليدن أحد الدعاة الأفريكانية في الولايات المتحدة الأمريكية والكاريي من أصل أفريقي في القرن ١٩ يتأثر بمنهج العرب المتميز كما أسماه هو في دعوة القبائل الأفريقية إلى الإسلام قائلاً: ليس فقط دين العرب الذي مكنهم من نشره في القبائل الأفريقية والذي تميز بالتأثير والانسجام، ليس هذا الدين وحده فحسب، بل العرق العربي هو الذي منحهم هذا التأثير على ميول القبائل الأفريقية الكبيرة في أفريقيا، فهذه القبائل تنتمي إلى عرق قريب من العرق العربي، فقبل عصر محمد، كان السود يشاركون في تراث شبه الجزيرة العربية العلمي وسياساتها ولقد اكتشف لنا هيردوتس العلاقات العريقة بين هذين الشعبين في تلك الحقبة القديمة ويتكلم عنهما كأنهما من عرق كبير واحد». انظر:

١- أودينو دالارا نشأة التيار الأفريقاني: الجذور الكاريي والأمريكي والأفريقي في القرن التاسع عشر، ترجمة: خيثم المع، (مصراته: الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، ٢٠٠١)، ص٢١٣.

انظر أيضًا: العرب وأفريقيا، مرجع سابق، ص٤٩.

(1) انظر: د/ جمال زكريا قاسم: الأصول التاريخية للعلاقات العربية الأفريقيات، مرجع سابق، ص.ص. ٦١-١١٧. على أن هذا الكتاب يتعرض بصفة أساسية للهجرات العربية إلى أفريقيا قبل وبعد الإسلام وانظر المرجع نفسه، ص.ص. ١٢١.

في البحر الأحمر والحاجز اللوني المتمثل في سواد بشرة الأفارقة، ومع ذلك حدث بينهما تزاوج واندماج عرقي، حيث لم يستنكف العرب عن أن يتزوجوا بنساء القبائل الأفريقية التي اتصلوا بها[1]، وقضى الله أن يلقوا ترحيبًا متميزًا من الأفارقة، ولم يقوموا بالعدوان ضد العرب القادمين، لكن الإغريق والرومان استنكفوا أن يتزوجوا من الأفريقيات: وهذا أيضًا قدر من الأقدار، فكان من سماتهم الاعتداء والاستيلاء بالقوة العسكرية فأبعدهم الله عن القارة في هذه الفترة القديمة، وصرفهم عن أفريقيا حتى لا يدعوا أحقتيهم للقارة.

وكان بإمكان العرب الهجرة إلى أماكن أخرى لم تكن بينها وبينهم أي حاجز أو اختلاف لوني، إلى آسيا أو أوروبا مثلاً، فالإغريق والرومان وأجناس آسيا لم يكونوا ليرحبوا بالعرب ترحيبًا طبيعيًا كما رحب بهم الأفريقيون، ذلك أنهم كانوا يكرهون كل أجنبي يأتي إليهم ولا يرحبون أن تختلط بهم الأجانب اجتماعيًا أو عرقيًا.

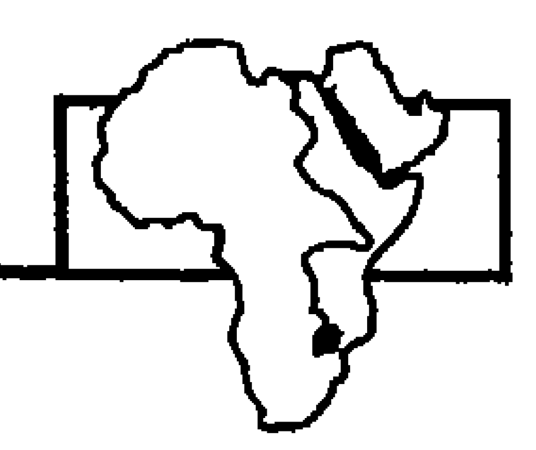
ثانيًا: من حيث الرابطة الدينية:

لما منَّ الله سبحانه وتعالى على الأمة العربية، وبعث فيهم نبيًا رسولاً وأنعم عليهم بالإسلام وأمرهم بنشره بين العالمين، قدر الله سبحانه وتعالى أن تكون القارة الأفريقية أول قارة تعتنق هذا الدين الجديد رسميًا، فقد كانت الحبشة أول موطن يدخله الإسلام بعد مكة المكرمة[2]، وقدر الله أن يكون ملك أفريقي أول ملوك

---

(1) انظر: د. محمد عبد الغني سعودي، قضايا أفريقية، (الكويت: عالم المعرفة، العدد ٣٤، ذو القعدة ١٤٠٠هـ أكتوبر ١٩٨٠م) ص.ص. ٦٤-٦٧.

(2) انظر: جورج المصري، العمل المشترك الأفريقي - العربي بالتاريخ والمستقبل، في التعاون العربي الأفريقي الواقع الراهن وأفاق المستقبل، (مالطا، مركز دراسات العالم الأسمى، ١٩٩٢)، ص١٩٦.



الأرض قاطبة يعتنق الإسلام، وقدر الله سبحانه وتعالى أن تكون أفريقيا أول وثاني موطنٍ هجرة المسلمين وأول شعوب يكفلون الحماية للمسلمين، وأطلق لهم حرية كاملة للإقامة والتجارة ونشر الإسلام، حرية مطلقة، وقد قال لهم ملك الحبشة قولته المشهورة: «**اذهبوا وأنتم شيوم**»(*) والشيوم معناها: الترحاب والأمن والحرية في اللغة الحبشية ولا يزال الأحباش يتفاخرون بكل هذا.

وقد قضى الله سبحانه وتعالى أن يكون انتشار الإسلام في مناطق شرق أفريقيا وجنوب شرقها وغربها ووسطها انتشارًا سلميًا(**)، ولئن شاب ذلك في

(*) يمكن الاطلاع على أي كتاب من كتب السيرة النبوية العطرة للحصول على معلومات قيمة عن هجرات المسلمين إلى الحبشة واعتناق ملكها الإسلام. ولكن يكفي للقارئ كتاب السيرة والتاريخ معاً، البداية والنهاية للإمام الحافظ ابن كثير، إذ أفرد لهذا الموضوع بابًا كاملاً عما كان من أسباب الهجرة الأولى إلى الحبشة وما كانت فيها من أحداث، ومن رسالة الرسول ﷺ إلى الملك النجاشي يدعوه إلى الإسلام وعن إسلامه ومعاملته للمهاجرين إليها.. الخ. انظر: الجزء الثالث من المجلد الثاني طبعة دار التقوى، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م». ص.ص. ٩٩-١٠٢.

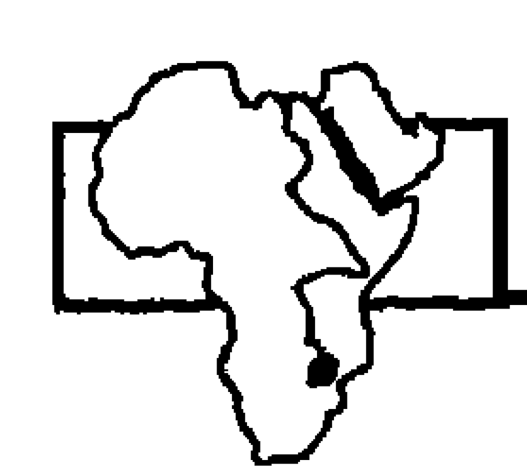
(**) وعن انتشار الإسلام في أفريقيا سلميًا انظر:

١) حسن إبراهيم حسن: انتشار الإسلام والعروبة فيما يلي الصحراء الكبرى شرقي القارة الأفريقية وغربها، (القاهرة: معهد الدراسات العربية، ١٩٥٧).

٢) د. أحمد شلبي، الإسلام والدول الإسلامية جنوب الصحراء الأفريقية منذ دخلها الإسلام حتى الآن في موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، الجزء السادس (القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٨٣م) ص. ١٥٤.

٣) طرق انتشار الإسلام في أفريقيا: لمؤلفه د/ رجب محمد عبد الحليم تاريخ المسلمين في أفريقيا (جنوب الصحراء) في موسوعة سفير للتاريخ الإسلامي الجزء التاسع (القاهرة: مؤسسة السفير، ١٩٩٦)، ص٥.

4) J. Spencer Trimingham. The influence of Islam upon Africa. (Butter and Tammer ltd. London 1963).



بعض الأحيان شبه اصطدام عسكري: لكن لم تكن مثل هذه الاصطدامات أساس انتشار الإسلام في هذه المناطق المذكورة، ويمكن القول أن كثيرًا من الاصطدامات التي يمكن ذكرها، حدثت بعد انتشار الإسلام بها، إذن، قدر الله أن يكون دخول الإسلام وانتشاره سلميًا وفي أحيان كثيرة نجد أن ملوك أفريقيا هم الذين يعتنقون الإسلام ويقومون بأنفسهم بالدعوة لنشره بين شعوبهم، لذلك لم يوجد في غير القارة الأفريقية ملوك ودعاة في نفس الوقت.

ثالثاً: لقد قدر الله سبحانه وتعالى أن تكون القارة الأفريقية الوحيدة بين قارات العالم التي قبلت الإسلام والعروبة معًا، فهي القارة الوحيدة التي تتكلم باللغة العربية رسميًا بعد شبه الجزيرة العربية والشام.

رابعًا: قدر الله أن تكون القارة الأفريقية هي القارة الوحيدة من بين قارات العالم التي تصل النسبة الكلية للمسلمين فيها ٦١% وهذا لا يعني أن عدد مسلمي أفريقيا يفوق عدد مسلمي قارات أخرى، فعدد مسلمي آسيا يفوق عدد مسلمي أفريقيا بأضعاف، لكن النسبة الكلية لمسلمي آسيا إلى غير المسلمين بها لا يتجاوز ٢٥% فقط، إذن فالقارة الأفريقية هي الوحيدة التي يمكن إطلاق اسم القارة الإسلامية عليها، وهذه النسبة ٦١% في تزايد مستمرة ولولا قلة جهود المسلمين

=

5) Peter B. Clark: West Africa and Islam. (Edward A.C. publish LTD 14 Bedford sque. London 1982) pp. 153-178.

6) J.S. Trimingham. A History of Islam in west Africa. (Oxford University press. London. Oxford New York 1962).

7) Samir M. Zoghby. Islam in Sub-Sahain Africa. (African Section in the library of congres, washngton 1978).

في الدعوة، لفاقت نسبة المسلمين ٨٠٪ في عام ٢٠٠٠ انظر الخريطة رقم (٧).

الخريطة رقم ٧

مسارات ومناطق الهجرات العربية إلى أفريقيا فى العصـور ما بعد الإسـلام
والتأثير العربى الاجتماعى والعرقى والحضارى فى فترة القرون الخمسة الهجرية



خامساً: من حيث موارد الغنى والرفاهية:

لقد أودع الله سبحانه وتعالى في مواطن الأمتين الأفريقية والعربية من الموارد الضخمة ما يكفل لهم اكتفاء ذاتيًا كبيرًا لغنى ورفاهية شعوبهما إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، ولقد قدر الله سبحانه وتعالى أن تكون هذه الموارد المودعة في مواطنهما بحق عصب حياة العالمين كافة، وعماد حضارتهم الحديثة، لا غنى لهم عنها أبدًا، الأمر الذي يكفل لهم مكانًا متميزًا بين العالمين إن توحدتا:

أ- أودع الله جميع أنواع الطاقة في الوطن العربي سواء في الجزيرة العربية أو في القارة الأفريقية الأم فلا تخلو دولة عربية واحدة من أحد أنواع الطاقة "أي النفط أو الغاز" بنسب متفاوتة، وقليل من الدول العربية ليس بها هذا الوقود الذي هو عصب الحياة العصرية وقوام الحضارة الحديثة(*).

ب- أودع الله سبحانه وتعالى في القارة الأفريقية الموطن الأفريقي جميع أنواع المعادن التي تحتاج إليها صناعات التقدم الحديث والتي ليس للعالمين غنى عنها أبدًا، وتوجد هذه المعادن بكميات ضخمة تكفل لأفريقيا رفاهية أبدية، وحتى النفط والغاز قد أودعهما الله القارة الأفريقية ولا تزال الاكتشافات تتوالى في القارة الأفريقية في مياهها الأطلنطية وعلى زبوع أراضيها.. الخ(**).

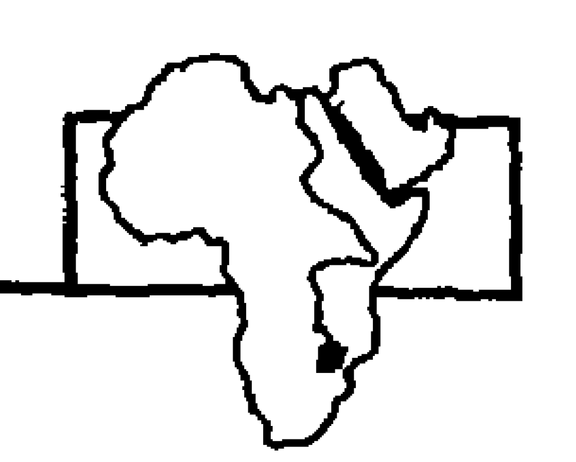
(*) عن موارد الطاقة في الوطن العربي والمعادن انظر:

١) الاقتصاد العربي في مواجهة تحديات القرن الواحد والعشرين، دراسة لجنة مكونة من ٧ من الدارسين المتخصصين، تحت إشراف محمود عبد الفضيل، (القاهرة: معهد البحوث والدارسات العربية، ١٩٩٨) ص.ص. ٢٨٥-٣١٥.

٢) محمد عبد الغني سعودي، الوطن العربي، بترول العرب (القاهرة: معهد البحوث والدراسات الأفريقية، ١٩٨٤)، ص.ص. ١٤٦-١٨٧.

(**) وعن موارد الطاقة والمعادن في القارة الأفريقية، انظر:

=



إن الإسلام والموارد الاقتصادية الحضارية كلاهما نعمتان عظيمتان للعرب والأفارقة معًا، فالأفارقة الذين اعتنقوا الإسلام سلميًا فور ظهوره يشاركون العرب هذه النعمة "أي نعمة الإسلام ، ثم نعمة الموارد".

وهنا أنبه العرب والأفارقة معًا وأحذر إلى أن من يعطيه الله الواهب نعمة كبرى يستوجب عليه التزامات ومهام وواجبات يجب أن يقوم بها.

أولاً: يجب عليه قبول هذه النعمة قبولاً مطلقًا.

ثانيًا: أداء واجب الشكر عليها.

ثالثًا: العمل على حفظ هذه النعمة وصونها.

فإذا لم يحدث هذا من المنعم عليهم فإنها تصبح نقمة عليهم.

أما الأول: فإن الإسلام أعظم نعمة: كان يجب على الأمتين قبوله قبولاً مطلقًا من حيث إتباع تعاليمه وشريعته عملاً وتطبيقًا، لأنه جاء بالحياة والحضارة مستوفيًا جميع عناصرهما ووحداتهما وقواعدهما وقوانينهما، ودساتيرهما وعلومهما ومعارفهما وثقافاتهما وآدابهما وسلوكهما .. إلخ(١).

يقول تعالى: ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ﴾ [سورة الأنعام: ٣٨].

=

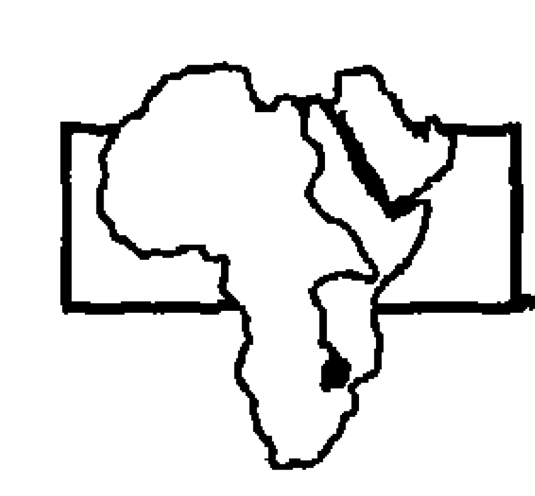
1)Ibid: Atlas of Africa. Jeunea Africque. P 318.

2) The Cambridge Encuclopedia of Africa P 280.

٣) التقرير الاستراتيجي الأفريقي ٢٠٠١/٢٠٠٢ مرجع سابق، ٥٧٠-٥٨٥.

(1) انظر: روجيه جارودي: الإسلام والقرآن في القرن الواحد والعشرون، شروط نهضة المسلمين. ترجمة د. كمال جاد الله (القاهرة: دار الجليل للكتب والنشر، ١٩٩٧م)، ص.ص. ٦٧-٧٠-١٣٤.

وروجي جارودي: هو أحد الفلاسفة الفرنسيين الذين اعتنقوا الإسلام وأصبح من المفكرين في الإسلام ونشر الفكر الإسلامي في الغرب وله رؤي في إصلاح العالم الإسلامي والنصح له.



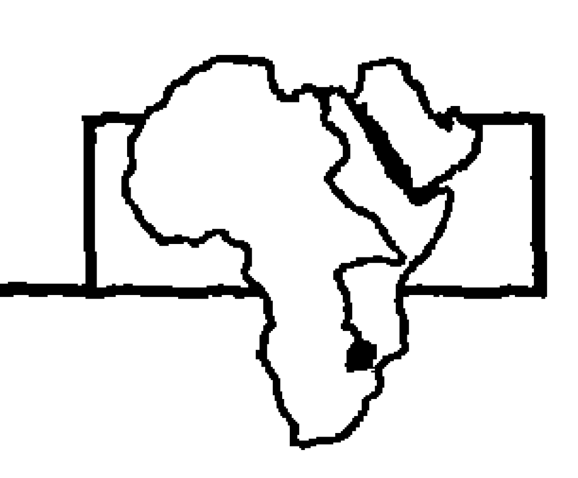
حتى عندما انتهج العرب النهج القومي والسياسي غير الإسلامي وتخلوا عن كثير من المنهج الإسلامي وتطبيقات شريعته داخل مجتمعاتهم: كان من المفروض تطبيق ما هو ضروري للحياة، والذي يكفل لهم القوة والحماية والكرامة، ألا وهو قواعد الوحدة والقوة والتماسك المذكورة في كتاب الله للمسلمين ولغير المسلمين أيضًا، أي أن من يطبقها حتى لو لم يكن مسلمًا يفلح في الدنيا فما بالك من يطبقها وهو مسلم، يفلح في الدنيا والآخر معًا. تلك القواعد الحضارية المطبقة في الولايات المتحدة الأمريكية وفي أوروبا وأخيرًا طبقت في الصين فأصبحت قوة بعد الضعف والعز والحرية بعد الذل لعقود طويلة.

لقد أمرنا الله سبحانه وتعالى بالوحدة نحن المسلمون عامة والعرب بصفة خاصة باعتبارهم قلب العالم الإسلامي، فإذا صلح القلب وقوى، قوى سائر الجسد بقوله وهو أصدق القائلين: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

ولو طبق العرب هذه الآية فقط دون غيرها في مطلع التسعينيات وما بعد الألفين عندما بدأ المعتدون التكالب عليهم لكفتهم، ولاختلف الأمر في ساحتهم، ولوقاهم الله من عبث العابثين ومن اعتداء المعتدين.

ولكن العرب لم يفعلوا، ولم ينتهجوا هذه الآية بعد رغم الظروف والأهوال الجليلة التي تحيط بهم من كل جانب التي تستوجب بالضرورة اتخاذ خطوات مدروسة نحو الوحدة والتكتل والتجمع.

والأمر هنا لم يعد مسألة اختيارية إنما صار مسألة إجبارية يقتضيها



الواقع والحقيقة المؤلمة، ولا تلوح في الأفق أي بادرة لتوحيد الدول العربية، لذلك فإن المصائب سوف تتعاظم على العرب أكثر من غيرهم على كوكب الأرض مستقبلاً: لأهم لم يقبلوا هذه النعمة قبولاً مطلقًا مقرونًا بالشكر والامتنان لله الواهب القدير، وهو الغني عن العالمين؛ وخاصة العرب المعاصرين، طالما منحك الله ما يقيك الهلاك، ويصلح بالك ويرفع لك شأنك وآثرت غيره، فإنك متروك لنفسك الضعيفة المعرضة للهلاك والإذلال.

وأما الثاني: فإن الشكر على النعم، في رأيي، ينبع من قبول النعم قبولاً مطلقًا من المنعم والاعتزاز بها وصونها، فقبول نعمة الإسلام والشكر عليه، ينبع ويظهر عن طريق تنفيذ تعاليمه وتطبيق شريعته واستيعابها وتمثيلها وتزيينها وإظهار نموذجيته شكلاً ومضمونًا وخيرًا للعالمين.

ولو كان العرب توحدوا في إطار سياسي كبير قائم على قواعد من تعاليم الإسلام ومبادئه السمحة وجعلوها نهج حياتهم، فكانت الدول العربية المتحدة قوية مثل الصين من حيث التكنولوجية والتنظيم الاقتصادي وأصبحت دولاً متحدة غير استعمارية، تنشر الخير والحرية وتخدم العدالة، حينئذ يستطيعون أن يقولوا للناس أن لديهم أفضل دين وأفضل حضارة ولكانت دولتهم المتحدة موضع احترامهم، فلا يجد أحد زريعة لاتهام الإسلام وتشويه صورة المسلمين وغزو بلادهم باسم محاربة الإرهاب.

وأما الثالث: فهو العمل على حفظ النعمة المادية وصونها: وتكمن هنا خطورة شديدة على القارة وشعوبها، وذلك أن القارة الأفريقية هي قارة الثروات الطبيعية والإمكانات الواسعة والضخمة، بها كنوز من الذهب والماس والبترول والفوسفات والحديد واليورانيوم والمطاط وغيرها من المعادن التي لم تكتشف بعد، وكذلك امتاز فرع القارة بشبه الجزيرة العربية بالوقود والطاقات

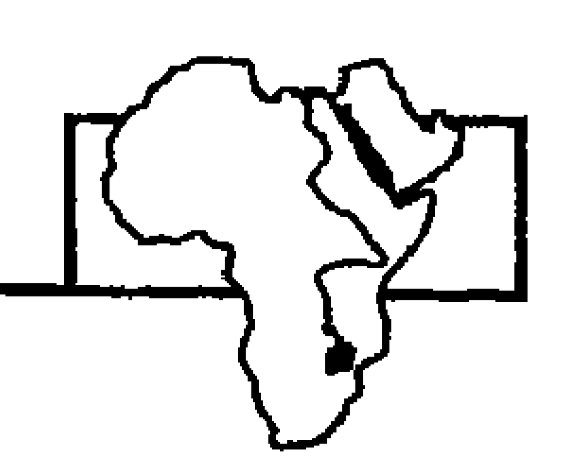
الضخمة من البترول والغاز التي قضى الله سبحانه وتعالى أن تكون احتياجات جوهرية للدول المتقدمة، فلا يستطيعون أن يستغنوا عن العرب والأفارقة، ولكن الدول المتقدمة بدلاً من أن يأتوا إلى الأفارقة والعرب بنوايا حسنة للطلب العادل وتبادل المنافع معهما وبالاحترام، فإن الغرب جعلهما مطمعًا وجشعًا، وسلكوا معهما طريقًا تميز بالقسوة والشر المتناهي، للسيطرة على الأفارقة والعرب من أجل التمكن من نهب وسرقة هذه الثروات لمنافعهم وحدهم فقط دون الشعوب الأفريقية والعربية أصحاب هذه الثروات الحقيقيين واستغلالها أسوأ الاستغلال[1].

وحتى عندما انتهت فترة الاستعمار العسكري والسيطرة المباشرة، سلكوا طرقًا أخرى للسيطرة على منابع هذه الثروة بشكل أكثر ضـــراوة وأطلق على تلك الطرق الشــــريرة اســـم الاستعمـــار الجديد:

(Neo-Colonialism) وها هم الآن يتجهون مرة أخرى إلى إعادة عصر شريعة الغاب مرة ثانية. فسلكوا طريقًا غاية في المكر والشر ذلك هو طريق تحالف القوى الغربية لغزو دول العالم واحدة تلو أخرى مثلما يحدث في العراق وقبلها أفغانستان والدور على أفريقيا، لاشك كائن، وإعادة احتلال الدول الأفريقية عن طريق تحالفات تبدأ بفرض عقوبات على الدول المنتقاة بقرارات الأمم المتحدة حتى تضعف ويصبح غزوها سهلاً ميسورًا لذلك أيها العرب ويا أيها الأفريقيون: اتقوا العقوبات الغربية، سواء باسم الأمم المتحدة الغربية، أو عقوبات الدول الغربية، من جانبهما اتقوها لأنها مقدمات لغزوها بلادكم أو تدميرها اقتصاديًا ونفسيًا وصناعة الفقر فيها، كما تتم صناعته اليوم في كثير من

---

(1) *See: Kwame Nkrumah, Neo-Colonialism, p.p 143.*
أو النسخة العربية المترجم له، مرجع سابق ص.ص. ١٠٧-١٣٥.



الدول وأبرزها دولة زيمبابوي *Zimbabwe*(*).

إذًا هذه النعمة المادية الكبرى التي منَّ الله سبحانه وتعالى بها على الأمة الأفريقية والعربية والتي تعد قدرًا من الأقدار، فلن تستطيعا حماية هذه النعمة وصونها، ومن ثم الاستفادة منها في بناء رفاهية شعوبهما وحضارتهما الحديثة التي تتميز بالثراء والغنى والخير والعدالة والحرية إلاّ إذا توحدتا في اتحادات وتكتلات راسخة ووطيدة، وليس مجرد وحدات اسميه بل وحدات تكاملية اندماجية تتميز بالقوة والصلابة والإرادة الذاتية وامتلاك زمام أمورها ومصادر ثرواتها

(*) إذا أردت أن تعرف كيف تصنع الدول الغربية الفقر في دولة زيمبابوي اليوم فتابع نيوأفريكان *New African*. ومن ثلاثية الاستعمار الجديد وهي الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا المسمى بالعظمى وأستراليا، وبعض الدول الأوروبية هذه الدولة التي تفرض عقوبات اقتصادية من جانبهما ضد زيمبابوي نتيجة لفشلهما في إصدار قرار فرض العقوبات عليها من الأمم المتحدة بل وتدعوا جميع دول العالم إلى فرضها على زيمبابوي من جانب واحد. بسبب أن رئيس زيمبابوي *Mogabey* : حاول رد الأرض الخصبة التي كان الأروبيون قد اغتصبوها من السكان الأصليين، أبان فترة الاستعمار، فحاول ردها إلى أصحابها الأصليين، قامت دنيا الغرب كلها ضد هذا الإجراء من رئيس الدولة في إطار توزيع الأرض للمواطنين لم يقتل الأوروبيين ولم يدمر بيوتهم ولم يشردهم. قامت الدول الغربية كلهم بفرض عقوبات ظالمة ضد هذا الزعيم وذهبوا يدعمون زعيم المعارضة الذي سوف لن يثير قضية إعادة الأراضي إلى أصحابها انظر:

(1) See. Gregorg Ehich: The brigade against Mugabe. in NA. No 411, October 2002. pp. 44-47.

(2) Zimbabwe. lift all sanctions Says SADC. in NA. No 462. May 2007 pp. 49-123.

ومصارفها وتتحكمان في أسعارها في التجارة المحلية والعالمية.

وإذا لم يتوحد العرب والأفارقة، فلن يستطيعا منع التحرش الغربي بهما ولن يستطيعا منع نهب وسرقة ثروات بلادهما، ولن يستطيعا منع التحكم الغربي في هذه الثروات وتحديد أسعارها وأثمانها كما يحلو له وسوء استغلالها، وإذا لم يتوحدا فلن يستطيعا منع غزو الغرب لهما.

الغرب لا صديق له ولا يعرف الصداقة ولا مبادئ أخلاقية راسخة ثابتة في علاقاته مع العالم الثالث، فصديق اليوم عدو الغد فلن يشفع لأي دولة أفريقية أو عربية، حسن نيتها مع الغرب أو الصداقة الحميمة معه من شره عندما ينقلب عليها أو عندما تخالف أي دولة رغبة الغرب في أمر ما، فلن تشفع لها صداقة ولن يشفع لها أي شيء من أذى الغرب لها عقوبة أو غزوة.

لذا فإن الوحدة العربية والوحدة الأفريقية ثم التحالف بين الوحدتين في رباط قوي ليس من أجل الاعتداء على الآخرين، ولكن لمنع اعتداء المعتدين عليهما ولمنع نهب ثرواتهما ولمنع شر أي شرير وعبث أي عابث وعدوان أي عدو ومن أجل بناء رفاهية شعوبهما، تصبح مسألة حياة أو موت.

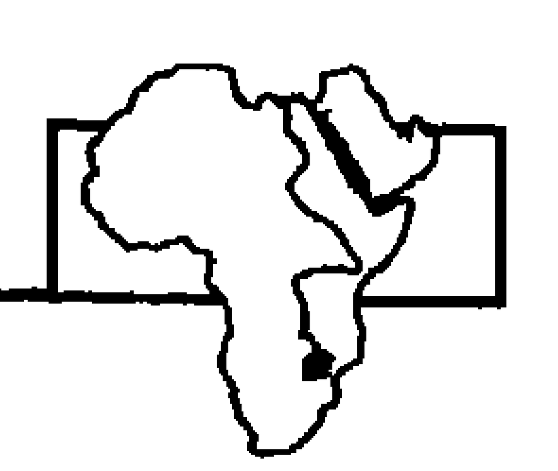
فإذا كانت أفريقيا قد بادرت بالسير سيرًا حثيثًا نحو بناء وحدتها منذ عام ١٩٩٩م وخطت خطوات وطيدة ومباركة لتكوين وحدة ولدت عام ٢٠٠٢م فأطلقت عليها اسم "الاتحاد الأفريقي *African Union*"(*) حققت إلى حد

(*) ولمزيد من المعلومات عن الاتحاد الأفريقي انظر:

1) see Pusch Commey: African Union. in the New Afrian No. 410 September 2002 (An I.C. Publication London 2002) P. 12.

2) http://www.Aficanunion.htm.

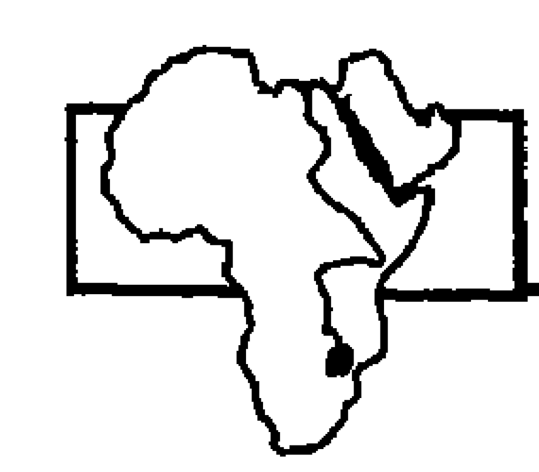
٣) الاتحاد الأفريقي ومستقبل القارة الأفريقية، مرجع سابق، ص.ص. ٣٦٧، ٣٩٣.



ما حلم أفريقيا في السير نحو تكوين الولايات المتحدة الأفريقية، وهو ما يزال طفلاً، فأصبح الأفارقة اليوم يربون هذا الطفل حتى يشب ويقوى ويكون قادرًا على تحمل المسئولية، وحماية أفريقيا وتنميتها وتقدمها، ولئن كان الأفارقة في القارة الأم قد فعلوا ذلك، وبدءوا يجنون شيئًا من ثمرات هذا الاتحاد ولو كان شيئًا ضئيلاً للغاية؛ فإنه أفضل من لا شيء ولسوف تجني أفريقيا أفضل ثماره كثيرًا في المستقبل المنظور.

فإن العرب في فرع القارة بالجزيرة العربية والشام لم يتجهوا بعد نحو تكوين أي نوع من الوحدة أو التكتل الحقيقي الذي من شأنه حماية دولهم وشعوبهم ومقدراتها. **ومع أن الدول الخليجية قد أقامت مجلس التعاون الخليجي كنوع من الوحدة الإقليمية إلا أنها لن تكون ذات كقوة والمنعة تستطيع حماية نفسها بدون حماية الدول الاستعمارية لها كما لو كانت الوحدة العربية شاملة مع الشام وأفريقيا -أي العرب في أفريقيا-** وهذا الأمر لا يسرنا نحن الأفارقة لقد كنا نتمنى أن تكون هذه المبادرات الوحدوية الأفريقية متزامنة مع مبادرات التكتل العربي فلربما كان تحقيق الوحدة العربية أسرع وأقوى لما تتمتع بها الدول العربية من السيولة المالية والتي تعد إحدى العقبات أمام أفريقيا في مسيرة وحدتها، فأما العرب فلديهم هذه السيولة المالية تكفل لهم وضع ميزانيات ضخمة لإقامة منشآت وحدتهم لو قاموا بحركة الوحدة العربية بمعناها التكاملي الاندماجي السياسي الاقتصادي.

ولقد استمعت إلى كثير من مناقشات تليفزيونية حول الاتجاه العربي نحو التكتل الاقتصادي أولاً، ثم التفكير بعد ذلك في الاتجاه نحو التكتل السياسي مبررين ذلك بأن أوروبا بدأت بالتكتل الاقتصادي أولاً بعد سنوات طويلة ثم بدأت تحقق الوحدة السياسية.



ولقد كنت استغرب ذلك كل الاستغراب! لثلاثة أسباب:

أولاً: لماذا لا يرى المفكرون العرب أن الظروف التي دفعت أوروبا إلى التكتل الاقتصادي على هذا النحو تختلف كليًا (شكلاً ومضمونًا) عن الظروف التي تدفع العرب إلى التكتل الآن.

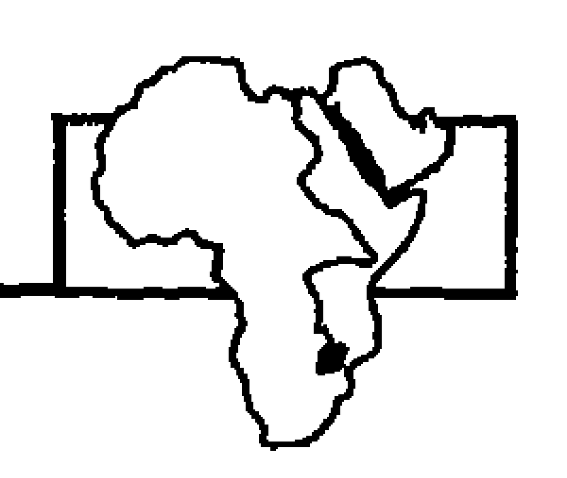
ثانيًا: لقد كان أمام الغرب فرص كثيرة وسنوات طويلة ووفرة من الوقت لكي يمشي، بتؤدة وتأن في بنائه الاقتصادي ثم الاجتماعي ثم السياسي فيما بعد(*)، **فما الفرص أمام العرب؟ فما السنوات الطويلة أمام العرب؟ فما الوقت المتاح أمام العرب لكي يمشوا بالتؤدة والتأني مثل الغرب؟ كم من**

(*) لم تكن الأمن أو السياسة الدافع للتأسيس الاتحاد الأوروبي، بل كان الاقتصاد الأوروبي المحطم تحطيمًا كلياً بعد خروجها من الحرب العالمية الثانية، فكانت التجمع لبناء الاقتصاد الأوروبي هو الدافع الأول، لذا كانت البداية بناء المنظمة الأوروبية للتعاون الاقتصادي عام ١٩٤٨م. ثم توالت إنشاءات مختلفة بمقتضى الظروف والأحوال، حيث أنشئ مجلس أوروبا في مايو عام ١٩٤٩م وأنشئ المجتمع الأوروبي للفحم والصلب في إبريل عام ١٩٥١م، ثم اتحاد أوروبا الغربية في أكتوبر ١٩٥٤م، ثم أنشئ كل من الجماعة الأوروبية للطاقة الذرية والجماعة الاقتصادية الأوروبية بموجب معاهدة روما في مارس ١٩٥٧م، ثم أدمجت الجماعة الاقتصادية الأوروبية والمجتمع الأوروبي للفحم والصلب والجماعة الأوروبية للطاقة الذرية. كل هذا في يوليو ١٩٦٧م، لتصبح كيانًا واحدًا أطلق عليه فيما بعد الجماعة الأوروبية التي ازداد عدد أعضاءها واستمرت الإنشاءات والتطويرات إلى أن أصبحت الاتحاد الأوروبي عام ١٩٩٣م الذي يتمتع به الأوروبيون اليوم. وللمعلومات عن نشأة الجماعة الأوروبية وتطورها إلى الاتحاد الأوروبي انظر:

1) http:\\www.thoinstitution of European union.com

2) http:\\ www.European.Eu.int/presentation/delauten.htm

3) http:\\ www.Eu.courtofjustice.com."the cort of justice and the life of European lotizems".



الوقت تبقى أمام العرب قبل أن تكتمل حلقات تدمير بلادهم واحدة بعد أخرى؟ وقد تم غزو العراق، والدور على سورية أو السودان ولبنان، أو السعودية أو اليمن، أما الصومال فقد تمكنت أمريكا من تدميرها انتقامًا منها وتعمل الآن على منع قيام أي سلامٍ فيها، وأما السودان فيعمل أمريكا والغرب على تقسيمها وتفتيتها إن شاء الله، ويبدأ بفرض عقوبات مدمرة على الدول المختارة أولاً، ثم بعد ذلك الغزو العسكري، وهذا غير مستبعد في التفكير الأمريكي أبدًا، المقولة التي ترددها أمريكا دائمًا: (مع عدم استبعاد الغزو العسكري) وأعتقد أن العقوبات الأمريكية ضد سورية قد بدأت فعلاً.

ثالثًا: لقد كان التكتل الاقتصادي الذي شرعه الغرب بعد الحرب العالمية اختيارًا، "نعم كان اختيارًا، وليس اضطرارًا، ولم تكن هناك ظروف تدفعهم وتجبرهم على التكتل السياسي والوحدة الأوروبية.

أما العرب فليس أمامهم أي فرصة غير الاتجاه نحو الوحدة التكاملية السياسية والاقتصادية والأمنية معًا، وليس هذا اختيارًا أمام العرب بل إجبارًا أن يتوحدوا، وليس لهم الخيار إلا أن يدعوا بالتكتل السياسي أولاً، فتكون كل من السوق العربية المشتركة والمجلس الأمني العربي والبرلمان العربي وأجهزة أخرى كلها آليات للوحدة السياسية، وليست الوحدة السياسية هي إحدى الآليات لغيرها فلا قيمة مثلاً للبرلمان العربي دون أن يكون داخل إطار سياسي كمرحلة أساسية له(*). لا

(*) لقد قدمت تصورًا لسيناريو الوحدة العربية وخطوات تنفيذها في الجزء الثاني. فكل المناقشات العربية على المستوى الرسمي والأكاديمي والإعلامي تتجنب ذكر الوحدة السياسية وتتجنب ذكر الأمن العربي وتنصب كل اهتماماتها على سوق العربية المشتركة كأنهم يخافون الوحدة السياسية ولم أجد سببًا أو مبررًا واحدًا لهذا الرعب من مناقشة العرب للتكتل السياسي الذي أصبح سمة العصر الأساسية لمن يكون في مثل ظروف العرب تحيط بهم الأخطار من كل جانب فضلاً عن الأخطار الداخلية

وقت أيها العرب، لا وقت أيها العرب، لا وقت أيها العرب، لا خيار من الاتجاه فورًا نحو الوحدة، لابد من البدء قبل فوات الأوان.

فإذا كانت أفريقيا الأقل موردًا في السيولة المالية والأكثر تشتتًا في توجهاتها السياسية والأيدلوجية والقبلية واللغوية والدينية، قد توجهت فورًا نحو التكتل السياسي أولاً ونجحت في تكوين وحدة سياسية ومن ثم جعلت جميع التكتلات والجماعات الاقتصادية الإقليمية في القارة آليات فعالة لوحدها السياسية التي أخذت تنميها وتبني الآن منشآتها ومؤسساتها وآلياتها في خطوات وطيدة(*).

=

والتي تحتاج إلى اتخاذ قرارات جريئة ولكن محسوبة تكون خطوة لآلاف خطوات لدرء الأخطار عن الأمة، ولكن التترع بالخطوات الأوروبية فهو هروب من الواقع والمسئولية بكل معنى الكلمة.

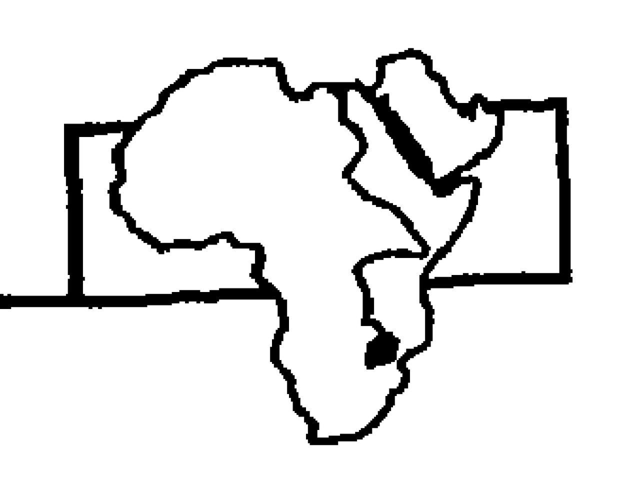
(*) توجد في القارة الأفريقية اليوم أربع تجمعات اقتصادية إقليمية كبرى، فضلاً عن نيباد *NEPAD* التي تعد الآلية الاقتصادية العليا لأفريقيا، فقد عدت هذه التجمعات الاقتصادية بمثابة آليات اقتصادية للاتحاد الأفريقي الذي يعتبر الإطار السياسي للقارة، أول هذه التجمعات هي:

١) جماعة التنمية للجنوب الأفريقي:
*Southern African Development Community "SADC*سادك"
وتضم ١٤ دولة من دول الجنوب الأفريقي.

٢) السوق المشتركة للشرق والجنوب الأفريقي (كوميسا *COMESA*) *Common Market for Eastern and Southern Africa*. ويضم هذا التجمع ٢٠ دولة الآن من دول الشرق *"COMESA"* والجنوب الأفريقي معًا ومصر عضو هذا التجمع.

٣) التجمع الاقتصادي لدول غرب أفريقيا (إيكواس *ECOWAS*) *Economic Community of West African Stats.* وتضم ١٥ دولة من دول غرب أفريقيا.

=



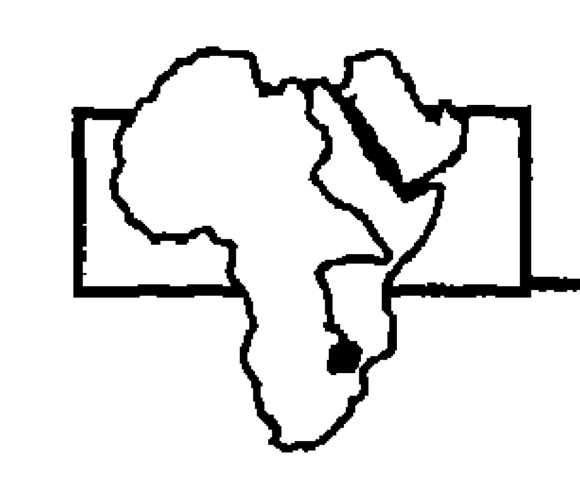
فما الذي يمنع العرب عن التوجه نحو تكوين الوحدة السياسية بطريقة مماثلة وهي الأكثر ثراء من الناحية الفعلية وأقل تشتتًا في اللغة والفكر السياسي والدين .. الخ.

أيها الأفريقيون ويا أيها العرب علينا **واجبات مشتركة** كثيرة ومتنوعة وعلينا مهام جسام وعظيمة مشتركة نقوم بها، فلا وقت للفرقة، فلا وقت للضغينة، فلا وقت لتضييعه، فلا وقت للتسويف، إن علينا مهام مشتركة لبناء مستقبل أفريقي عربي أفضل لنا وللعالم أجمع، فهذا قدرنا ونحن نعيش معًا في قارة واحدة.

فقد قدر الله سبحانه وتعالى وقضى أن يكون الأفارقة والعرب معًا يتقاسمان القارة الأفريقية وهما مواطنو القارة، الأفارقة في أقاليمها الجنوبية والعرب في أقاليمها الشمالية فلا مفر من أن يتعاملا معًا لمصلحة الجميع

=

٤) تجمع دول الساحل والصحراء: ويضم هذا التجمع ١٦ دولة حاليًا.
وكان المفروض أن تكون خمس تجمعات إقليمية لو كانت الدول المغاربية قد نجحت في تكوين تجمعها. ولكن للأسف لم تنجح في ذلك إلى الآن.
وأما الـــ (نيباد *NEPAD*) فهي الآلية الاقتصادية الكبرى لعموم أفريقيا بالشراكة مع الدول الأجنبية.
أي الشراكة الجديدة لتنمية أفريقيا: *The New Partnership for African Development* فهذه التجمعات كلها جعلت كآليات للوحدة الأفريقية السياسية للاتحاد الأفريقي.
– انظر: د. فرج عبد الفتاح: إمكانات التعجيل بتنفيذ الجماعات الاقتصادية الأفريقية في ظل الاتحاد الأفريقي، في الاتحاد الأفريقي ومستقبل القارة الأفريقية. مرجع سابق: ص٢٦٩-٣٠٩.



ورفاهية قارتنا وشعوبنا.

فكثيرًا ما وجهت أسئلة إلى أبناء أفريقيا الدارسين في العالم العربي في مناقشاتنا وحوارنا عن الطريقة المثلى للتعامل بين العرب والأفارقة وهما مواطنو هذه القارة؟ وكذلك عرب شبه الجزيرة العربية والشام الذين قدر الله أن يكون لهم روافد من أبناء وأحفاد في القارة الأفريقية يبلغ عددهم ٢١٤ مليون نسمة.

لذلك قلت باستحالة تحقيق وحدة أفريقية صرفة أو وحدة عربية صرفة، فعندما تتحقق وحدة في أي منهما فإنها في الواقع تعد وحدة مشتركة بينهما، ففي الوحدة الأفريقية عرب أفريقيون وفي الوحدة العربية إن تحققت سوف يكون نصف أعضائها عرب أفارقة.

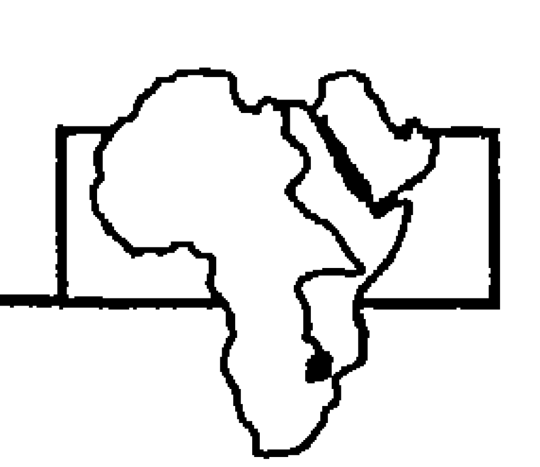
إذًا فهذا قدر الله لهما، فلابد من إذعانهما لهذه الأقدار والاستجابة لها وأن يقوموا بتكوين الوحدة المتعامدة والمتداخلة لبناء حضارة عربية أفريقية، تكون خيرًا لهما وللعالم أجمع فنشر هذه الفكرة هو مهمة هذا الكتاب.

فأمامنا مهمة إنهاء كل أنواع الصراع والحروب القبلية والأهلية(*)، وعلينا مهمة محاربة كل أنواع الأمراض المهلكة التي تواجه القارة وعلينا مهمة محاربة الفقر والذل.

علينا **استئصال جذور التفرقة العنصرية بين العرب والأفارقة**(**)،

(*) فأمام الأفريقيون "الأفارقة والعرب معًا" العمل الجماعي لإنهاء الحروب في كل من دارفور والصومال والكنغو والكوت ديفوار عن طريق التوافق في الاتحاد الأفريقي.

(**) ويبقى أكبر مشكلة وأعمقها والتي يصعب حلها إلا بالتربية الإنسانية الاجتماعية المستقيمة، المخلصة ألا وهي التفرقة العنصرية والنظرة الدونية للغير التي تقبع في النفوس ليس بين الأفارقة والعرب فحسب بل التفرقة العنصرية بين الأفارقة أنفسهم بين القبائل وبين الأقاليم وبين مختلف الشعوب في القارة الأفريقية والتي لا يمكن



مثل تلك التي تحدث في دارفور في السودان الأفريقية العربية، ألا يعلم العرب في السودان أن الأفارقة كانوا يرحبون بهم ولم ينظروا إليهم يومًا كغزاة أو مستعمرين وقد رحبوا بهم وبدينهم وبلغتهم ألا يرون أن الأفارقة في السودان وفي إقليم دارفور يتكلمون باللغة العربية والتي أصبحت لغتهم ويدينون بالإسلام. والأفارقة بدورهم أقول لهم أن العرب أيضًا لم يكونوا مستعمرين لكم ولم يستنكفوا عن أن يتزوجوا منكم وأن تظهر أعراق جديدة في السودان تميزت بدم أفريقي وعربي: تعالوا ننه هذه البغضاء والمشاحنات، فإن

=

إنكارها "مهما حاولنا" ولسوف نعد لها دراسة خاصة من أجل إيجاد علاجات ناجعة لها لطالما نعيش كلنا تحت ظلال الاتحاد الأفريقي كمواطنين أصليين له، ولقد ناقشنا رؤى بعض أبناء أفريقيا -الدارسين في العالم العربي حول نقاط معينة فيما يتصل بالتفرقة العنصرية انظر الفصل الرابع والخامس من هذا الجزء.

انظر أيضاً الدراسات العلمية لبعض أبناء أفريقيا الدارسين في العالم العربي:

١) د. الخضر بن عبد الباقي محمد، صورة العرب لدى الأفارقة: دراسة مسحية لحالة نيجيريا، رسالة دكتوراه غير منشورة، (القاهرة، معهد البحوث والدراسات العربية، ٢٠٠٥).

٢) ديالّلو مامادو هادي: المعالجة الصحفية المصرية للقضايا الأفريقية، دراسة مقارنة بين جريدتي الأهرام اليومي والأهرام إبادو الصادرة باللغة الفرنسية، رسالة ماجستير غير منشورة، (القاهرة: معهد البحوث والدراسات العربية، ٢٠٠٥).

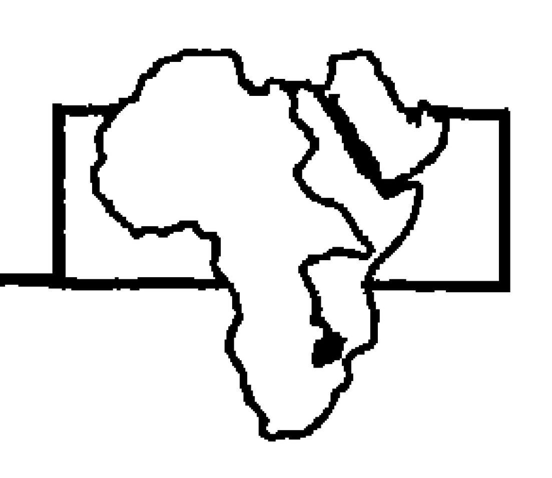
ثم انظر أيضاً ما يعتبره العرب تفرقة من جانب الأفارقة للعرب:

١) د. صبحي قنصوة: قضية الهوية وأثرها على إدراك الأفريقي للعالم العربي، في العلاقات العربية الأفريقية (القاهرة، الندوة الأفريقية تحت رعاية جمعية الدعوة الإسلامية العالمية وتنظيم المشترك بين المركز العربي الأفريقي للبحوث والدراسات ومعهد البحوث والدراسات الأفريقية والجمعية المصرية الأفريقية للعلوم السياسية في الفترة من ١٨-١٩ فبراير ١٩٩٨م بجامعة القاهرة، وإصدار جمعية الدعوة الإسلامية العالمية طرابلس ليبيا، ص.ص. ١٨١-٢١٥.

القارة تسعنا جميعًا، وخيراتها كثيرة، تكفينا وأحفادنا وأحفاد أحفادنا إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، إذن تعالوا كي نستخرجها وننميها ونعمر بلادنا ونبني رفاهيتنا.

لا داعي للإساءة، لا داعي لمهاجمة قرى ومدن الأفارقة الذين أصبحوا جزءًا منكم لا داعي لاغتصاب بناتهم ونساءهم، أو الإساءة إليهم، أو إذلالهم لا داعي لكل هذا، فالحرب قد تنتهي ولكن يبقى الخزي والكراهية في النفوس إذا ما قمتم أنتم العرب بفعل هذه المنكرات، "الحروب ربما نعم"، لأنها من سنن الحياة حيث تكون في أحيان كثيرة مشروعة بل وواجبة، ولكن اغتصاب النساء والبنات لم يكن في يوم من الأيام مشروعًا، ولن يكون، لا للإذلال فهذه ليست من شيم العرب ولا من سلوك المسلم، فانتهوا عن الحرب، واجتنبوا الإساءة بالإذلال أو بالاغتصاب، فليس هذا وقت الحروب فهذا وقت البناء والتنمية، وقت الوحدة الشعبية والاندماج لا وقت للتفرقة العنصرية والعرقية، هذا وقت التقدم لا وقت التخلف، هذا وقت الكرامة لا وقت الذل.

تذكّر أيها العربي الدارفوري أنك في سنوات قليلة قادمة سوف يكون في متناول يدك جواز سفر أفريقي موحد تسافر به عبر القارة شرقها وغربها وجنوبها تلقي ترحيبًا حيث تحل وحيث تذهب، وسوف يكون في متناول يدك عملة أفريقية موحدة تشتري بها كل ما تريد وتتاجر بها تجارة رابحة وسوف تتمكن من إرسال أولادك للتعليم في أي جامعة أفريقية في أي بلد أفريقي فيمكنك مثلاً إرسال أولادك كي يتعلموا في جامعات غانا أو كينيا أو موريتانيا.. الخ، لذا فلا تسيء حتى لا تصاب بالخزي وأنت تمشي بين الأفريقيين وقد أسأت إليهم قبلا، وتأكد أن الإنسان الأفريقي لا يحمل لك ضغينة ولا



كراهية بل المحبة والاحترام.

وأخيرًا أوجه رسالة أخوة ورسالة حضارة وإنسانية: إلى كل من الحكومة السودانية وإلى جميع قيادات الحركات المتمردة في دارفور: أن يعقدوا هدنة طويلة هدنة صادقة، وأمينة فليكن ٧ أو ١٠ سنوات: يتم خلالها عقد مؤتمرين وطنيين مهمين أولها يعقد في إحدى الدول خارج السودان مؤتمر وطني شامل لبناء الثقة المتبادلة ثم يعقبها مؤتمر وطني ثاني داخل السودان للتسوية الشاملة من أجل إيجاد حل جزري شامل وعادل، يجعل السودان دولة كنفدرالية مثل نيجيريا، وخلال فترة الهدنة يتم توزيع الثروة توزيعًا أمينًا وعادلاً لبناء كل إقليم أو ولاية بمشروعات مستدامة للتنمية الشاملة، مع الاستمرار في فترة الهدنة عقد مصالحات بين جميع القبائل مع الأطراف العربية والأفريقية مصالحات شعبية وعلاقات اجتماعية وثقافية مع إعطاء كل إقليم أو ولاية حق عقد اتفاقيات اقتصادية وتكنولوجية مع أي دولة في العالم، ولن تحل مشكلات السودان كلها بدون كنفدرالية لأنها واسعة وكبيرة فلن تستطيع الحكومة المركزية مهما حاولت أن تسيطر على البلاد كلها ولا أن تنميها اقتصاديًا وتحديثها إلا بهذا الحل (الكنفدرالي)

وأما نحن أبناء أفريقيا الدارسون في الجامعات العربية والإسلامية علينا مهمة التعارف بين الشعبين العربي والأفريقي والعمل على الاندماج الفكري والثقافي والعرقي في ظل الاتحاد الأفريقي في انتظار الوحدة العربية التي سوف تتكامل مع الوحدة الأفريقية وتصبحان وجهين لعملة واحدة إن شاء الله(*). وهذا الكتاب بين

(*) وهذه هي المهمة التي تضطلع بها رابطة أفريقيا المتحدة: *Pan-African Association* أيضًا وهي منظمة غير حكومية أنشأها أبناء أفريقيا الدارسون في جمهورية مصر العربية في عام ١٩٩٧م، لتكون أهم ملتقى جميع أبناء =

يديك من مساهماتي المتواضعة في هذه المهمة والعمل الحضاري.

=

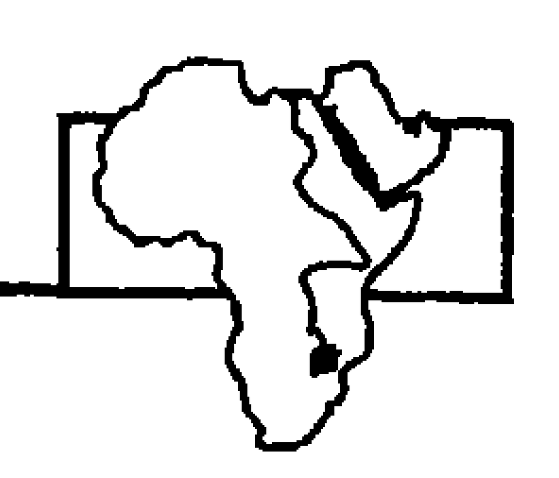
القارة الأفريقية بلا استثناء، لذلك يضم في عضويتها أبناء جميع أقاليم أفريقيا الخمسة شمالها وجنوبها وغربها وشرقها ووسطها، والجزر الأفريقية؛ لأن مبادئها تقوم على الإيمان بوحدة القارة ووحدة شعوبها، وتعمل على توعية شعوب القارة بالمواطنة الأفريقية والولاء لها والإخلاص لها والدفاع عنها، وتعريف الشعوب الأفريقية المختلفة. بعضها البعض وبمسيرة القارة في ظل الاتحاد الأفريقي الذي يجب أن تسود فيه المساواة والعدالة بين أبناء القارة دون تمييز وأن يعيش الجميع في الأمن والأمان والتنمية العادلة وحق المشاركة في بناء القارة الأفريقية واحترام حقوق الجميع، وتعمل الرابطة تحت رعاية الجمعية الأفريقية المصرية *The Egyptian African Society* ومقر الرابطة كائن في مقر الجمعية الأفريقية "٥ شارع أحمد حشمت بالزمالك" ومن أهم نشاطها: عقد ندوات ومحاضرات وملتقيات ثقافية واجتماعية وتنظيم دورات تدريبية وتنظيم رحلات إلى المعالم السياحية في مصر، وفي سنوات قليلة قادمة سوف تنظم رحلات إلى مختلف دول القارة الأفريقية، وحضور مؤتمرات خارجية بوفود خاصة وبالتعاون مع مختلف منظمات غير حكومية أفريقية أخرى لنشر الوعي والفكر الأفريقي الحقيقي، ولا أنسى أن أذكر أن الأفارقة في شتات في الأمريكتين وأوروبا والجزء بمحيطات أعضاء في الرابطة، ولقد حظيت بشرف شغل منصبين مهمين لهذه الرابطة، الأول: منصب رئيس اللجنة الثقافية من عام ٢٠٠٣، ثم منصب الأمين العام من عام ٢٠٠٥ لمدة ثلاث سنوات.



الفصل الثالث

الأفارقة والعرب ومراجعة التاريخ

* أخطار الجهل بالتاريخ المشترك.
* جهل الأفارقة.
* الأفارقة والشق الآخر.
* جهل العرب.
* العرب والشق الآخر.
* دعوة أفريقيا الحضارية إلى كل من ينتمي إليها.
* الاحتفال بموسم التاريخ الأفريقي.
* نقل الحركة إلى العالم العربي.



الأفارقة والعرب: ومراجعة التاريخ

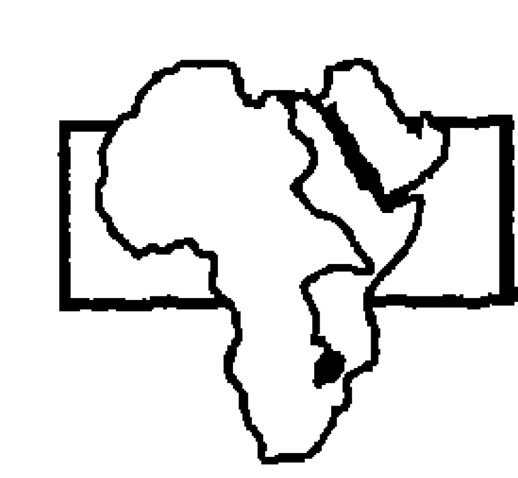
لم يكن من قبيل الصدفة أن يكون عنوان الجزء الأول من هذه الدراسة لتاريخ الروابط الأفريقية العربية "**المصير الأفريقي العربي المشترك**". إنما كان اختيارًا هادفًا إلى تجسيد الواقع التاريخي الإيجابي المشترك بين الأفارقة والعرب في الماضي، وتأكيد دور هذا الواقع في بناء المستقبل الأفريقي العربي المشترك.

هذا الواقع التاريخي الذي قضى الله سبحانه وتعالى أن يكون بين الأفارقة والعرب منذ أقدم العصور إلى اليوم، يجهله الكثيرون من الشعوب الأفريقية والشعوب العربية على السواء "اللهم إلا المتخصصون" الذين درسوه ومن ثَمَّ كتبوا بعضًا منه، وأودعوه أرفف المكتبات العامة والمتخصصة، ولكنهم لم يعلموه أجيال الأمتين في المدارس والجامعات.

والأسوأ من ذلك أنهم علموا هذه الأجيال تاريخ أمم أخرى أكثر من تاريخهم أنفسهم، فأصبحت جاهلة بما قدر الله سبحانه وتعالى أن يكون بينهما من روابط وتضامن وتكامل ووحدة، حتى أن الدراسات الأفريقية والعربية التي تناولت الروابط التاريخية بين الأفارقة والعرب لم تنتبه إلى الأقدار المنشئة لهذه الروابط والتي من شأنها جعل رؤية الأمتين لهذه المصيرية أكثر وضوحًا في الأذهان، وأكثر قناعة ورسوخًا في النفوس.

ولو درس الأفارقة والعرب تاريخ الروابط بينهما في عصور ما قبل الإسلام وما بعده إلى اليوم، وتأملوا جيدًا؛ لعلموا وفهموا فهمًا عميقًا، أن الله -سبحانه وتعالى- قد قدّر ومهد بهذه الصلات المتميزة، بأن يأتي الزمن الذي سوف يستشعر الأفارقة والعرب بهذه الأقدار وبالوحدة المصيرية(*)، وبأن الله يريد

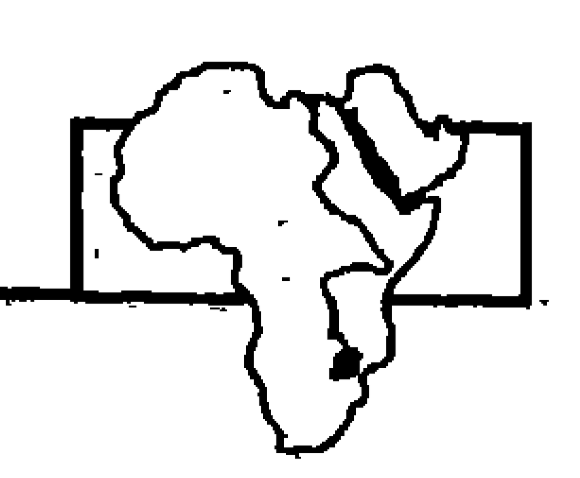
(*) ولكن الأفارقة والعرب خلال تلاقيهما وتفاعلاتهما في إطار تنظيماتها المشترك لمنظمة الوحدة الأفريقية وتعاونهما الاقتصادية والسياسية وفي إطار الدعوة الإسلامية وغير



منهم أن يتوحدوا ويتضامنوا "إذا جاء الأجل" لبناء حضارة إنسانية موحدة ممتدة، تكون سببًا في استقرار العالم ورفاهية شعوبه، وتعم الطمأنينة أرجائه وكذلك تكون سببًا في تقلص حدة الصراعات، وتقلص طغيان شعوب على أخرى، بما سوف تحدثه "حضارة أفروعربية *AfroArabian Civilization*" من توازن في ميزان القوى في العالم، وأنها لو قدر أن يشيدها الأفارقة والعرب، فلن تكون حضارة معتدية استعمارية ظالمة، ولسوف تكون حضارة تنشر الحرية والعدالة والخير في العالم كله تحفظ للبشرية إنسانيتها، وسوف تكون سببًا في تحرر الأمم من أسر الهيمنة وسوء الاستغلال.

=

ذلك من الاتصالات العربية الأفريقية في القرن العشرين المنصرم كل ذلك لم يستند قط إلى أي ثابتة من الثوابت الراسخة الواقعة بينهما، كما لم يستند إلى أي تجارب حضارية تاريخية بينهما، فكل ما فعله العرب والأفارقة خلال تلاقيهما في القرن العشرين أن استندوا إلى المتغيرات الاقتصادية والسياسية التي يمكن أن تكون بين أي دولة وأخرى. لمزيد من المعلومات لهذا الموضوع انظر: أحمد إبراهيم محمود العلاقات العربية الأفريقية في بيئة دولية متغيرة في التعاون العربي الأفريقي الواقع الراهن وآفاق المستقبل (مالطا، مركز دراسات العالم الإسلامي، ١٩٩٢م)، ص١٠٧.



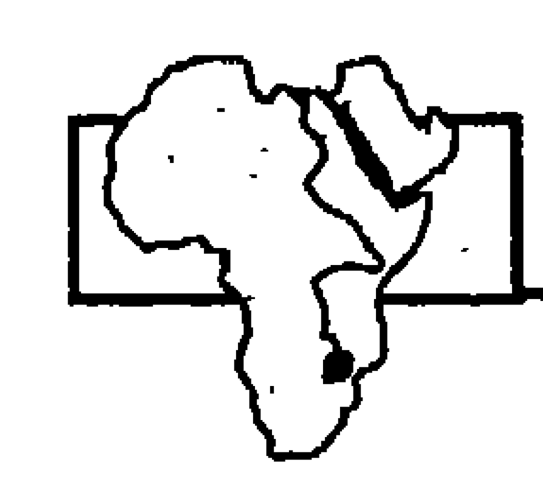
أخطار الجهل بالتاريخ المشترك

يستوجب التنبيه إلى أن أخطار جهل الشعوب الأفريقية والعربية بتاريخ الروابط بينهما بإيجابياتها الحضارية والدينية والثقافية والاقتصادية والاجتماعية العرقية، تعد الأخطر عليهما من الأخطار الناجمة عن استهداف الغرب لهما بجميع أشكال الاستعمار والهيمنة وسوء الاستغلال والوقيعة بينهما، والتي مارسها الغرب عليهما منذ قرون إلى اليوم ولا يزال يريد أن يستمر في الممارسات نفسها مستقبلاً.

ذلك أن الجهل بتاريخ هذه الروابط؛ يقلل من احتمالات إدراكها للمصيرية المشتركة بينهما(*) ويحجب رؤيتهما لما قدر الله أن يكون بينهما، وأنه لم يوجد أمتان في العالم، قدّر أن تكون بينهما روابط وطيدة وجوهرية مثلما قدر بينهما، رغم اختلاف اللون واللسان اللذين لم يحولا دون التقائهما اجتماعيًا وعرقيًا وثقافيًا وأن يكونا ثنائي بناة حضارات متقدمة في قارتيهما الأفريقية الأم والعربية الفرع، في العصور الوسطى.

فيوم يدرك العرب والأفارقة هذه الأقدار المصيرية من واقع التاريخ المشترك بينهما الذي حدث ووقع فعلاً في الماضي، سوف تنكشف الغشاوة، يومها يصبح المستحيل ممكنًا، والصعب سهلاً والتباعد تقاربا، والتفرق توحدًا مهما اختلفت مآربهما وألسنتهما وألوانهما وطبائعهما، والتي لم تحل دون تلاقيهما اجتماعهما قبل الإسلام وبعده، ذلك الذي يسعى الباحث إلى كشف النقاب عنه.

(*) لقد وصل الجهل بالتاريخ الأفريقي والعربي درجة ببعض الأفارقة أن ينفوا وجود أي صلة إيجابية بين العرب والأفارقة إلى القول بالنقيض بينهما.

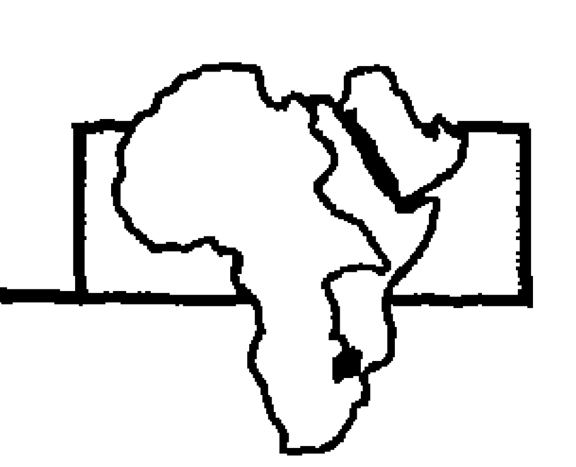


١- جهل الأفارقة بالتاريخ المشترك:

إن عدم معرفة الأفارقة بتاريخ هذه الروابط يعزز تبنيهم (حتى المسلمين منهم) للصورة النمطية *stereotyps* التي رسمه الغرب عن العرب، وأنهم شر المستعمرين وأسوأ المستغلين لأفريقيا، وأنهم أي: العرب هم التجار الحقيقيون للرقيق الأفريقي المشين في القرون الوسطى، وأن هذه التجارة العربية للرقيق الإفريقي استمرت في السودان وفي موريتانيا إلى اليوم(*)، ولو أن هذه الرؤية الغربية الغرض منها النيل من الروابط الإيجابية بين العرب والأفارقة والتشويه للتاريخ الإفريقي العربي، إلا أنه لو حدث وتبناها عموم أفريقيا كلية، دون أن تكون هناك رؤية واقعية مضادة للرؤية الغربية للأفارقة؛ فإن جميع الثوابت الإيجابية بين العرب والأفارقة تصبح غير ذات جدوى(**)، فإذا حدث ذلك

(*) لقد ثبت فعلاً وجود نوع من ممارسات للعبودية في كل من السودان وموريتانيا. يمارسها العرب للأفارقة وهذا شيء مشين للغاية؛ لأن ذلك يعطي زريعًا للغرب لاتهام العرب والمسلمين وتشويه صورة العرب ويتخذون ذلك دليلاً للادعاء بأن العرب كانوا هم التجار الحقيقيين للرق الأفريقي لأن العالم كله أبطل العبودية بينما لا يزال العرب يمارسونها وهذا أيضاً يحدث حساسية بين العرب والأفارقة.

(**) وذلك أن الأفريقي الذي لا يعرف الواقع التاريخي الأفريقي العربي القديم والحديث، فإنه يكون أكثر عرضة لغسيل المخ، وأكثر احتمالاً للاقتناع بأي تشويه للعلاقات التاريخية بين العرب والأفارقة عندما يقرأ أو يطلع على ما تعمد بعض الكتاب والمؤرخون الغربيون على تشويها وتزييفها للصلات بين أفريقيا والعرب بدوافع سياسية استعمارية والذي ثبت فيما بعد نزعة التعصب فيها كشف النقاب عنها الكتاب الأوروبيون المنصفون، وكذلك تلك التي قام الأفارقة العارفون بتصحيحها لقد وجدنا الكثيرين من الأفارقة من يتحدث عن الجوانب السلبية للعلاقات بين العرب والأفارقة ولا يتحدث عن الجانب الإيجابي لأنه فعلاً لا يرى أي جانب إيجابي في ذلك نتيجة لجهلهم بالتاريخ ونتيجة لبعض العوامل سوف نذكر بعض منها في الفصول التالية.

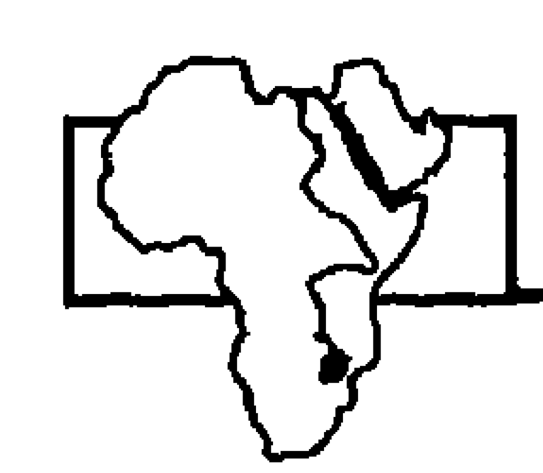


فسيكون معناه أن حلم الغرب آخذ في تحقيق إبقاء نأي الأفارقة بأنفسهم بعيدًا عن العرب، وهذا في غير صالح أفريقيا، إذ يعني: بقاؤها أسيرة للغرب منفردًا بها يستغلها كما يحلو له، وهنا يكمن الخطر المتمثل في فقدان أفريقيا لجزء من قوتها الاستقلالية وهي القوة العربية المساندة «قوة الشق الآخر».

وقد يحتج بعض أبناء مسلمي أفريقيا على وجهة نظري هذه، بأنني أنتقص أفريقيا قدرتها على الاستقلال، وأن أفريقيا لا يمكنها الانطلاق وحدها بدون العرب، نحو التحرر والاستقلال الحقيقيين وأنني بذلك أؤكد على مزاعم الناس بأن أفريقيا عاجزة وحدها عن النهوض وتحقيق أي تقدم حضاري ذي بال.

كلا، إن قصدي بعيد كل البعد عن هذا المعنى إنما أقصد هنا **بالأفارقة والشق الآخر**: الشق الذي يتكامل ويتوقى به(*)، فهو "قوة مكملة" فالكل في العالم اليوم يحتاج إلى قوة أخرى "شقه الآخر" ويبحث عنه بقوة، وخاصة إذا كانت القوة الأصلية ناشئة، تحتاج إلى قوة أخرى مساندة، التي تشترك معها في خصائص معينة "عصبة". فقد تكون القوة الأصلية قادرة على النهوض والانطلاق بنفسها، ولكنها إلى حد ما تظل تحتاج إلى شقها الآخر، وخاصة إذا كانت تواجه تهديدًا، ومعرضة لأخطار خارجية، فالإنسان يحتاج إلى ساعديه كليهما، رغم أنه قد يستطيع تحقيق إنجاز ما بساعد واحد في حال فقدانه لأحدهما؛ إلا أنه رغم قدرته هذه مع ساعد واحد يظل يحلم بساعدين معًا "حتى

(*) الشق الآخر: هنا هو الذي يجمع بين الشق والشق الآخر أخوة الدم والدين وفي القيم الأخلاقية والشعور المشترك بالانتماء إلى البعض ووحدة الشعور بالمصير وبالاشتراك في حركة التاريخ ووحدة الأوطان ووحدة قارية او بالجوار القرب والتشابه التاريخي والمعاصرة وكل ما من شأنه التعاضد والتساند والتعاطف والحماية والاندماج .. الخ.

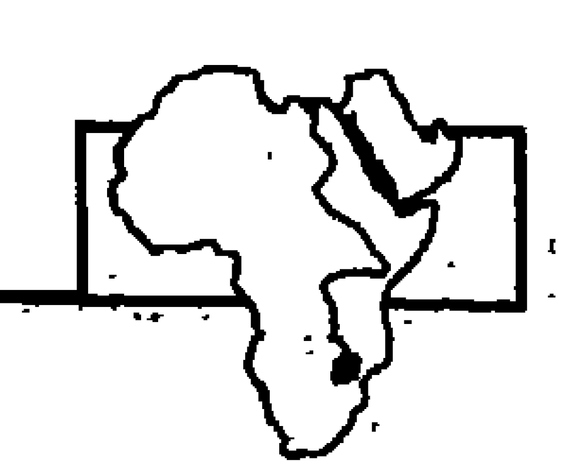


لو كان ساعدًا صناعيًا"؛ لأنه إذا كان قادرًا بساعدٍ واحدٍ فإنه يكون الأقدر بساعدين.

فالولايات المتحدة الأمريكية التي نراها اليوم قوة مادية جبارة لا تدانيها قوة مادية أخرى، في العالم اليوم إلا أنها رغم ذلك ما فتأت تبحث، بقوة، عن شق "قوة أخرى مساندة لها" فيمن ترتبط معها برباط أخوة، في الدم والدين والتاريخ المشترك ووحدة المصير، وأوروبا رغم تقدمها هي الأخرى تحتاج إلى الشق الآخر، تكون قوة مساندة لها، فراحت توسع من نطاق اتحادها لتشمل الآخر لها في أوروبا الشرقية والتي تشترك معها في خصائص خاصة، فنجدها حذرة جدًا في ضم تركيا، لأنها لا تشترك معها في كثير من الخصائص. وإسرائيل لم تقم وتحتل وتتأصل في مكانها على أرض فلسطين اليوم إلا بالشق الآخر، القوة الغربية المساندة لها وهي ترى أنها تشترك مع الغرب بخصائص كثيرة.

لكن الذي أود أن أؤكد عليه هنا، أن الشق الآخر الذي تحتاج إليه أفريقيا لكي تتقوى به؛ لا يمكن أن يكون الغرب بصفة عامة "أوروبا – أمريكا – كندا – استراليا – روسيا" **فلا يمكن بأي حال من الأحوال أن يعمل أي من هذه الكتل الغربية مخلصًا في سبيل تقدم أفريقيا اقتصاديًا وتكنولوجيًا وعسكريًا، أبدًا وذلك بسبب واحد لا غير، وهو أن الغرب لا يرى له أي انتماء إلى أفريقيا وهي بدورها لا تمت له بأي صلة أصلية**(*) **وبالتالي فهو – أي الغرب**

(*) وحتى الانتماء الوحيد بين أفريقيا والغرب هي تلك الانتماء التي تخلد الإرث الاستعماري بينهما على سبيل المثال منظمة كمونويلث: *commonwealth* هي منظمة للمحافظة على الرباط الاستعماري: إذ معناها الرابطة بين بريطانيا وبين شعوب مستعمراتها. فإذا كانت بريطانيا ربطت شعوب مستعمراتها بمنظمة =



- يقف منها موقف السيد الإقطاعي المستعمر المهيمن، ولن يحيد عن هذا الموقف من أفريقيا إلى الأبد، فلا يمكن لأي مستعمر أن يعمل -مخلصًا- على تقدم مستعمراته على الإطلاق، بل هو أقرب إلى العمل على تدميرها أو تقييدها أكثر من العمل على إطلاق حريتها كاملة أو على الأقل تركها وشأنها حتى تنهض بنفسها، ولكن للأسف لا يعلم الكثيرون في أفريقيا هذا، ولا يعلمون ماذا فعل الغرب بأفريقيا حتى تخلفت بالشكل الذي نراها اليوم.
كل هذا بسبب الاستهانة بالتاريخ، ولا يفقهون ماذا يريد الغرب بأفريقيا مستقبلاً، وهؤلاء هم الذين يرتمون بأنفسهم وببلادهم دائماً في أحضان الغرب ويرونه مطية لتقدم أفريقيا، بينما هو، بالقطع، لن يمنح أفريقيا أدنى ما تحتاج للقيام بالتنمية الأفريقية المستدامة لتحقيق ضروريات الحياة في أفريقيا، فإذا أعطى فبحساب الهيمنة، فإذا علم فبالنزعة الاستعمارية، والتي لا تسمن ولا تغني من جوع.

ولا يمكن أن يكون الشق الآخر لأفريقيا هو آسيا، ربما تكون قوة "تعاونية" لها، ولكنها ليست قوة "تكاملية" التي يمكن أن تنجم عنها حضارة

=

كمونويلث فإن فرنسا فعلت ذلك بالعملة المالية *(franc C.F.A* وهي العملة المتداولة في الدول الأفريقية الناطقة بالفرنسية ومعنى اسم هذه العملة: *colonies francaises dAfrique* أي معناها عملة المستعمرات الفرنسية الأفريقية، والتي قررت فرنسا تشكيلها لمستعمراتها عام ١٩٤٥م، إذن فالعلاقة الوحيدة بين الغرب وأفريقيا هي رباط الإرث الإستعماري وما أدراك ما الاستعمار. وللمعلومات عن فرنك سيفا الأفريقية أنظر:

C.F.A. the grip France won't let go. In the New African NO: 469. january. 2008. P. 26-32.

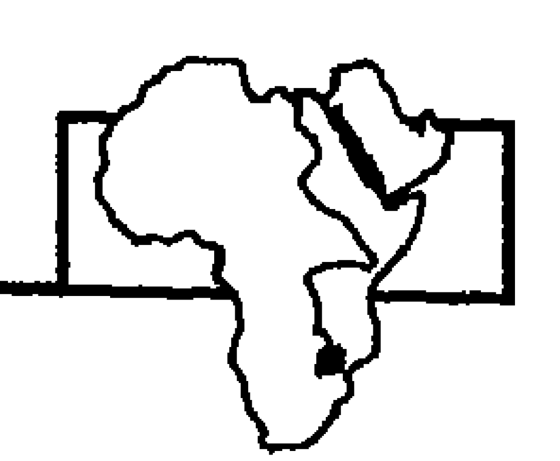
موحدة متناغمة، تجعل الطرفين أنا أنت، وأنت أنا "نحن" فالآسيويون أخذوا بعضهم بعضًا وذهبوا، حتى أنهم لم يأخذوا الغرب في شبه الجزيرة العربية معهم - رغم اشتراكهم معهم في القارة - لكن الشعور بالانتماء ضئيل بين العرب والآسيويين إن لم يكون مفقودًا كلية فكل من الغرب وآسيا لا يرتبطان بأفريقيا بثوابت ولكن المتغيرات فقط، فالشق الآخر لابد أن يرتبط مع نظيره بثوابت ومتغيرات معًا، فعندما ندرس التاريخ العام جيدًا سوف يتضح لنا أنه لا توجد أمتان تتوافر بينهما من الثوابت والمتغيرات مثلما تتوافر بين الأفارقة والعرب.

٢- جهل العرب بالتاريخ المشترك:

وأما عدم معرفة الشعوب العربية بتاريخ الروابط العربية الأفريقية جيدًا، يجعل قيمة الثوابت(*) بينها وبين الشعوب الأفريقية غير ذات أهمية مصيرية لديها، وبالتالي يعزز نزعة اللامبالاة في التوجه نحو شقها الأفريقي(**)، بسبب عدم إدراك أهمية العمق الاستراتيجي العربي مع أفريقيا، رغم حاجة العرب

(*) المقصود بالثوابت هي: تلك العوامل والأسس الراسخة التي تجمع العرب والأفارقة في خاصية واحدة ولا تتغير ولا يمكن محوها وهي: الوحدة الجغرافية والدين والروابط العرقية والثقافية والاجتماعية والقيم الأخلاقية .. الخ.

(**) لعل سبب إخفاق كل من العرب والأفارقة رغم تلاقيهما واشتراكهما في منظمة إقليمية واحدة وهي منظمة الوحدة الأفريقية، في إقامة علاقات حقيقية لا يمكن لإسرائيل أو الغرب اختراقها، هو أنهما تجاهلا الثوابت بينهما واستندوا إلى المتغيرات كما قلنا، فالأفارقة في توجههم نحو العرب كان هدفهم الأساسي اقتصادياً أي الحصول على المساعدات المالية العربية، بينما كان الهدف العرب الأساسي في توجههم نحو الأفارقة سياسيًا أي الحصول على الدعم والتأييد السياسي الأفريقي للقضية الفلسطينية والوقوف معها ضد إسرائيل انظر: أحمد إبراهيم محمود: العلاقات العربية الأفريقية في بيئة دولية متغيرة، مرجع سابق، ص١٠٨.



الملحة والشديدة إلى شق آخر، منذ مطلع القرن العشرين وحاجتهم إلى القوة الأخرى المساندة في مطلع القرن الحادي والعشرين أشد، والكل يعرف السبب، فقد نجح الاستعمار في الانفراد بهم وجرفهم إلى حافة الهاوية، ورغم ذلك فإن العرب لا يزالون فرادى فلم يرتموا إلى أحضان بعضهم البعض العربي الداخلي لتشكيل التماسك الداخلي "بقوته الأصلية" وليس غريباً إن لم يتوجهوا بعد إلى الشق الآخر الخارجي "أفريقيا".

العرب والشق الآخر:

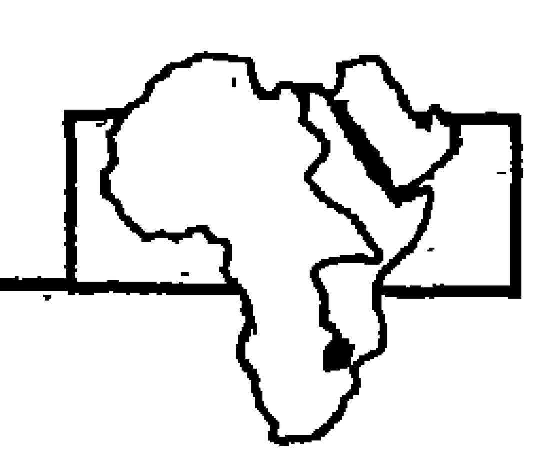
فكما تكلمنا عن استحالة أن يكون الغرب هو الشق الآخر لأفريقيا بسبب وقوفه موقف السيد الإقطاعي والمستعمر الدائم بجميع أشكاله مع أفريقيا؛ فإن الشيء نفسه ينطبق على العرب أيضاً، فمهما ارتمى العرب في أحضان الغرب ومن والاه، سواء بالتظاهر أو بالإخلاص، فإن الغرب لا ولن يعمل أبدًا على تقدم العرب تكنولوجيًا أو اقتصاديًا أو صناعيًا، ولن يسمح بتقدم العرب بأنفسهم عسكريًا، ففي رأيي: أن الغرب لو رصد نعمًا وخيرات نازلة من السماء على الأمة العربية لحشد جميع الوسائل التكنولوجية الممكنة لمنع وصولها إلى الأمة العربية.

وفي رأيي -أيضًا- أن الغرب لن يهدأ له بال أو يستريح حتى يسيطر على الأمة العربية، ويدمر كل الخيرات التي وهبها الله إيّاها رغم أنف الأمة العربية عن طريق نهبها وتبديدها حتى تنفذ وتصبح الأمة فقيرة في الموارد وفقيرة في التكنولوجيا الصناعية، وذليلة شرذمة ضعيفة عاجزة عن النهوض، وهيمن عليها إسرائيل وتسير أمرها كما تشاء، حينئذ يتنفس الغرب الصعداء، وبالتالي لا يمكن أن يكون الغرب هو الشق الآخر للعرب ولا أي نوع من القوة المساندة لهم، أضف ذلك كله إلى عدم وجود الثوابت بينهما، لذا فمهما حاول العرب التودد إلى أمريكا طمعًا في تحقيق السلام، فإنها لن تعمل

بإخلاص أبدًا على حل مشاكلهم أو إنصافهم بل سوف تعمل على تعقيدها أكثر فأكثر عن طريق عمل كل ما من شأنه عدم الاستقرار في المنطقة العربية، فبريطانيا وأمريكا اللتان أوجدتا الصراع العربي الإسرائيلي منذ أكثر من نصف قرن و لم يعملا على حله وها هما تضيفان صراعًا آخر في العراق، وسوف تخلقان مشكلة أخرى لتعزيز عدم الاستقرار بالمنطقة، والكل في العالم يعلم أن الولايات المتحدة الأمريكية هي السبب في استمرار الصراع العربي الإسرائيلي إلى اليوم، ولولاها لتم حل هذه المشكلة منذ أمد بعيد.

نخرج من هذه التحليلات، إلى أن الأفارقة والعرب يجب أن يراجعا تاريخهما المشترك لكي يعرفا من يكونان وكيف كانا، وماذا يريد الله سبحانه وتعالى أن يكونا مستقبلاً عندما يحين الوقت، وأن كل واحد منهما يعد شقًا للآخر، وأن مقومات الرباط التي تتوافر بينهما، لا تتوافر بين أي أمتين على كوكب الأرض، وأن هذه المقومات "الثوابت" التي توافرت بين الأفارقة والعرب، ليست مقومات نظرية إن صح التعبير، إنما هي معطيات للصلات العرقية والنفسية والتجاوب الحضارية الفعلية الإسلامية العربية الأفريقية، ومن تاريخهما الحافل بالكفاح المشترك قبل وبعد الإسلام، والتي يجب أن ننظر إليها باعتبارها واقع بين شق وشق آخر، فلم تقع بين غربين(*).

(*) فلنفسح المجال هنا البروفسير عبد الله واد *AbdAllah Waad* الرئيس السنغالي الحالي يشرح لنا رؤية العارفين الأفارقة الواعية للواقع الأفريقي العربي، والتي كان يقدمها في محاضراته لكل من العرب والأفارقة في الثمانينات من القرن الماضي وهو كان يتساءل حول العلاقات بين العرب والأفارقة: هل يتعلق الأمر بمجرد تعاون أو يتجاوزه إلى نوع من التكامل؟ وكان يقول منتقدًا «عند وصف العلاقات بين العرب والأفارقة: نتحدث غالباً عن العمل المشترك، بينما يجدر بنا الحديث عن الطبيعة التكاملية لهذه العلاقات» ويشرح قائلاً «وثمة فرق بينهما فما هو التعاون وما هو

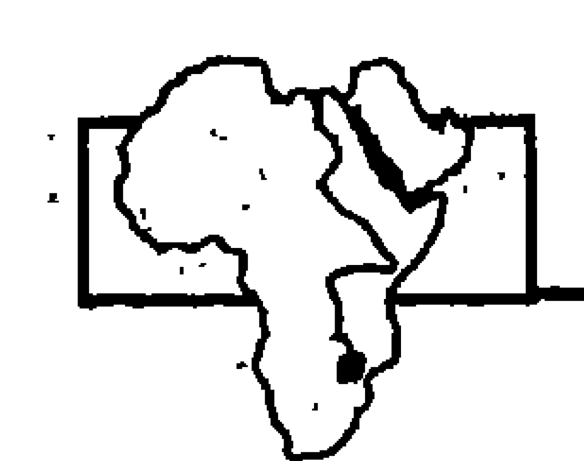


فالأفارقة كانوا يعيشون في الشق الأم من القارة الأفريقية بينما كان العرب يعيشون في الشق الفرعي للقارة وحدثت بينهما صلات واندماج ومن ثم لم يكن من غرائب الأمور أن نرى معظم الهجرات العربية إلى خارج الجزيرة العربية قبل الإسلام وبعده، كانت إلى أفريقيا حيث القارة الأم أكثر من هجرتهم إلى أي مكان آخر رغم وجود حاجزين يمكن أن يحولا دون الاتصال والاندماج بينهما، الحاجز الطبيعي المتمثل في البحر الأحمر والحاجز اللوني، كما أشرنا سابقًا، ولكن الشعور القوي بالانتماء إلى بعضهما البعض حطما هذين الحاجزين فمهمة هذه الدراسة كشف أسرار الروابط بينهما من أجل مستقبل موحد بين الأفارقة والعرب، ولعل هذا ما دفع علماء أفريقيا ومفكريها إلى توجيه دعوة حضارية إلى كل من ينتمي إلى القارة الأفريقية إلى معرفة أفريقيا أي معرفة كل ما هو أفريقيا (علم أفريقيا *Afrikology*) وأول ما يجب معرفته عن أفريقيا هو تاريخها القديم والحديث .. الخ.

=

التكامل؟ ويجيب قائلاً: «عندما نعتبر كيانين سياسيين مستقلين يمكن أن نتصور نوعين من العلاقات بينهما باستطاعة كل كيان منهما أن يصر على استقلالية تامة وعلى قدر كبير أو صغير من التصادم في العلاقات. ففي هذه الحالة يعتبر الكيانان أن لا وجود تمامًا، لأي تضامن موضوعي بينهما.

وفي المقابل يستطيع الكيانان أن يعتبر أن استقلالهما سببًا لا يعدو أن يكون اسماً لأن مصيرهما في الواقع واحد، وهذا الاعتبار يؤسسه وعي مشترك يرتكز على التاريخ والجغرافيا والثقافة والدين والثقة السياسية، ويضرب مثالاً لذلك قائلاً: فالتعاون بين السودان والنيجر أو مالي ومصر .. الخ ليست له نفس الدلالة عندما نتحدث عن التعاون بين السودان وبريطانيا أو مالي وبلجيكا، ذلك أنه يوجد بين البلدان الأفريقية وحدة مصير ترتكز على التاريخ المشترك والثقافة المشتركة .. الخ، انظر: بروفسير عبد الله واد: محاضرات في التعاون العربي الأفريقي، خرطوم ١٩٨٧م، ص.ص. ٣-١٢.



دعوة أفريقية حضارية إلى كل من ينتمي إليها

في اليوم التاسع من شهر يوليو عام ٢٠٠٢م اجتمع زعماء أفريقيا ورؤساؤها وقادتها كافة بجنوب أفريقيا، وأعلنوا جميعًا؛ قيام كيان أفريقي جديد، وهو الاتحاد الأفريقي *African Union (AU)*(١) إيذانًا ببناء الحضارة الأفريقية من جديد، باعتباره الطريق الأمثل والصحيح والفعال إلى الاستقلال الحقيقي والحرية والكرامة، وامتلاك أفريقيا لزمام أمرها، وإلى جعل القارة ندًا للقارات الأخرى في المجالات العلمية والتكنولوجية والاقتصادية، والقوة الأمنية القارية والاكتفاء الذاتي مثل التي تتمتع به التكتلات العالمية الأخرى، وتخليص القارة من جميع أشكال التخلف وأسبابه الداخلية والخارجية، وتضع نصب عينها التحديات التي سوف تواجهها في سبيل تحقيق أهدافها والوصول إلى غاياتها.

لذا فإنها اليوم توجه نداءها الحضارية إلى أبنائها كافة وإلى كل من ينتمي إليها، أينما كانوا وتدعوهم جميعًا إلى المشاركة الفعالة بطريقة أو بأخرى في بناء هذا الكيان الحضاري الجديد، وفضلاً عن الاتجاه بخطى وطيدة نحو بناء مؤسسات هذا الاتحاد، فإنها (أي القارة) تنطلق في مسيرتها الحضارية من عدة قناعات أساسية:

أولاً: إعادة الثقة بالنفس.

ثانيًا: الوعي بالذات وبالبيئة العالمية.

---

(1) *See: Pusch Commey. At last Africa has got its union. in. New African. No. 410. September 2002 London, P12.*

2) *See: All roads lead to Dutban in NA No. 408, June 2002, PP. 16-29.*

3) *See Omar Ben Yedder. African Union So far So good in. NA No. 421. Aug/Sep 2003. PP 12-17.*



ثالثًا: تعبئة الموارد البشرية قبل المادية.

أولاً: إعادة الثقة بالنفس للإنسان الأفريقي:

إدراكًا وإيمانًا من أفريقيا بأن اهتزاز ثقة الإنسان بنفسه وبقدراته يعد من أهم الأمراض المقعدة وخطيرة التي تثبط همه وتعزز سلبياته إلى ما لا نهاية ويمنعه من الإقدام والمبادأة، بينما الثقة بالنفس وبذات القدرة، تعزز الإقدام وتؤكد الإصرار، لذا فإن أفريقيا تعمل جاهدة من أجل إعادة ثقة الإنسان الأفريقي بنفسه وبقدراته التي سلبت منه زهاء خمس قرون، وقد كان قبلها سيد الحضارات وبانيها(*)، والتي عمد الغرب إلى تدميرها واغتيال ثقته بنفسه وبقدراته، ولا يزال يعمل على تثبيت اهتزاز هذه الثقة، لكن الأفريقي قد استيقظ وأخذ ينطلق بقطار الحضارة وأخذ ينفض عنه تراب الشعور بالنقص ويعزز الثقة بنفسه بخطى حثيثة إلى الأمام(**).

(*) انظر القسم الخاص لقائمة تلك الحضارات التي أقامها الأفارقة بأنفسهم ودافعوا عنها بأنفسهم والتي تقدمت وارتقت بالإسلام والعروبة الأمر الذي يعني أن الأفريقيين قادرون على البناء والعطاء الحضاري. (في الفصل السابع)

(**) لقد أدرك الأفارقة خلال القرون الخمسة الماضية أن أهم حالة قد عمل الغرب على غرسها في نفس وعقل الإنسان الأفريقي منذ تعامل معه تلك القرون هو غرس الشعور بالنقص *inferiorty* عن طريق طمس وتشويه كل ما هو أفريقي ابتداء من إذلاله والتقليل من أهمية منجزاته الحضارية والتاريخية إلى إنكار وجود عقل إنسان مبدع له مساوي للعقل الإنساني المعروف ، انظر:

1- *Baffour Hnkomah. In Times of peace prepare for war, in the New African No. 410 September 2002. P8.*

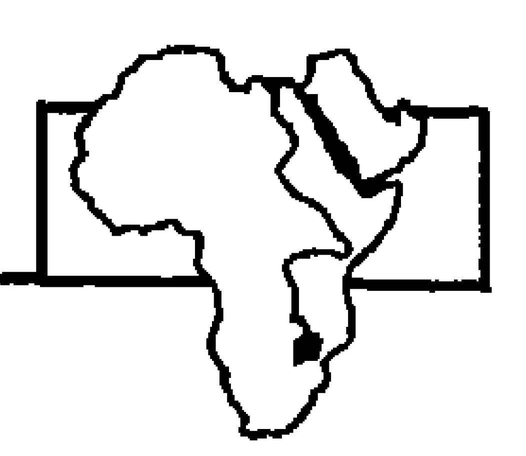
2- *Carina Ray. We have a History. N A. No46g january 2008. pp 2425.*

3- *Cameron Duodu. so James watson is 16% black himself? In NA. No 469. january 2008- pp 60-61.*

ثانيًا: الوعي بالذات وبالبيئة العالمية:

وربما يكون فقدان الوعي من أخطر الأمور كلها بالنسبة للفرد أو الجماعة، فبفقدان الوعي يكون الإنسان قد فقد الإحساس بوجوده ككيان مستقل له قدراته وله حريته وله حقوقه وله كرامته، لكنه عندما يكون واعيًا يدرك الأمور على حقيقتها، بل ويميز بين الحق والباطل، ويميز بين الصادق والكاذب، ولقد بدأ الإنسان الأفريقي يستعيد وعيه الذي سلب منه في غفلة من الزمن على مدى قرون عدة. وسلب منه وعيه بذاته وبالبيئة العالمية وبنوايا الغير تجاهه، نتيجة صراع العالم للسيطرة على قارته، ونتيجة لمحاولة الكل فرض نفوذه عليها واحتلال مكانة بها تمكنهم من استغلال مواردها دون قيد أو شرط أو اعتراض وسط استسلام أفريقي كامل لهم، فزعمت كل قوة مهيمنة بأنها الوحيدة دون سواها التي تعمل على مصلحة أفريقيا.

فأوروبا تدعي أنها الوحيدة التي تحب أفريقيا، فهي التي نقلت أفريقيا إلى العالم الحديث، وهي التي عملت على تمدينها وتقدمها، وأنها هي التي سوف تعمل على تقدمها في مختلف المجالات، وعملت على ألا تزاحمها أية قوة أخرى في التعامل مع أفريقيا، وخاصة العرب فعملت على تشويه صورهم ما أمكن، ثم ظهرت الولايات المتحدة الأمريكية على الساحة الأفريقية وادعت أنها الوحيدة القادرة على إنهاض أفريقيا وإخراجها من تخلفها الاقتصادي، كما ظهرت قوى أخرى غيرهما: روسيا واليابان والصين وماليزيا وكندا .. الخ، ففي وسط ذلك كله، يجب أن يكون الأفريقي واعيًا ويميز بين من جاء بسوء النية يسعى إلى استغلال شعوب القارة ويفرق بينهم وإلى استغلال مواردها أسوأ الاستغلال لمصالحه الخاصة دون النظر إلى مصالح القارة، وبين من جاء بحسن النية يسعى إلى تحقيق مصالح مشتركة معها والعمل بإخلاص



لتبادل المنافع والتعاون الحر من غير ضغط أو إرهاب أو استعمار واستغلال سيّئ، فهذه هي وظيفة الوعي، الذي تسعى أفريقيا اليوم إلى إعادته إلى كافة أبنائها حتى يكونوا قادرين على الاختيار والتمييز في التعامل مع من حسنت نيته ويرفضوا من ساءت نيته أو يكونوا على الأقل حذرين منه.

ثالثًا: تعبئة الموارد البشرية الأفريقية:

إن أفريقيا لمحظوظة جداً في اتجاهها الحديث نحو بناء كيان أفريقي جديد، لأنها تزخر بالموارد البشرية الهائلة والمتنوعة والبالغ عددها اليوم ٩٠٠ مليون نسمة، ويصل عدد سكان العرب أو ممن ينحدرون من أصول عربية حوالي ٢١٤ مليون نسمة[(١)]

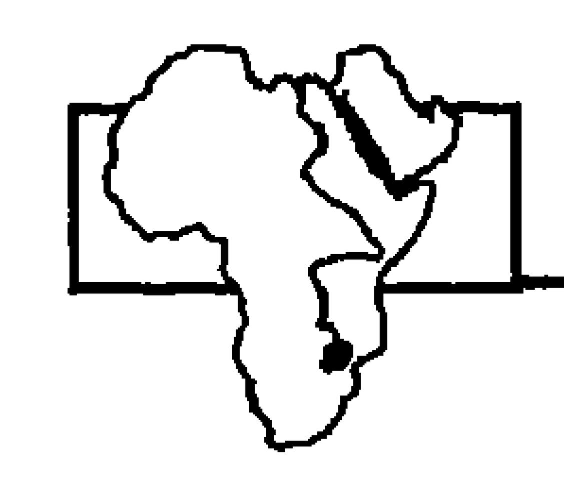
على سبيل المثال: إذا قيل أن سر قوة الولايات المتحدة الأمريكية وتفوقها في كافة المجالات يكمن في تنوع مواردها البشرية والتي تجمع كافة أجناس الأرض منصهرة في البوتقة الأمريكية؛ فإن أفريقيا تتمتع بهذه الميزة وزيادة ففضلاً عن اتساع رقعة أراضيها وأوسع من أمريكا وأوروبا والهند مجتمعة وتنوع مناخها وكثرة أنهارها، فإنها تتمتع أيضًا بتنوع الأجناس فيها، ففيها الزنوج والعرب والأوروبيون والآسيويون.. الخ، وفضلاً عن انتشار الزنوج في كل أنحاء العالم وتواجدهم في أهم البلاد يتبوءون المكانة المرموقة فيها بل ويشكلون قوة بشرية فيها في كافة المجالات تفتخر بها تلك البلاد وخاصة في مجالات الرياضة .. الخ.

فيجب أن يعمل الجميع لصالح تقدم أفريقيا: لتفنيد الرؤى الجدلية في الأوساط الأفريقية أن العرب لا يعملون لصالح أفريقيا إنما يعملون لصالح أنفسهم فقط[(*)].

---

(١) *www.or.wiklpedia.org. the main page.*

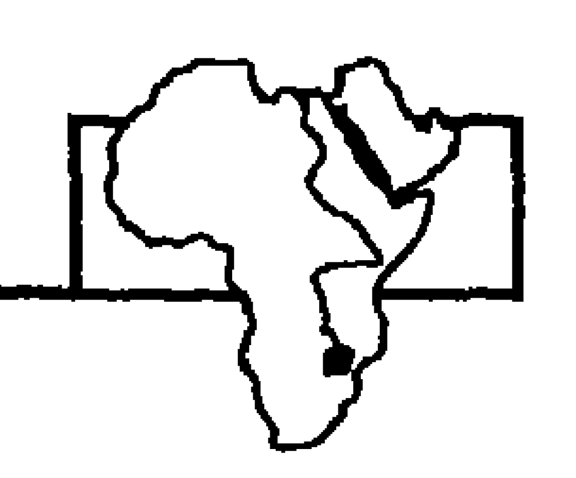
(*) تثور نقاشات حامية بين أبناء أفريقيا الدارسين في العالم العربي اليوم حول نظرة العرب إلى الإنسان الأفريقي وحول نوايا العرب وتوجهاتهم نحو أفريقيا، وموقفهم من



توجهات أفريقيا. فبينما ينظر البعض منهم إلى العرب كأمة تتوفر فيه الخيرية وأفضل من الغربيين من حيث الحس الإنساني وحب الخير، نجد الآخرين ينظرون إليهم بنظرة شك وريبة بأنهم لا يختلفون عن الغربيين من حيث العنصرية ضد الإنسان الأفريقي، ولقد ألقت الأحداث الواقعة اليوم في دارفور بالسودان بظلالها الكثيفة على نقاش أبناء أفريقيا الدارسين بالعالم العربي، حيث اعتبرها الكثيرون منهم أنها ما هي إلا إحدى فصول التفرقة العنصرية العربية ضد الإنسان الأفريقي. وأن العرب يريدون تطهير الجنس الأفريقي من دارفور لأسباب يعلمها الله ويعلمونها، ويقولون للأسف أن حكومة السودان تدعم «العرب الجنجويد» الذين يقتلون ذوي الأصول الأفريقية بالدارفور لذا فإنني أرى العمل على التلاحم الشعبي الأفريقي العربي، وقارتهم القارة الأفريقية تتجه بخطى حثيثة نحو تحقيق وحدتها وتكاملها السياسي والاقتصادي، والفكري وقوة الدفاع الموحدة.

ولقد سبق أن قلت أن الوحدة الأفريقية لن يكتب لها النجاح، وتكون قادرة على مواجهة التحديات الداخلية والخارجية إلا بالتعارف الحقيقي بين الشعبين الأفريقي والعربي بالإضافة إلى الشعوب الأوروبية والآسيوية المنتمين إلى أفريقيا، والعمل على تنمية الإحساس بالانتماء إلى بعضهما البعض ثم تنمية إحساسهما بالانتماء إلى القارة الأفريقية ومن ثم التلاحم بين شعوب القارة كافة، وهذا لن يتم إلا بدارسة تاريخ الروابط بين الشعبين إيجابياتها وسلبياتها، ودراسة المتغيرات المؤثرة في هذه الروابط، ومن ثم استقراء ما هو صالح لكل من يعيش في القارة ويحس بالانتماء إليها وكذلك العمل على إبراز أفضل ما في ثقافات الشعوب القارة جميعًا وتفاعلها مع بعضها لإيجاد وحدة الفكر ووحدة الثقافة ووحدة التوجهات ووحدة المصالح العامة، فهذه هي الوحدة الأفريقية الحقيقية.

لذلك فإنني آخذ على عرب أفريقيا بتوجيه التهاني إلى العرب وحدهم عندما يفوز أبناء العرب الأفارقة في المباريات الرياضية الدولية، على سبيل المثال، عندما فاز أبناء مصر بالميداليات الذهبية والفضية والبرونزية في الأولمبياد أثينا ٢٠٠٤ نسبوا كل التهاني لمصر وللعرب فقط، ولم اسمع كلمة واحدة لأفريقيا. وهذا يدل على قلة الإحساس بالانتماء للقارة الأفريقية، وهذا لا يساعد على التلاحم. وإنني في هذا أؤيد بشدة اقتراح بعض الخبراء والمفكرين الأفارقة والعرب بتنفيذ المشروعات الأفريقية التكاملية



وهذا التنوع الذي تتمتع به القارة داخلها وخارجها، يكفل لها التنوع في العقول والأفكار والابتكارات اللازمة لتحقيق تقدم أفريقي في كافة المجالات بحيث تكون نداً للدول الكبرى في القوة والتقدم. فإذا ما تضافرت عقول هؤلاء الذين ينتمون إلى أفريقيا اليوم وتساهمت أفكارهم وابتكاراتهم في ظل المنطلقات الثلاثة المذكورة هنا، فإن القرن الحادي والعشرين لاشك سيكون قرن أفريقيا، ولن ينتهي إلا وتكون أفريقيا على قدم المساواة مع الأمم المتقدمة اقتصاديًا وتكنولوجيًا .. الخ.

لذا كانت دعوة أفريقية الحضارية إلى أبنائها وإلى كل من ينتمي إليها أيًا كان لونه وديانته وعرقه وأينما يكون داخل القارة أو خارجها إلى معرفة أفريقيا حق المعرفة واحتياجاتها الحضارية.

البدء بدراسة التاريخ الأفريقي:

يرى خبراء أفريقيا ومفكروها وعلماؤها أن هذه المنطلقات الثلاثة (أي إعادة الثقة والوعي وقوة الإنسان لأفريقيا) لن تتحقق، إلا بتوفير معلومات صحيحة عن أفريقيا للأفريقيين؛ أي العلم بأفريقيا للإنسان الأفريقي حتى يعرف

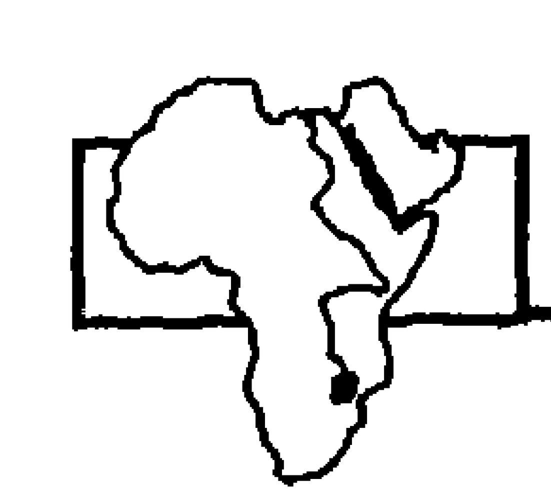
=

التالية:

١) شق طرق عبر جهات القارة المختلفة وإنشاء سكة حديد من شمال القارة إلى جنوبها وأخرى من غربها إلى شرقها وكذلك بناء طرق حافلات عملاقة عبر جميع جهات القارة (طرق برية عملاقة).

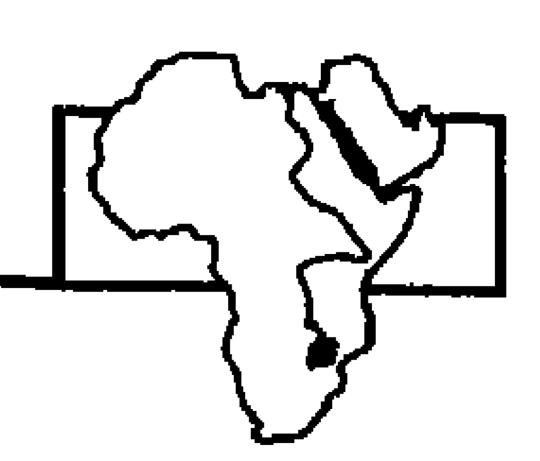
٢) فتح أبواب التعليم الجامعي مشاعًا أمام جميع أبناء القارة بحيث يدرس أبناء جنوب الصحراء في الجامعات العربية وتدرس أبناء الجانب العربي في جامعات الجنوب.

٣) توحيد المناهج الدراسية في التاريخ والثقافات، والحياة الاجتماعية ... إلخ. في مدارس جميع الدول الأفريقية والعربية في القارة.



ذاته وإمكاناته، ويصبح جديرًا ببناء حضارته الحديثة كما بنى من قبل، وأن هذه المعلومات لن تتوافر إلا عن طريق قراءة "علم أفريقيا *Afrikology*" ويأتي في مقدمة هذا العلم، التاريخ الأفريقي الصحيح والخاص بإسهامات الإنسان الأفريقي في بناء الحضارات في كل أنحاء قارات العالم الستة، حتى يعلم الأفارقة أن أسلافهم كانوا بناة حضارات العالم ومؤسسيها وحكامها، وليس في داخل القارة الأفريقية وحدها فحسب بل في كل قارات العالم ولو أن هذه الإسهامات الأفريقية في تقدم العوالم لم ترتبط بتطور أفريقيا في العصر الحديث اليوم لأسباب كثيرة، فإن بإمكانهم إعادة الكرة وإقامة حضارة إنسانية راسخة.

ويؤمن مفكرو أفريقيا ومؤرخوها والدارسون لشؤونها الخاصة إيمانًا جازمًا، أن معرفة الإنسان الأفريقي لماضيه الحقيقي ومدى إسهامات أسلافه الحضارية لكل العالم كفيل أن يعيد له ثقته بنفسه وبقدراته ويعيد له كذلك وعيه العام، وحتى يؤمن بقدرته على إعادة الكرة في بناء حضارته من خلال الإيمان الراسخ بالجامعة الأفريقية: *the pan-Africanism* ووحدة شعوبها *The Unity of African people* ليس باعتبارها مجرد فلسفة مثالية، بل باعتبارها واقعًا ملموسًا يمكن تحقيقه إذا ما توافرت مقدمات حضارية راسخة لها عن ثقة ووعي كاملين، لذا، فإن هذه الدراسة التي بين يديك تحث جميع الشعوب الأفريقية، وكل من ينتمي إليها وخاصة المنطقة العربية أن تلبي هذه الدعوة التي نادى بها علماء أفريقيا ومفكروها ومؤرخوها، والتي انطلقت خلال فعاليات أولى احتفالات الأفارقة بموسم التاريخ الأفريقي نوفمبر ٢٠٠٣ التي استضافها معهد علم أفريقيا *Institute of Afrikology* بجنوب أفريقيا. بحضور العلماء والمفكرين والمؤرخين والكتاب والأدباء الأفريقيين من كل أنحاء العالم، من القارة الأم ومن شتات *Diaspora* من الأمريكتين



وأوروبا وآسيا وجزر البحار والمحيطات ممن ينتمون إلى أفريقيا، ولقد قرروا أن يكون الاحتفال بشهر أو بموسم التاريخ الأفريقي: *Black History Month* سنويًا، يقام داخل القارة الأم وخارجها فمن خلال هذه المواسم، تقام مهرجانات وإلقاء محاضرات شاملة عن تاريخ الشعوب الأفريقية، وحلقات نقاش ومعارض الفنون الأفريقية وكتب ولقاءات ثقافية شعرية وأغاني ويتم اختيار أفضل كتاب في كل موسم والتوصية بقراءته(*).

(*) ففي كل موسم التاريخ الأفريقي، تتم مناقشة أعمال مجموعة الباحثين الأفارقة في التاريخ الأفريقي القديم والحديث، على سبيل المثال، في موسم عام ٢٠٠٣ تمت مناقشة أعمال ذوي الأصول الأفريقية من آسيا وأمريكيين والكاريبي وأوروبا ومن القارة الأم ركزت دراساتهم كلها على سكان القارة الستة والجزر من ذوي الأصول الأفريقية ومساهماتهم في بناء حضارات تلك الأمم القديمة والحديثة، فمن آسيا تمت مناقشة أعمال كل من المؤرخ البانجلاديشي هورن تودو *Horen Tudu* وغيره من وأعمال عالم السلالات البشرية والتاريخ واين شندلا: *Wayne B. Chandler* والباحث الأفريقي الأمريكي *Yusef Ben-Jochanani* وغيرهم انظر:

Amani. O. Buntu. The lost tribe in the New African No. 423 London Nov. 2003. PP 26-31.

ومن أفضل كتب التاريخ الأفريقي الذي تم اختياره في موسم ٢٠٠٦ هو كتاب يستعرض تاريخ أفريقيا العام بعنوان عندما كنا حكاماً *When we Ruled* لمؤلفه المؤرخ وعالم الآثار الأفريقي روبين ولكر: *Robin Walker* ويقع في ٧١٣ صفحة وبه ١٠٠ صورة فوتوغرافية ٦٧ منها صور ملونة لآثار حضارات أفريقية وللشخصيات الأفريقية البارزة وبه ١٨ خريطة ملونة نشر عن دار: *Every Generation Media. London 2006.* ويمكن الحصول على هذا الكتاب بزيارة موقع الدار:

1) www.whenweruled.com 2) www.everygeneration.co.uk.

لقد تم اختيار هذا الكتاب عن طريق مجلة نيو أفريكان *NA* كأفضل موسم ٢٠٠٦ وأوصت جميع الشعوب الأفريقية في كل مكان بقراءته.

ومن أهم الكتب التي أوصت *NA* الشعوب الأفريقية بقراءته هو كتاب يتناول بؤس

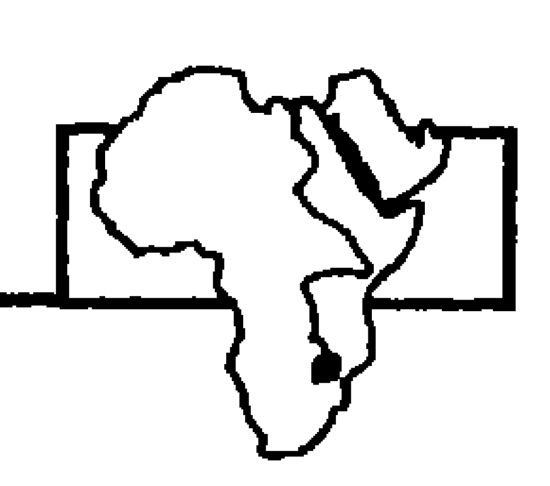
ومن هذا المنطلق كانت مبادرات كثيرة من هنا وهناك في الأمريكتين وأوروبا والكاريبي ومن داخل القارة الأم، وخاصة في جنوب أفريقيا التي أنشأت معهدًا خاصًا لعلم أفريقيا *Afrikology*. ولعل أعظم مبادرة لصالح حركة التعريف بتاريخ أفريقيا، هي برنامج باحث أو عالم تاريخ أفريقيا *Black History Scholar programme (B.H.S.P)* الذي أعلن عنه في أنجح الاحتفالات بموسم التاريخ السود بلندن عام ٢٠٠٥ بمبادرة من بريطانيين السود بقيادة عمدة لندن كين ليفينستون:

Ken Livingstone وهو برنامج لتعريف بتاريخ أفريقيا لأجيال كل من ينتمي إلى أفريقيا حيث أعلن أن هذا البرنامج الضخم معنى بالناشئين السود في كل مكان من العالم، حيث قال في معرض كلمته في مهرجان ٢٠٠٦: «أن أطفال أفريقيا في أمس الحاجة إلى معرفة تاريخهم، وأن برنامج باحث أو مؤرخ أفريقي الصغير *"B.H.S.P"* قد صمم لتلبية هذا الاحتياج، وصمم خصيصًا للناشئين السود من الأعمار ١١-١٥ لتشجيعهم في هذه السنوات المبكرة على

=

العبودية والرق الأفريقي وكيف عومل في الغرب، وكيف عاملت الكنسية الإنجليزية أرقائها: *How the Church of England treated its slaves* والكتاب بعنوان كيف ناضل بريطانيا لإبطال العبودية *The British struggle to Abolish Slavery by Adam Hochschild Houghton. Mifflin Company New York. 2006.* والذي نشر لأول مرة في عام ٢٠٠٥ ثم نشر في عام ٢٠٠٦، عن دار كتب الجامعة الأفريقية في لندن *pan African Books. London UK 2006* ويقع الكتاب في ٤٦٧ صفحة بالإضافة إلى ملاحق خاصة، وللحصول على الكتاب يمكن زيارة الموقع التالي: *www.africasia.com*.

See: Blak History Month 2006 in New African. No. 455 October, Lodon 2006) PP. 10-36.



التعرف بتاريخ شعوبهم الأفريقية والكاريبية عن طريق الدخول في مسابقات علمية للتاريخ السود في كل بلاد العالم من خلال جميع المؤسسات التربوية والتعليمية ومراكز الشباب والمنظمات المدنية .. الخ.

ولقد تم تقسيم المسابقات إلى أربعة مستويات:

١- الكتابة في موضوعات تاريخ السود.

٢- مراجعة كتب تاريخ أفريقيا.

٣- مسابقات هزلية الكركاتير والرسم.

٤- ثقافات طبية أفريقية أو الأدب الأفريقي.

ولقد تم تخصيص جوائز مالية ومنح دراسية مختلفة لهذه المسابقات، ويتم الإعلان عن الفائزين في مختلف وسائل الإعلام في كل قارات العالم بما في ذلك رحلات لهم ربما إلى مختلف الأماكن الأفريقية في مختلف القارات... الخ(١).

وأنا بدوري أنقل هذه التجارب والمبادرات الأفريقية التي تنطلق من هنا وهناك إلى العالم العربي حتى تلتقي الشعوب الأفريقية والعربية في معرفة التاريخ المشترك بينهما لتنمية الشعور بالانتماء الكامل إلى أفريقيا في ظل الاتحاد الأفريقي وفي مسيرتها إلى الولايات المتحدة الأفريقية والعربية أفروريبيا *AfroRabia* مستقبلاً فإذا كان أبناء أفريقيا الذين يدرسون في الدول الغربية

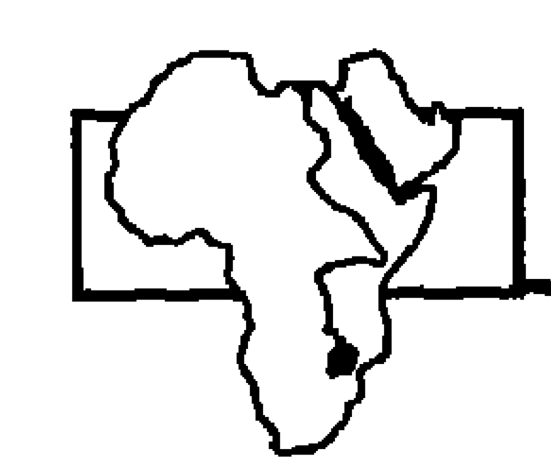
(1) انظر *See: London Launches Black History Season. In New African. No. 455 October 2006. London P28.*

وعن هذه المبادرات وبرامج التعريف بالتاريخ الأفريقي وعن برنامج لندن يمكنك زيارة الموقع التالية:

1) www.London.gov.uk

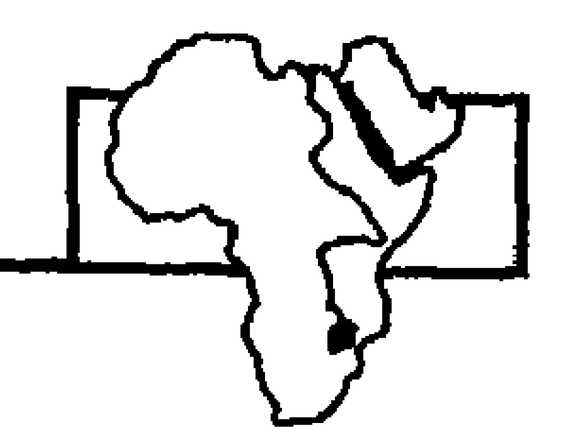
2) www.blacksholar.net.

3) E-mail: info@3ci.co.uk. Tel: 144 (0) 2085397913.



يعملون جاهدين إلى تعريف الشعوب هناك بالتاريخ الأفريقي والثقافة الأفريقية، فنحن أبناء أفريقيا الدارسون في العالم العربي يجب أن نعمل على تعريف الشعوب العربية بتاريخ الروابط الأفريقية والعربية. فالشعوب الأفريقية والعربية أولى بهذا التعريف لأنهما يشتركان في المواطنة الأفريقية، حتى تكون هناك وحدة الفكر ووحدة الاتجاه نحو العمل الجماعي لبناء حضارة القارة الأفريقية الموحدة، حتى تصبح أفضل مكان للحياة والسياحة والاستجمام لكل الناس من كل أنحاء العالم.


الفصل الرابع
أبناء مسلمي أفريقيا الدارسون في البلاد العربية
ومستقبل الروابط الأفريقية العربية
* أوضاع العرب والأفارقة قبل مجيء الأوروبيين.
* أبناء مسلمي أفريقيا والاتصال بالعالم العربي لطلب العلم.
* النتائج المنطقية المحتملة من هذه الرحلة.
* الملاحظات على الإجابات ومؤشراتها.
* بعض الآراء المرتبطة بدراسة
الحالة الطلبة النفسية
في البلاد الأجنبية.
* مفهوم المتوقع وغير المتوقع.



أبناء مسلمي أفريقيا الدارسون في العالم العربي(*) ومستقبل الروابط الأفريقية العربية

١- أوضاع العرب والأفارقة قبل مجيء الأوروبيين:

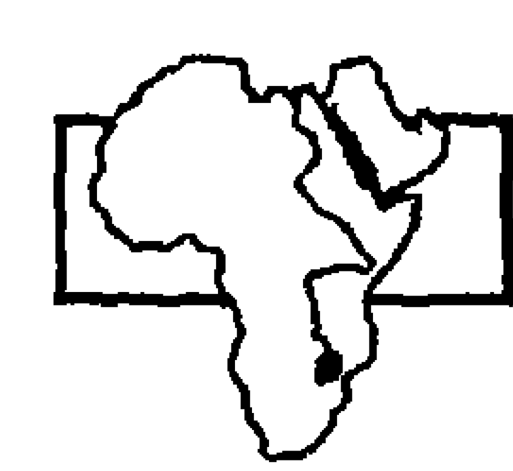
ما يجب أن يعرفه كل أفريقي وكل عربي اليوم بكل وضوح ووعي؛ أن العرب والأفارقة قد عاشوا معًا في القارة الأفريقية وفي الجزيرة العربية، ولا أقول جنبًا إلى جنب، وإنما أقول قد عاشوا مع بعضهم البعض، ممتزجين دمًا وروحًا ودينًا، وأقاموا معًا حضارات أفريقية إسلامية عربية[١] وشيدوا معًا مدنًا وأسواقًا، وبنوا معًا معاهد وجامعات ومدارس ومساجد في كل أرجاء القارة، ماعدا مناطق الغابات الكثيفة المطلة على المحيط الأطلنطي التي لم يصل العرب والإسلام إليها، قبل القرن ١٨. وعاشوا معًا حياة اقتصادية وتجارية تميزت بالنزاهة والعدل والحرية والمساواة[٢]، فلم يكن العرب غرباء في عرض البلاد الأفريقية وطولها[٣]، وكذلك لم يكن الأفارقة غرباء في البلاد العربية، ولقد كان التجار العرب والدعاة منهم يجوبون الفيافي والبوادي الأفريقية بكل حرية ويلقون ترحيبًا واحترامًا حيث حلوا، وكذلك كان التجار الأفارقة يجوبون البلاد العربية، وبعضهم كانوا يقومون بذلك وهم في طريقهم إلى الحج أو أثناء

(*) المقصود بأبناء مسلمي أفريقيا في هذه الدراسة: هم أبناء مسلمي الدول الأفريقية غير العربية الذين يفدون إلى العالم العربي للتعليم، علمًا بأن عدد الدول الأفريقية اليوم ٥٣ دولة منها ١١ دولة عربية بعد انضمام كل من الصومال وجزر القمر إلى جامعة الدول العربية، والدول الأفريقية غير العربية هي تلك الدول الواقعة في جنوب الصحراء الكبرى.

(1) انظر: أحمد شلبي، الإسلام والدول الإسلامية جنوب الصحراء الأفريقية، مرجع سابق، ص٢٣٩.

(2) انظر نفس المرجع، ص١٩٠.

(3) *see: Spencer Trimingham. The influence of Islam upon Africa (Ibid) PP. 99-101.*



عودهم[١]، فضلاً عن بعض الهجرات الأفريقية إلى البلاد العربية بكل حرية. حيث لم يكن الأفارقة ينظرون إلى العرب باعتبارهم غرباء، أو غزاة محتلين أو مستعمرين؛ إنما كانوا ينظرون إليهم باعتبارهم دعاة وناشرين للدين الحنيف والحق والعدل والمساواة والحرية.

(١) انظر رجب محمد عبد الحليم، تاريخ المسلمين في أفريقيا جنوب الصحراء، مرجع سابق، ص١٢.

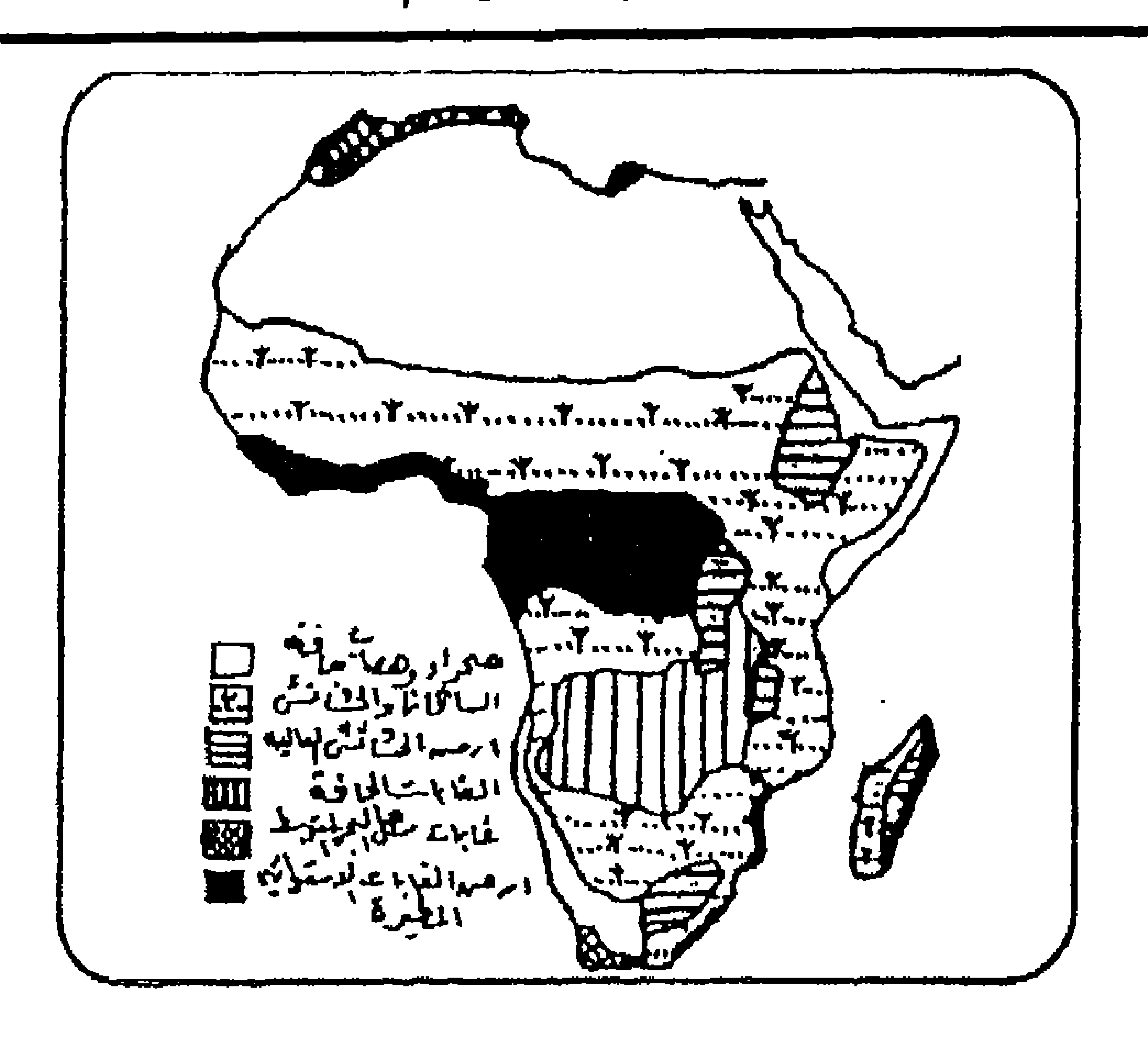
الخريطة رقم (٨)

قرطاجنة
القيروان
سجلماسة
مراكش
برقة
مصر
المغرب العربى
المدينة المنورة
مكة المكرمة
الحضارة الإسلامية
الصحراء الكبرى
دارفور
كنز
وادى النيل
حضارة غانة
حضارة صنغى الاسلامية
حضارة مالى الاسلامية
حضارة كانم الاسلامية
وادى النيل الإسلامية
الحبشة
الفونج الإسلامية
حضارة بورنو الاسلامية
مقديشيو
الصومال
ماليندي
زنجبار
ممباسا
كلوة
جزر القمر
حضارة الكنغو
حضارة زمبابوى
حضارة كلوة الاسلامية
مدغشقر
المحيط الأطلسى
المحيط الهندى
حضارة الزولو

طرق القوافل والاتصال بين شمال أفريقيا الاسلامية وبين بلاد جنوب الصحراء

الأوضاع العربية والأفريقية فى القارة الافريقية والتأثير الاسلامى العربى الواضح قبل مجئ الأوروبيين اليها.
حيث انتشر الاسلام و العروبة وقيام الحضارات الأفريقية والاسلامية فى جميع أنحاء القارة وانتشار الحركات الاقتصادية الكبيرة بين العالمين

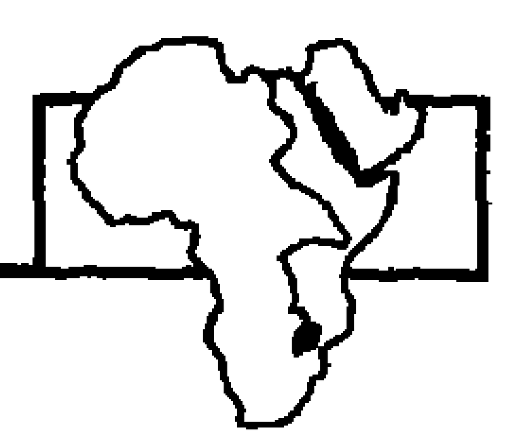
الخريطة رقم (٩)



المساحة الخالية تمثل الصحراء الأفريقية الكبرى وهي بحر الرمال الذي يفصل بين شمال القارة عن جنوبها وخاصة في غربها فلذلك سميت أقاليم القارة الجنوبية بأفريقيا جنوب الصحراء(*).

والتي انتشرت في كل أنحاء القارة بملامحها الإسلامية والعربية والأفريقية ونشأت من خلال ذلك؛ سلالات أفريقية وثقافات إنسانية ولغات جديدة،

(*) كانت القوافل التجارية تقطع هذه الصحراء بالجمال من الشمال إلى جنوب الصحراء حيث بلاد الزنوج في زمن ما بين أربعة إلى ستة أشهر: حيث ذكر الغرناطي في كتابه تحفة الألبات: "أن التجار كانوا يخرجون من بلدة يقال لها سجلماسة: آخر بلاد المغرب الأعلى فيمشون في رمال كالبحار ويكون معهم الأدلاء، يهتدون بالنجوم وبالجمال في القفار، ويحملون معهم الزاد لستة أشهر، فإذا وصلوا غانة باعوا الملح وزنًا بوزن الذهب). انظر: إمبراطورية غانة الإسلامية، مرجع سابق، ص٦٦.



والتي تشكلت من امتزاج اللغة العربية باللغات الأفريقية، وكانت اللغة العربية تحتل مكانة خاصة لدى الأفارقة، لكونها لغة العبادات في الإسلام ولغة الحضارة والإدارة والتعليم والمراسلات(١).

هكذا عاش العرب والأفارقة قرونًا طويلة قبل الإسلام وبعده بقرون عديدة قبل أن يفكر الأوروبيون في الخرج من بلادهم لاستعمار العالم. فعندما وصلوا إلى أفريقيا ووجدوا العرب والأفارقة يعيشون هكذا، ووجدوا حضارات ومدنًا ومراكز علمية عربية أفريقية مزدهرة في كل مكان في غرب أفريقيا وشرقها وجنوب شرقها مما أدهشهم(*)، فعمدوا إلى السيطرة على القارة ودمروا ما وجدوا بها من الحضارات وفرقوا بين العرب والأفارقة زهاء أربعة قرون "أربعمائة سنة" من القرن السادس عشر حتى منتصف القرن العشرين المنصرم، عندما نالت الدول الأفريقية والعربية استقلالها السياسي، فماذا فعل العرب والأفارقة لإعادة الصلات والروابط التي كانت بينهم؟ انظر الخريطة رقم (٨).

---

(١) *see: Roland Oliver and Gewase The History of East Africa. Vol. 1, Oxford University press Wly How London W.1) 1963, PP 122-128.*

(*) بالرغم من أن الأوروبيين حاولوا للدوافع السياسية الاستعمارية التقليل من شأن الحضارات الأفريقية والعربية، إلا أنهم لم يجدوا بدًا من ذكر حقيقة هذه الحضارات في أفريقيا، وعن التناغم الحياتية بين الأفارقة والعرب قبل مجيئهم وعن هذا الموضوع انظر:

1) Basil Davidson Africa in History (General Publishing ld. London 1974) pp. 188-195.

٢- انظر أحمد شلبي، الإسلام والدول الإسلامية مرجع سابق الذي أورد فيه مجموعة من وصف المؤرخين والكتاب الأوروبيين للحضارات الأفريقية ص.ص. ٧٣-٣٦.

٣) انظر أيضًا: أحمد زكريا قاسم، الأصول التاريخية والحضارية للعلاقات العربية الأفريقية، مرجع سابق، ص.ص. ٩١-٩٨.



٢- أبناء مسلمي أفريقيا والاتصال بالعالم العربي لطلب العلم:

لاشك أن رحلة أبناء مسلمي أفريقيا إلى البلاد العربية لتلقي العلم في معاهدها وجامعاتها في منتصف القرن العشرين، تعد من أهم الاتصال المباشر بين العرب والأفارقة بعد انقطاع طويل، ولقد كانت لهذه الرحلات خطورتها وأهميتها، فطنت إليها الإدارات الاستعمارية الغربية في أفريقيا فحاولت منع هذه الرحلات عند بدايتها، ولكن أنى لها ذلك وقد عصفت رياح الاستقلال والحرية ولم يعد منع ذلك ممكنًا.

وهنا يطرح السؤال نفسه: وهو ما خطورة وأهمية رحلة أبناء مسلمي أفريقيا إلى البلاد العربية لتلقي العلم في معاهدها وجامعاتها والعيش بين الشعوب العربية؟

والإجابة الأولى لهذا السؤال، هي أن الغرب المستعمر كان يعي جيدًا منذ مجيئه إلى أفريقيا والعالم العربي خطورة بقاء التقاء الشعبين العربي والأفريقي وإن ذلك يمثل قوة مهددة لوجوده في أفريقيا ويتعذر السيطرة على أفريقيا والانفراد بها ما دام الشعبان متصلان، وكان ذلك سببًا في التفريق بينهما والذي دام زهاء قرنين[١] وبالتالي تكون رحلة أبناء مسلمي أفريقيا إلى البلاد العربية

(1) *see: J. Spencer Trimingham. The influence of Islam upon Africa. Ibid, P 117.*

٢) وانظر أيضًا: خليفة شاطر، الاستعمار الفرنسي والثقافة العربية في شمال أفريقيا،

٣) وكذلك انظر: عبد القادر زيادة التأثير الفرنسي على القوى الإسلامية في غرب أفريقيا، وكلاهما في العلاقات العربية الأفريقية، دراسة تاريخية للآثار السلبية للاستعمار مرجع سابق، ص.ص. ٣٨٠-٤٤١.

٤) د/ يونان لبيب، اللاتعريب في جنوب السودان، في العلاقات العربية الأفريقية دراسة تاريخية (معهد البحوث والدراسات العربية، ١٩٧٧م).

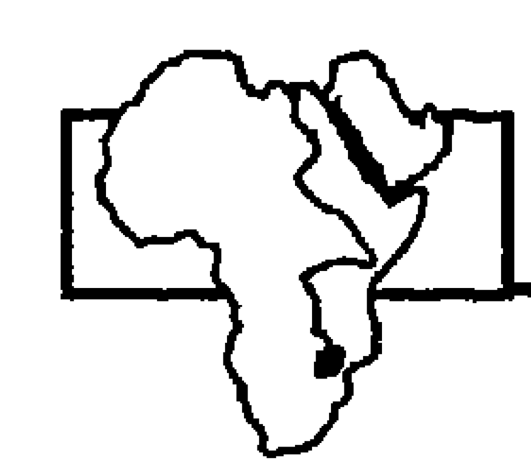
للتعليم لا يعني فقط تلقي العلم بل الاحتكاك المباشر بينهم من جديد، وأعظم الخطورة فوق ذلك: هو العلم الذي ينير ويحرر الإنسان ويكشف الغشاوة وبالتالي كشف زيف واحتيال الأوروبيين ووحشية ما يقومون به في أفريقيا، ولا تزال في أذهانهم المقاومة المستميتة التي قام بها مسلمو أفريقيا منذ الثلاثة قرون الماضية ضد الاستعمار عند مجيئه في القرن السابع عشر، لذلك حاولت الإدارات الاستعمارية منع هذه الرحلات بطرق شتى.

ويذكر عبد القادر محمد سيلا في كتابه القيم "المسلمون في السنغال" أن المسلمين في السنغال حاولوا اختراق الرداء الحديدي الاستعماري بإرسال أبنائهم إلى العالم العربي؛ لتلقي العلم قبل الاستقلال فكان الاستعمار يهددهم حينًا ويكذب عليهم حينًا آخر.

ويذكر المؤلف سيرة أحد أبناء مسلمي أفريقيا من السنغال ويدعي الحاج (محمد با) وهو من الطلائع الأولى التي نجحت في اختراق هذا الستار الحديدي الاستعماري، حيث حج بيت الله الحرام، ثم انتسب إلى مدرسة الفلاح بمكة المكرمة، ولدى عودته ابتنى مدارس إسلامية عربية في عدد من مدن السنغال وموريتانيا ومالي، وحينما اجتمع لديه عدد كبير من الطلبة أرسل بعضهم إلى القاهرة بهدف مواصلة الدراسة هناك؛ وما إن علمت الإدارة الاستعمارية بذلك حتى وجهت أمرًا بإعادة الطلاب فورًا، ولم تكتف بالتهديد بل حرشت أولياء أمور التلاميذ على الحاج محمود، وزعمت "أن فلذات أكبادهم معرضون للبيع في أسواق النخاسة في الشرق الإسلامي، مما اضطر الحاج محمود إلى إعادة المبتعثين وسحبهم من الأزهر الشريف[١]، وما حدث في السنغال ينطبق على

---

(1) انظر: عبد القادر محمد سيلاه، "المسلمون في السنغال معالم الحاضر وآفاق المستقبل" "الدوحة/ كتاب الأمة، العدد ١٤، شوال ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م" ص١٥١.



جميع الدول الأفريقية التي كانت تستعمرها فرنسا وبريطانيا وغيرهما.

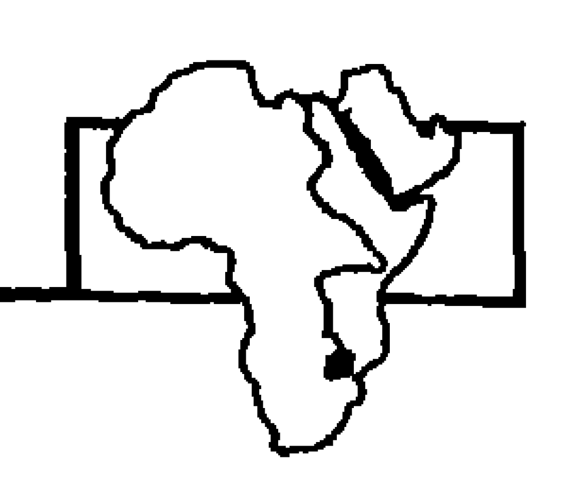
أهمية هذه الرحلة:

في رأيي أن رحلة أبناء مسلمي أفريقيا للتعليم في العالم العربي(*) وفي دياره أكثر أهمية من الاتصال السياسي والاقتصادي أو أي متغير آخر لو أن العرب استغلوا ذلك خير استغلال "وليس سوء استغلال"، فأحسنوا تعليمهم وإعدادهم، وذلك لسببين:

أولاً: أنها أقدم آليات الاتصال بين العرب والأفارقة تعود من جديد بعد الانقطاع الطويل منذ قرون.

ثانيًا: أن العلاقات السياسية والاقتصادية لن يكتب لها النجاح المرجو ويحس العرب بالراحة والطمأنينة في بلاد جنوب الصحراء، بدون النجاح في تعليم أبناء مسلمي أفريقيا؛ كي يعودوا إلى بلادهم حاملين الأخبار الطيبة: *Good News* عن العرب والعالم العربي، لذلك سوف نتناول النتائج المترتبة على وفود أبناء مسلمي أفريقيا إلى البلاد العربية للتعليم في جامعاتها ومعاهدها أو في البلاد الخارجية بصفة عامة؛ كي ننظر إلى أي مدى أسهمت هذه الرحلات في توثيق الروابط أو إعادتها بين العالم العربي وأفريقيا أو التقارب

(*) لقد وفد أبناء مسلمي الدول الأفريقية غير العربية إلى جميع الدول العربية تقريباً للتعليم العالي والجامعي منذ منتصف القرن العشرين المنصرم، ولقد تخرج الآلاف منهم في الجامعات المصرية وخاصة جامعة الأزهر الشريف وفي الجامعات السعودية والليبية والجزائرية والمغربية والتونسية والسودانية والأردنية الهاشمية وفي بعض المعاهد اللبنانية والخليجية مثل الكويت والإمارات وقطر هذه الثلاثة الأخيرة تقدم التعليم على المستوى الثانوي فقط، دون التعليم الجامعي. ونأمل أن تتنوع التخصصات التعليمية ومجالاتها لأبناء مسلمي أفريقيا في هذا القرن الحادي والعشرين. ولا تنحصر في العلوم الشرعية فقط.



الفكري والرؤى بينهما.

النتائج المنطقية أو المحتملة:

إن النتيجة المنطقية المتوقعة من أبناء مسلمي أفريقيا الدارسين في المعاهد والجامعات الإسلامية والعربية "وخاصة الذين تخرجوا وعادوا إلى بلادهم سواء تقلدوا المناصب أو لم يتقلدوا" وقد عاشوا فترة تعليمهم في البلدان العربية وتشربوا منها الثقافة الإسلامية والعربية واطلعوا على الواقع العربي وعلى عاداتهم وتقاليدهم، وعرفوا أدبيات سلوكهم، .. الخ، فإن النتائج المنطقية المتوقعة منهم لكل هذه الأمور أو بعضًا منها هي(*):

١- أن يكونوا دعاة فاعلين للإسلام والمدافعين عنه بكل الوسائل الممكنة.

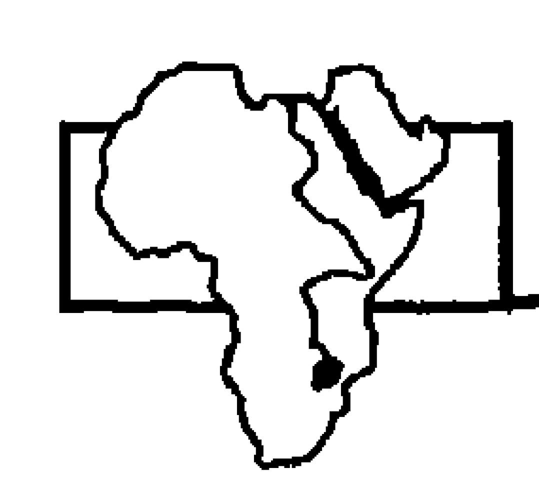
٢- القيام بمهمة تعليم شعوبهم العلوم الإسلامية واللغة العربية في البلاد الأفريقية غير العربية.

٣- أن يصبحوا وسائط الثقافة الإسلامية والعربية والفكر الإسلامي لدى شعوبهم ومجتمعاتهم وبلادهم.

٤- أن يصبحوا مصححين لما شوه ويشوه لصورة العرب والمدافعين عنهم في أفريقيا.

٥- أن يكونوا أكثر المحبين للعرب.

(*) لم تهتم الجامعات الإسلامية والعربية إلى الآن بدراسة آثار تعليم أبناء مسلمي أفريقيا الاجتماعي والاقتصادي والنفسي، وكذلك نظرتهم إلى العالم العربي اللهم إلا دراسة فريدة قامت بها باحثة مصرية تناولت أبناء مسلمي أفريقيا مشكورة والتي سوف نذكرها في ثنايا هذا الكتاب، وعن هذا الموضوع، انظر الصفحة ١١٢ في هذه الدراسة، وانظر أيضاً عبد الله صالح سانا، مدخل لقضايا المسلمين، دار القارئ العربي، ١٩٩١م، وتعد أول دراسة تناولت الجانب النفسي لتعليم أبناء مسلمي أفريقيا في العالم العربي وتكمل الموضوع في هذه الدراسة الجديدة.



٦- أن يكونوا أكثر الدعاة إلى تضامن الأفارقة مع العرب وإلى الوحدة الأفريقية العربية.

ولكن السؤال الذي يطرح نفسه هنا هو: هل هذه التوقعات الستة واقعة فعلاً من أبناء مسلمي أفريقيا الذين عاشوا فترة تعليمهم في البلاد العربية وتخرجوا في جامعاتها أو من الذين لا يزالون يدرسون بها حتى الآن؟ وهل لديهم هذه التوقعات الستة المذكورة؟

الإجابات المحتملة:

لا توجد إجابات دراسية علمية لهذا السؤال حاليًا، لا من إجابات الاستبيان، ولا في نتائج دراسات سابقة، إذ لم تتطرق أي دراسة علمية إلى مثل هذا الموضوع، لا من الدراسات العربية ولا في الدراسات الأفريقية، إذ لم تلتفت الجامعات العربية والإسلامية إلى أهمية دراسة أبناء مسلمي أفريقيا بها، وتقييم نتائجها النفسية والثقافية والفكرية حتى الآن، وبالتالي لا توجد إجابة علمية عن إيجابيات هذا الاتصال الثقافي التعليمي لأبناء أفريقيا، أو سلبياتها.

إذن فمن أين نأتي بالإجابة لهذا السؤال المطروح والسؤال الملحق به؟

لاشك أن الإجابات لابد أن تأتي من أبناء مسلمي أفريقيا أنفسهم، لا من ملاحظات ملاحظ، ولا مِن مَن يتعامل معهم مباشرة في الجامعات والمعاهد، ولا من أوراق استبيان ولا من كتب ولا مجلات ولا من أي شبكة معلومات "إنترنت" .. الخ، وأيضاً يجب التنبيه إلى أنه من الصعوبة بمكان أن يحصل أي باحث غير أفريقي على إجاباتهم الحقيقية وكذلك من الصعوبة بمكان الحصول على إجاباتهم بتوجيه أسئلة مباشرة إليهم.

ذلك أن الإجابات الشافية أو الصادقة عن السؤالين السابقين حول وقوع التوقعات الستة المذكورة من أبناء مسلمي أفريقيا المثقفين بالعربية أو من غيرهم،

تعد بحق، من مكامن صدورهم وأسرار عقولهم ونفوسهم، والتي نشأت وتفاعلت ونضجت من مواقف عربية وأخرى أفريقية، ومن خبرات اكتسبوها، سواء في بلادهم أو في البلاد العربية أثناء فترة دراستهم بها، وتشكلت من ذلك كله حالة نفسية خاصة أصبحت سجينة صدورهم ومكامن نفوسهم، وهم يحتفظون بها لأنفسهم ولا يصرحون بها إلا لأنفسهم، فلا يمكن لأي باحث الوصول إليها، إلا باحث أفريقي مسلم من وسطهم، وواحد منهم، مر بنفس الخبرات التي مروا بها وتكونت في نفسه ما تكونت في نفوسهم بالتمام ويحس بإحساسهم وآلامهم، وهم يتناجون بها.

هذه الحالات النفسية المذكورة آنفًا واتجاهات هؤلاء الطلاب ومعظم الإجابات تطفوا إلى أسطح ألسنتهم عندما يكونون في نواديهم فقط بمعنى آخر في تجمعاتهم الثنائية أو الثلاثية أو الرباعية أو الخماسية، عندما يزورون بعضهم بعضًا في مساكنهم في شققهم المفروشة، أو في غرفهم في المدن الجامعية، أو عندما يتقابلون في أي مكان عندئذ يتناجون ويناقشون ظروفهم ومشكلاتهم ومستقبلهم وعن أسباب تواجدهم في البلاد العربية ومغزى تعليمهم بالجامعات الإسلامية والعربية، وظروفهم أثناء فترة دراستهم بها وعلاقة ما يتعلمونه في البلاد العربية بمستقبلهم في بلادهم عندما يتخرجون ويعودون، ومن ثم نظرتهم إلى العرب والإسلام والروابط بين أفريقيا والعالم العربي، ويتطرقون في مناقشاتهم إلى نظرة كل من العرب والغرب إلى الإنسان الأفريقي، وأيهما أكثر إدراكًا لقيمة الطالب الأفريقي لديه، العرب أم الغرب، وأيهما أكثر احترامًا للطالب الأفريقي، ومن ثم يناقشون مستقبل العلاقات الأفريقية العربية والأفريقية الغربية، ومن هنا فقط تتولد الإجابات وهذا هو المصدر الحقيقي للمعلومات عن اتجاهات، وأفكار الذين من المفترض أن يكونوا رواد إعادة الروابط الأفريقية

العربية إلى مجراها الطبيعية من حيث العمل على تقريب الشعوب الأفريقية والعربية إلى بعضهما البعض.

كان الباحث باعتباره أحد أبناء مسلمي أفريقيا، كثيرًا ما يكون هو نفسه عضوًا في المناقشات الحامية، ثنائية أو جماعية، وبالتالي يتنهز فرصة لإثارة بعض التساؤلات، فيأتي الرد عليها تلقائيًا ومباشرة ونابعًا من القلب ومن النفس، من غير تغليف ولا مواراة، ومن غير نفاق أو أي تأليف، أنه تعبير حقيقي لما في صدورهم، وتعبير حقيقي عن خبرات خاصة، وتعبير صادق عن رؤيتهم لمواقف عربية وأفريقية.

هذا الموضوع المثار هنا يحتاج إلى دراسة مستقلة من أجل تقييم الاتصال الثنائي بين العرب والأفارقة بعد الانقطاع الطويل، من منتصف القرن العشرين إلى هذا القرن الحادي والعشرين، ولكن سوف يقدم الباحث نماذج من إجابات الطلاب، يفيد إفادة مبدئية عما إذا كان الشباب الأفريقي المسلم الذي عاش في البلاد العربية وتلقى التعليم العالي بها وعاد إلى بلاده قد تكونت في نفسه التوقعات الستة المحددة أم لا؟

إن المناقشات التي تدور بين الطلاب الأفارقة، لا تكون لموضوعات معدة مسبقاً بمعنى: ليس هناك اتفاق على أننا إذا تقابلنا أن نناقش موضوعًا بعينه، إنما تبدأ تلقائيًا بتدرج، بالسؤال عن أحوال بعضهم بعضاً، على غرار ما يحدث من تحيات، ثم السؤال عن أحوال بعضهم، فإذا حدث وطال اللقاء، فإن الكلام ينشأ ثم يتطور إلى نقاش حول أحد الظروف التي يمر بها الطلاب في حياتهم اليومية المعيشية والدراسية والمعاملة والغربة، وعن الوطن، حيث يمكن أن يتطور إلى الكلام عن العرب والإسلام، من غير أن تكون هناك صياغة لأي شيء من المناقشة، ولكن الباحث يتعمد أحيانًا إلقاء أسئلة من شأنها فتح الأبواب أمام

مناقشة موضوعات أكثر تعرضًا لقضية الروابط الأفريقية العربية إن سلبًا أو إيجابًا، ولو أن الأسئلة في صيغ مختلفة، حسب موضوع المناقشة إلا أن أهم سؤال كان يلقيه الباحث في أغلب اللقاءات، سواء مع فرد واحد، أو فردين أو أكثر هو: هل تعتقد أن الأفارقة والعرب يمكن أن يتحدوا يومًا في كيان تكاملي واحد لبناء حضارة مشتركة في المستقبل، وأكبر جزء من العرب يشتركون مع الأفارقة في المواطنة الأفريقية وكان السؤال الفرعي الملحق به هو: إذا كانت الإجابة نعم، فلماذا وكيف، وإذا كانت بلا، فلماذا؟

ملاحظات على الإجابات ومؤشراها:

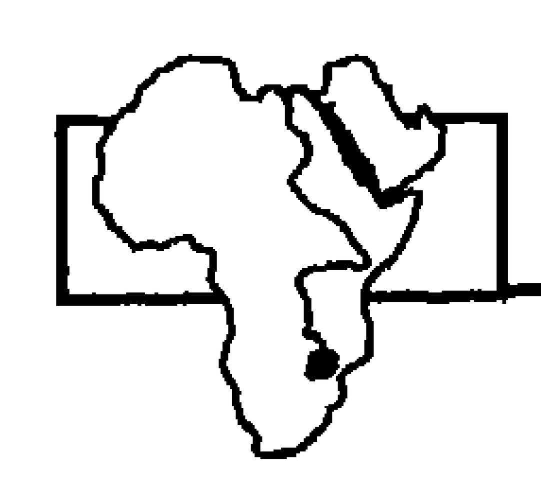
لقد لاحظ الباحث أن الإجابات التي تخرج من ألسنة هؤلاء الطلاب تتميز بتلقائية وحساسية وانفعالية في نفس الوقت، وذلك أنها حسب استقراء الباحث ربما يحكمها اعتباران مهمان جدًا، وهما:

أولاً: ردود أفعال الطلاب الناجمة عن الظروف والخبرات التي مروا أو يمرون بها في فترة تواجدهم في العالم العربي للتعليم.

ثانيًا: عدم معرفة تاريخ الروابط بين الأفارقة والعرب جيدًا.

أمانة النقل:

ولتجنب الإسهاب في هذه الدراسة للتاريخ الإسلامي في أفريقيا "كما ذكرت أنه يحتاج إلى دراسة مستقلة" فيمكن حصر نوعية إجابات الطلاب الأفارقة في العالم العربي، ما إذا كانت متوقعة أم غير متوقعة، على أنني أقرر هنا نقل كل إجاباتهم كما هي، بكل أمانة وصدق وموضوعية، بدون تغليف او مناورة أو كذب أو نفاق؛ لأن الطلاب حينما كانون يجيبون، كانوا يفعلون ذلك من أعماق مشاعرهم دون تغليف أو مجاملة، لذلك استبعد الباحث ما أحس بأن صاحبه يجامل في كلامه ويغلف، وهذا تعهد مني.



لا أعرف كم عدد من الطلاب ناقشت طوال سنوات عديدة، لذا سوف أقدم فقط نماذج من بعض إجاباتهم.

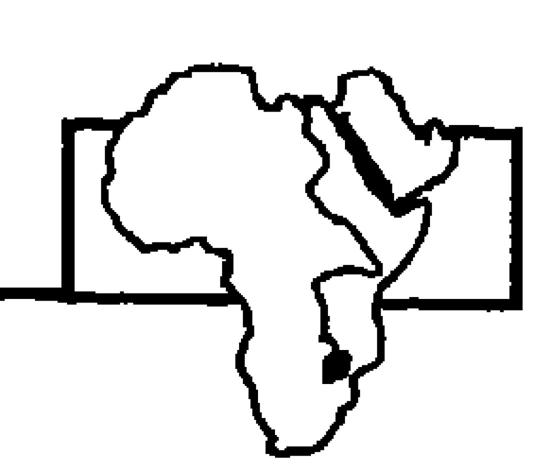
مؤشرات الإجابات:

يمكن القول مبدئيًا أن ٧٠٪ من إجابات الطلاب الأفارقة كانت غير متوقعة إلى حد ما، بمعنى أنها تخالف التوقعات الستة المطروحة بدرجات متفاوتة، وبمعنى أدق أن ٧٠٪ من الإجابات ما كانت أن تصدر عن طلاب مسلمين عاشوا في البلاد العربية سنوات وتعلموا اللغة العربية والعلوم الشرعية والثقافة الإسلامية والعربية وعاشروا المجتمع العربي، واستمعوا إلى الإذاعات العربية وقرءوا صحفها ومجلاتها وربما كون بعضهم علاقات إنسانية واجتماعية مع بعض أفراد المجتمعات العربية أو الأسر فقد كانت تنم عن عدم الشعور بالرضا ... الخ.

مثل هذه الإجابات غير المتوقعة، من المفروض أن تصدر عن مثقفين لا يمت لهم بالعرب صلة، ولم ينهلوا من العالم العربي علمًا وثقافة، ولم يعيشوا في المجتمعات العربية، ولم يحسوا بأي عاطفة انتمائية للعرب، ولا أعرف معظم أسباب ذلك لكن كما ذكرت قبل ذلك بأن إجاباتهم ربما تحكمها ردود أفعال وخبرات مؤلمة مروا بها في رحلة تعليمهم ابتداء في بلادهم إلى العالم العربي.

بعض الآراء المرتبطة بدراسة حالات طلبة العلم النفسية في البلاد الأجنبية:

وقبل أن نستعرض بعض النماذج لإجابات بعض الطلاب، تعالوا نلق نظرة على بعض النظريات التي تستند إليها دراسات حالات الطلبة النفسية، والمستقبلية، وسوف نستعرض هنا فقرتين أو ثلاثة، لدراسة دكتوراه نادرة لأحدى الباحثات المصريات، كانت رائدة في تحليل مشكلات تعليم أبناء أفريقيا



غير العربية في الجامعات والمعاهد المصرية، وكانت أمينة وموضوعية للغاية وبعيدة النظر في دراستها للعلاقات العربية الأفريقية(*).

لقد ذهبت في دراستها إلى أن أبناء أفريقيا غير العربية الدارسين في البلاد العربية هم في الحقيقة وسائط العلاقات العربية الثقافية والسياسية في الدول الأفريقية، باعتبارهم كوادر مجتمعاتهم الثقافية ورواد شعوبهم فكريًا، وأوضحت أن هذه الاعتبارات هي أساس التبادل الطلابي بين دول العالم كلها غنيها وفقيرها، ذلك أن الطلبة الأجانب يمثلون الصفوة السياسية والثقافية في بلادهم وعلى هذا الأساس، كما ترى الباحثة، يجب أن يحظى هؤلاء الطلاب باهتمامات خاصة في الدول التي يتلقون فيها تعليمهم، وأكدت أن نوعية التعامل والرعاية، والاهتمام الذي يحظى به هؤلاء الطلاب من جانب السلطات التعليمية والمجتمع في الدول التي يتعلمون فيها، هي التي تحدد نوعية العلاقات التي يمكن أن تنشأ وتستمر بين دولهم وبين الدول التي تعلموا فيها إيجابًا أو سلبًا(١).

وتستطرد قائلة: "ونظرًا لأهمية العلاقات المصرية الأفريقية، يجب أن يحظى أبناء أفريقيا من غير العرب، باهتمام خاص يتناسب مع حجم وأهمية تلك العلاقات عندما يأتون للتعليم في مصر، لأن النجاح في تحقيق أهداف الجهود

(*) والباحثة هي الدكتورة: رجاء إبراهيم سليم، مستشار ثقافي مصري، بواشنطن سابقًا والمشرفة العامة لأنشطة الطلاب الوافدين في جمهورية مصر العربية سابقًا، قدمت رسالة دكتوراه عن التبادل الطلابي بين مصر وأفريقيا بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية بجامعة القاهرة وتشغل حاليًا منصب مدير عام لإدارة البحوث الثقافية بوزارة التربية والتعليم العالي.

(١) انظر: د/ رجاء إبراهيم سليم، التبادل الطلابي بين مصر والدول الأفريقية، رسالة دكتوراه منشورة (القاهرة: مركز البحوث والدراسات السياسية، جامعة القاهرة، ١٩٨٩م) ص٣٤.

التي تبذلها مصر لأفريقيا ونجاحها، يعتمد إلى حد كبير على نجاح وطمأنينة هؤلاء الطلاب أثناء وجودهم في فترة دراستهم بمصر، وحثت الباحثة على بذل كل الجهود في طمأنتهم، وقالت: «فإن كان كسب صداقة بعض هؤلاء الطلاب متعذرًا، فعلى الأقل يكون الهدف هو عدم شعورهم بالعداء نحو مصر بعد عودتهم لبلادهم»[(١)].

ولقد ضربت الباحثة على ذلك مثلاً بدراسة "هل: *Hall*" إحدى الدراسات الأمريكية عن الحالات النفسية للطلاب الأجانب، وتذكر هذه الدراسة تجربة "كوامي نكروما" الذاتية "وهو أول رئيس لدولة غانا" عندما كان طالبًا "أسود" في جامعة "بنسلفانيا" قبل حركة المطالبة بالحقوق المدنية في الولايات المتحدة الأمريكية، قد تركت ردود فعل عميقة داخله، فقد شعر بالألم والوحدة والرفض من المجتمع والشعور بالكراهية من المجتمع الأمريكي تجاه الطالب الأجنبي الأسود، وأثرت هذه التجربة في "أيديولوجية" نكروما عندما أصبح رئيسًا "لجمهورية غانا"[(٢)] وكذلك مر الكثيرون من الطلاب الأفارقة في مختلف الأقطار الغربية، وكانوا أكثر عداء للتوجهات والسلوكيات الغربية.

وبالمقارنة بطلاب استراليا، خريجي جامعة "أكسفورد" نجد أن بعضهم عاد إلى استراليا يحمل مشاعر الود للدولة الأم "بريطانيا" وعملوا على تقوية الروابط استراليا والكومن ويلث - لبريطانيا عندما تقلدوا مناصب قيادية. وعليه يمكن القول بأن النتائج المترتبة على قضاء فترة التعليم في دولة أجنبية تكون ذات أهمية قصوى تحرص جميع دول العالم على تحسينها، وتوجيهها توجيهًا سياسيًا وثقافيًا وإنسانيًا، وخاصة الدول الغربية وإسرائيل التي تستخدم هذا المتغير أقصى

---

(١) انظر: المرجع السابق، ص٢٢٥.
(٢) انظر المرجع نفسه، ص٢٣٠.

استخدام، للتغلغل في أعماق أفريقيا.

وبناء على ذلك قامت الباحثة بدراسة ميدانية لأوضاع الطلبة الأفارقة الوافدين في مصر، وقدمت توصيات لحل المشكلات التي يتعرضون لها وذلك، لتجنب الآثار السلبية التي تعكسها هذه المشكلات على نظرتهم لمصر والمجتمع المصري بل والمجتمع العربي والإسلامي كافة.

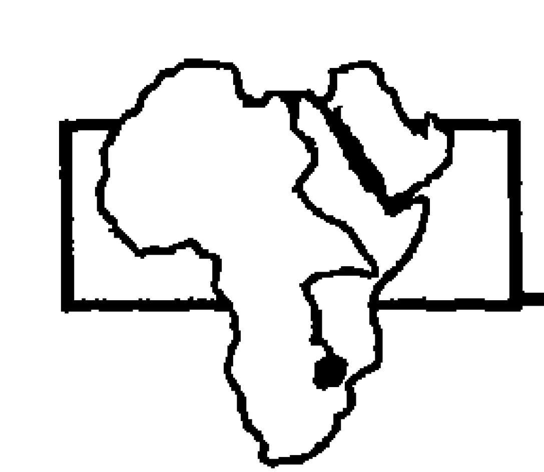
وبعد هذا العرض لبعض النظريات التي تستند إليها الدراسات عن آثار تعليم الطلاب الوافدين في دولة أجنبية في العلاقات بين الدول في العالم المعاصر نأتي إلى تقييم بعض هذه الآثار لتعليم أبناء مسلمي أفريقيا في العالم العربي بين المتوقعة وغير المتوقعة من إحساسهم واتجاهاتهم ورؤاهم إيجابًا وسلبًا.

مفهوم المتوقع وغير المتوقع:

توجد مفاهيم خاطئة أدخلها الغرب في الذهن الأفريقي حول صلة العرب بالأفارقة والروابط بينهما والتي لم تكن في خلد أي أفريقي قبل مجيء الاستعمار(*).

ذلك أن الأفارقة لم يكونوا ينظرون إلى العرب باعتبارهم غزاة ومستعمرين أو قواد النخاسة وتجار الرقيق، وإنما كانوا ينظرون إليهم باعتبارهم دعاة إلى دين

(*) كما فعل المستكشفون والمنصرون الأوروبيون في شرق أفريقيا عن طريق التشويه المتعمد للإسلام والعرب في شرق أفريقيا فقذفوا العرب والمسلمين بتهم كانت موجهة لهم أصلاً، فالثابت تاريخيًا أن أكبر حركة تجارة الرقيق العالمية هي التي قامت به الغرب، ولكن الأوروبيين استطاعوا تحويل هذه التهمة بمهارة فائقة إلى العرب، وحملهم وحدهم مسؤولية تجارة الرقيق وتمكنوا من غرس هذه التهمة في أذهان شعوب شرق أفريقيا. وللأسف فإن بعض الأفارقة يصدقون هذه الافتراءات انظر: سيد عبد المجيد بكر: الأقلية المسلمة في أفريقيا (هيئة الإغاثة الإسلامية، الرياض، ١٤١٢هـ) ص.ص ١٠٨-١٠٩.



الله الحنيف، وناشري الحضارة والعلم والثقافة والعدل والحرية(*)، وكانت جميع الصلات بين العرب والأفارقة سواء قبل أو بعد الإسلام، والروابط التي نسجت بعد ذلك، تمت بزواج شرعي وحمل وولادة طبيعية، وتربى المولود في أحضان أبوين شرعيين في سلام ووئام وود وخير، وترعرع في بيئة نقية خالية من الأحقاد والظلم والاعتداء، بهذه المفاهيم عاش العرب والأفارقة مئات السنين قبل مجيء الغرب إلى أفريقيا فإذا اعتقد أفريقي في هذا وخاصة المسلمون، فهذا يعد من المتوقعات.

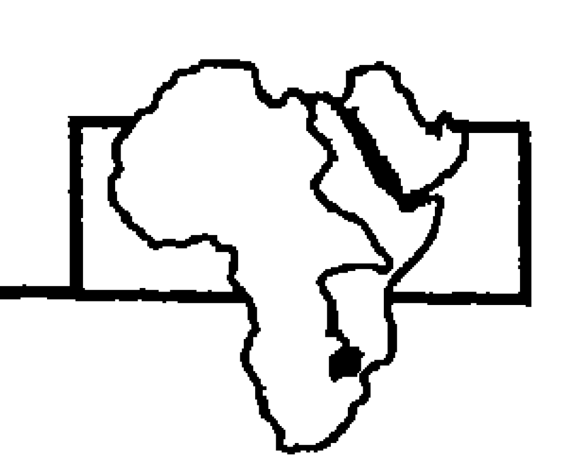
ثم جاءت صلة الغرب بأفريقيا الذي قام باغتصابها فحملت سفاحًا "حملاً غير شرعي" فولدت ولادة قيصرية، من أب غير شرعي وترعرع المولود في جو من القهر والظلم والجور والبؤس والكذب والاحتيال وإراقة الدماء، فتربى الولد في هذا الجو المشين أي في إطار بيئة استعمارية بغيضة، فكبر وتعلم الجور والوحشية والسرقة والنهب والكذب والتحايل .. الخ(**).

فلما وجد الغرب الوئام بين العرب والأفارقة، وأن الروابط التي ولدت ونشأ بينهما ابنًا شرعيًا وحضاريًا، أراد أن يكون ابنه الذي ولد غير شرعي مثل ابن شرعي أي: أراد أن تكون صلته بأفريقيا مثل صلة العرب، لأنه فطن إلى أن الوئام بين العرب والأفارقة إذا ظل بينهما، فإنه لن يتمكن من التفريق بينهما،

(*) لقد أكد تريمنعهام في دراسته الميدانية لتأثير الإسلام والعروبة في أفريقيا وأن الأفارقة ما كانوا ينظرون إلى الإسلام ومده بنظرة قدسية فحسب بل كانوا ينظرون إلى اللغة العربية والعرب بنظرة قدسية أيضًا: انظر:

J Spencer Trimingham The influence of Islam upon Africa, Ibid. PP 99-124.

(**) وأضيف هنا إلى أن أحدًا إذا أراد أن يخرج برأي حاسم عن العلاقات الأفريقية العربية والأفريقية الغربية، فعليه أن يقرأ بموضوعية ومتأنية عن كيف اتصل العرب بأفريقيا وكيف اتصل الغرب بأفريقيا. ثم يجري المقارنة بين الاتصالين ثم يحكم.



ومن أجل التفريق بينهما أخذ يشوه هذه العلاقات والروابط التي ولدت شرعيًا حتى يصبح العرب في نظر الأفارقة أبًا غير شرعي، مثل الأب الغربي لأفريقيا بل يصبح فيما بعد هو الأب الشرعي لعلاقة الغرب بأفريقيا وأنه الأحسن والأفضل وأنه المتحضر وأنه هو الذي مدّن أفريقيا وأنه هو الذي علم أفريقيا الحضارة وأنه هو الذي منع تجارة الرقيق في أفريقيا(*) الخ، وأن العرب هم الذين جعلوا أفريقيا

(*) لكن المفاجئة الكبرى في ادعاء الغرب أنها هي التي أبطلت تجارة الرقيق والعبودية الأفريقية، هي أنها كانت كذبة كبرى اكتشفتها دراسات أفريقية وأوربية لهذا الموضوع: لقد اكتشفت دراسات أن ما قام به الغرب من استغلال العبيد الأفارقة في بناء الرأس المال الغربي يعد كذبة الإبطال الصوري عام ١٨٠٧م يفوق ما استغلوها قبل الإبطال، هل تصدقون هذا؟

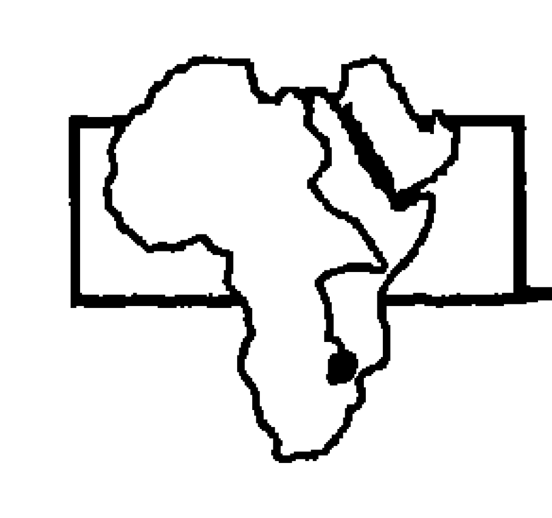
صدقوا: لقد اكتشفت هذه الكذبة مؤرخة بريطانية: ماركة شيroود:

Marika Sherwood التي صدرت كتابها الموثق بالوثائق والأرقام أن استغلال تجارة الرقيق شهدت أسوء مراحلها بعد الإبطال عام ١٨٠٧م، وأن بريطانيا وفرنسا ودول غربية أخرى كانت قد تصاعدت استغلال العبودية لبناء رءوس أموالها ولبناء مدنها، وبنيتها التحتية بخطى سريعة وبسرية تامة بعد إبطالها عام ١٨٠٧ وقبل أن يكتشف العالم انتهاكها إلخ. وهذا التاريخ يكشف لنا هذا الخداع الكبير بعد مائتي سنة انظر كتاب:

1- After Abolition- Britain and Slave trade since 1807. By: Marika Sherwood. (london I.B. taurid 2007)

وترجمة الكتاب: بريطانيا وتجارة الرقيق بعد الإبطال منذ عام ١٨٠٧ لمؤلفته المؤرخة البريطانية ماركة شيروود. ونشر عن دار أي بي تاورس لندن ٢٠٠٧. ويقع الكتاب في ٢٤٦ صفحة من المقاس الكبير، بالإضافة إلى ملاحق، وسعره ١٩ جنيه استرليني في أوروبا ولقد أوصت مجلة *NA* بقراءة هذا الكتاب. انظر:

2- Baffour Ankomah; lies! lies! Lies!. AN. No 466 October 2007. pp 12-19.



متخلفة وغير ذلك مما شوه وزور.

فإذا وافق الأفريقي الغرب واعتقد فيما ذهب إليه في شأن علاقة العرب بأفريقيا، فإن ذلك يعد غير متوقع، فالمتوقع من الأفريقي خاصة المسلم هو نفي الكثير من مزاعم الغرب في هذا الشأن، فالكثير مما كتبه الغرب مناف للحقيقة، وللواقع التاريخي الأفريقي العربي.

فإذا أحب الأفريقي الغرب وكره العرب نتيجة تشويه الغرب لصورهم فهذا غير متوقع، وخاصة إذا كان مسلمًا، ولكن إذا أحب العرب وكره الغرب فهذا من التوقع، فإذا رأى أفريقي مسلم بأن العرب أسوأ الناس في العالم فهذا غير متوقع، ولكن إذا رأي أن العرب رسل جاءوا إلى أفريقيا لنشر رسالة الإسلام، ونشر العدالة والحضارة فهذا متوقع، وأما إذا نظر إليهم باعتبارهم غزاة أتوا إلى أفريقيا لاستعمارها وأخذ الأفارقة كأرقاء لبيعهم في الأسواق فهذا غير متوقع.

فإذا عمل على نشر الثقافة الإسلامية والعربية في أفريقيا فهذا متوقع، فإذا دعا إلى التضامن مع العرب أي تضامن الأفارقة مع العرب وإعادة الروابط التي كانت بينهما فهذا متوقع، فإذا قام أفريقي وخاصة أفريقي مسلم بدور تشويه صورة العرب في أفريقيا أو يدعو إلى عدم تعامل الأفارقة معهم فهذا غير متوقع بالمرة..

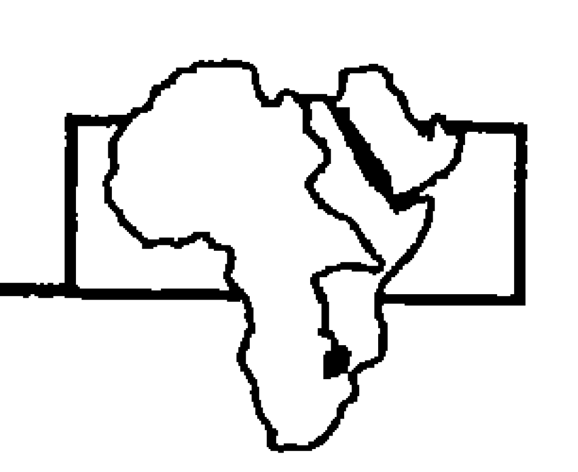
وهكذا أكون قد أوضحت وجهة نظري في "المتوقع وغير المتوقع" من سلوك الأفارقة واتجاهاتهم وأوجه نظرهم وإحساسهم تجاه العرب وتجاه الروابط بينهما ومستقبل الاتصال بالعرب في الفترة ما بعد الاستعمار الأوروبي لأفريقيا الذي فرق بينهما زهاء أربعة أو ثلاثة قرون.



الفصل الخامس

نماذج من إجابات الطلبة الأفارقة في العالم العربي

* إجابات الطلاب الأفارقة النموذجية في المتوقع الأول والثاني.
* الطلبة والمتوقع الثالث.
* المتوقع الرابع.
* جهل الطلاب الأفارقة في الجامعات الإسلامية والعربية بالتاريخ الأفريقي العربي.
* نموذج إجابات بمجموعة من الطلبة.
* المتوقع الخامس.



نماذج من إجابات الطلبة الأفارقة في العالم العربي

المتوقع الأول والثاني: **وهما أن يصبح الطلبة الأفارقة دعاة إلى الإسلام في بلادهم والقيام بمهمة تعليم شعوبهم اللغة العربية. والدين الإسلامي.**

أود - قبل تقديم هذه النماذج - أن أوضح طبيعة الأفريقي المسلم مع الدعوة إلى الإسلام التي تكاد تكون من الثوابت في طبعه وعاطفته بالدين الإسلامي والتي عرف بها في تاريخ انتشار الإسلام في أقطار جنوب الصحراء الأفريقية وجميع شواطئها وتخومها. ذلك أن أي مسلم أفريقي لا يفتأ أن يتطلع إلى الدعوة وأن يصبح داعية كلما سنحت له فرصة في أي مكان حل به، ومهما كان مستواه العلمي، وإذا كان هذا يشمل عامة الأفارقة المسلمين في بلادهم إلا أنها باتت صفة متميزة لبعض القبائل بها منذ دخلها الإسلام في القرن الثاني الهجري والثامن الميلادي إلى اليوم.

هذا ويكاد يتفق المؤرخون على دور الزنوج الريادي في نشر الإسلام بينهم في بلادهم(*)، وصحيح أن العرب أوصلوا الإسلام إلى شعوب شمال أفريقيا (البربر وغيرهم) وصحيح أن البربر والعرب، قاموا بدور توصيل هذا الدين الحنيف إلى بلاد الزنوج بجنوب الصحراء، وبدور تعليمهم علوم هذا الدين ومبادئه الإنسانية والحضارية والاقتصادية وما به من العدل والحرية والمساواة، إلا أن الزنوج "السود" أقبلوا عليه واعتنقوه بإيمان صادق وحب جارف وتبجيل واحترام ثم قاموا بنشاط

(*) وهذا ما أكده أحد المؤرخين الأوروبيين بالنص قائلاً:

(In NegroAfrica Islam was spread almost entirely by Africans).

ويعني أن الإسلام في بلاد الزنوج قد انتشر كليًا تقريبًا عن طريق الزنوج أنفسهم، انظر:

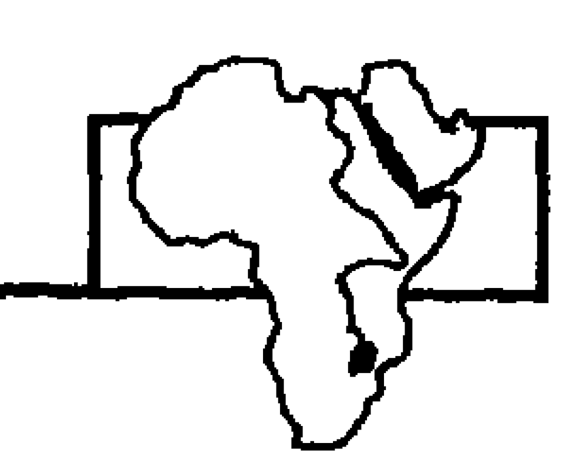
(1) J. Trimingham. The influence of. Ibid. P 101.

بارز في نشر الدعوة إلى الإسلام في بلادهم[١]، وأقاموا بهذا الدين الحنيف حضارات راقية متطورة بمقياس العصور الوسطى.

فبينما كان التجار الدعاة البربر والعرب القليلون يصلون إلى المدن والأسواق الأفريقية الكبرى إبان فترة مملكة غانة في منتصف القرن الثاني الهجري، برزت جماعة من قبائلها وهي قبيلة "السوننكي *Sonenke*" كدعاة جوالين ينشرون الإسلام بين قبائلها وقبائل أخرى في مدن وقرى المملكة وما جاورها - وفي فترة إمبراطورية مالي الإسلامية في القرن الخامس الهجري برز دعاة جدد بالإضافة إلى الدعاة السوننكيين، حيث ظهرت قبيلة "بمبرا *Bambara*" وعرفوا باسم جولا *Julah* بمعنى: التجار، فهم تجار في الأصل ثم أضافوا عمل الدعوة إلى مهنتهم. وشهدت فترة إمبراطورية مالي هذه ظهور أقوى وأنشط قبيلة عرفت في ميدان الدعوة ونشر الإسلام بغربي أفريقيا، وهي قبائل الفلاتة أو الجنس الفولاتي *Fulatah* أو تكرور *Takrur*" وهم رعاة أصلاً ثم أضافوا إلى المهنة الرعوية عمل الدعوة والتعليم وأما في فترة إمبراطورية صنغي الإسلامية التي جاءت بعد إمبراطورية مالي في القرن السابع الهجري، والرابع عشر الميلادي فظهرت جماعات الدعوة الأخرى عند منحنى نهر النيجر وهم قبائل غاو *Gawo* و زَرْمي *Zarmy* كدعاة جوالين أيضًا، وما أكثر ما ظهرت قبائل أفريقية للقيام بمهمة الدعوة في بلادها وما جاورها من البلاد الأفريقية .. ولا يفوتني أن أذكر هنا شخصية إسلامية أفريقية فذة والتي تنفرد بها أفريقيا دون سواها، ألا وهي: شخصية الملوك الدعاة، حيث برز عدد كبير من

---

(١) انظر: د. حورية توفيق مجاهد، الإسلام في أفريقيا وواقع المسيحية والديانة التقليدية، (القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ط١، ٢٠٠٢) ص٢٧.



الملوك الزنوج كدعاة بالإضافة إلى مهامهم الملكية، فلم تمنعهم الأعباء الملكية من أن يقوموا بواجب الدعوة إلى الإسلام بأنفسهم(*).

والجدير بالاهتمام أن نشاط الأفارقة المسلمين البارز في ميدان الدعوة ونشر الإسلام في بلادهم على النحو الذي رأينا، يستند إلى نظرتهم لهذا الدين الحنيف وهي قناعتهم العميقة بصدق هذه الرسالة، والقوة الروحية والاجتماعية والاقتصادية والحضارية التي يتميز بها الإسلام ووجد الأفارقة فيه ضالتهم.

ويقرر مؤرخنا الكبير الدكتور/ أحمد شلبي في موسوعته بهذا الصدد قائلاً: «يعتقد المسلمون أن الإسلام دين الناس جميعًا، وأن المسلم أيًا كان جنسه يحس بأن الإسلام دينه يشفي اتجاهاته الروحية وينير له السبيل ويهديه لما فيه خير الدنيا والآخرة، ولا يحس مسلم أيًا كان جنسه أنه دخيل على جماعة المسلمين أو أن الإسلام مستورد إليه، وبالتالي فالمسئولية تجاه نشر الإسلام والدعوة إليه

(*) وللمعلومات حول دور الأفارقة الريادي في الدعوة ونشر الإسلام في بلادهم انظر:

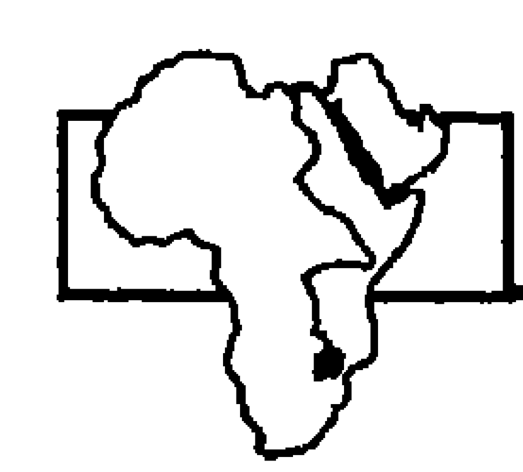
١) الجزء السادس من موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية الخاص بالإسلام والدول الإسلامية جنوب صحراء أفريقية منذ دخلها الإسلام حتى الآن. (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ط٤، ١٩٨٣م).

٢) مجموعة دراسات لتاريخ أفريقيا، الموسوعة الأفريقية، المجلد الثاني، (القاهرة: معهد البحوث والدراسات الأفريقية، اليوبيل الذهبي لجامعة القاهرة، مايو ١٩٩٧م).

٣) عثمان برايما باري: جذور الحضارة الإسلامية في الغرب الأفريقي (القاهرة، دار الأمين، ط١، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م). وانظر أيضًا:

4) *Spencer Trimingham A History of Africa (London Oxford University Page 1962).*

5) *Date B. Clarke. West Africa and islam a study of Religion Development from 18th the 20th century (London Eduward Arcolld pul. ltd. 14, 1982).*



يشترك فيها العرب وغير العرب، وقد قام العرب بنصيبهم من المسئولية دون إهمال أو تقصير، وقام غير العرب بنصيبهم كذلك دون إهمال أو تقصير[١] كما رأينا صورًا من نشاط الأفارقة في نشر الإسلام في أفريقيا.

نأتي الآن إلى إجابات الطلاب الأفارقة النموذجية في المتوقع الأول والثاني:

إنها لبشائر عظيمة للإسلام في أفريقيا أن ٩٩٪ من إجابات أبناء مسلمي أفريقيا الدارسين في الجامعات الإسلامية والعربية الذين شملهم الاستطلاع كانت متوقعة مائة في المائة تقريبًا، الأمر الذي يؤكد على سلامة مستقبل الدعوة ونشر الإسلام في أرجاء جنوب الصحراء وأنهم فعلاً ورثوا طبائع أجدادهم في حب الإسلام والدعوة إليه، ورغم قلة الدعم الذي يحظون به من العرب ورغم التفرقة العنصرية التي يحسون بها من جانب العرب، إلا أنهم أكثر الناس تمسكًا بحركات الدعوة، وأن أثر الإسلام هو الفاعل في نشاط الأفارقة في الدعوة وليس العرب.

انظر لإجابة أحد الطلاب الأفارقة الذي كان يدرس في السنة الرابعة بكلية اللغة العربية بجامعة الأزهر الشريف، يقول بانفعال شديد: «**إن الدعوة الإسلامية في أفريقيا أو ما يطلق عليها العرب بلاد السمر، لا علاقة لها بالعرب، فأجدادنا قاموا بالدعوة بطرق سلمية وأحيانًا بالجهاد المسلح، فجاهدوا بأنفسهم وأموالهم وبذرياتهم بعيدًا عن العرب في سبيل نشر الإسلام وإبقاء وجوده في بلادهم وأورثوا الدعوة لنا. وقال: أنا مثلاً اعتبر نفسي داعية فاعلاً جدًا للإسلام، لقد كنت أقوم بها في بلدي قبل أن أرى وجهًا عربيًا، وقبل مجيئي إلى العالم العربي للدراسة، وكذلك كان يفعل والدي**

---

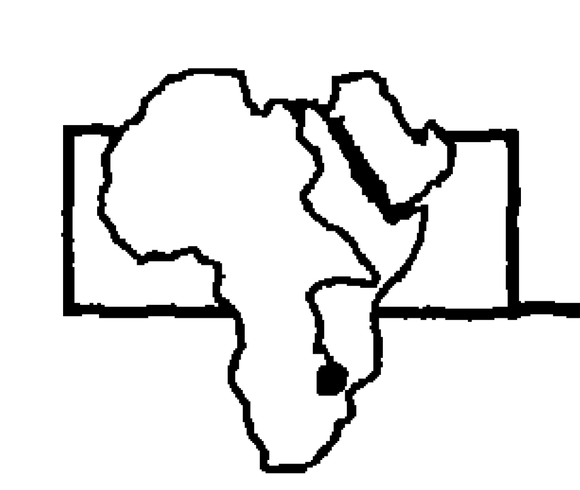
(١) انظر: الجزء السادس من موسوعة التاريخ الإسلامي للدكتور/ أحمد شلبي، المرجع السابق، ص١٨٩.

وأعمامي ولم يزر أحد منهم بلدًا عربيًا، وأنا إذا أنهيت تعليمي وتخرجت وعدت إلى بلدي فسوف استأنف الدعوة سواء بالعرب أو بدون العرب، وغالبًا ما تكون بدون العرب، لأنك لو اعتمدت عليهم سوف تصاب بخيبة أمل كبيرة، فلن تقوم بالدعوة أبدًا، لذا فأولى لي ألا اعتمد عليهم من البداية بل اعتمد على الله ثم على نفسي». انتهت إجابة هذا الطالب، يوافقه الجموع الحاضرون في هذه المناقشة على ما قال.

لكن أحد الطلاب الحاضرين قال: «لكن ربما يكون بيننا وبين العرب تعاون في أمور الدعوة كما يحدث الآن في ساحة الدعوة في أفريقيا، فبعض الدول العربية يدفعون رواتب لبعض خريجي الجامعات الإسلامية من أجل التفرغ للدعوة مثل ما تفعله السعودية وبعض دول الخليج، وكذلك تفعل بعض المنظمات الإسلامية الموجودة في مختلف الدول الأفريقية».

ولكن معظم الطلاب لم يوافقوه تمامًا، فتدخلت أنا قائلاً: «ما وجه اعتراضكم في مثل هذا التعاون الذي يمكن أن يتنامى في المستقبل»، فسادت ضجة كلامية في الغرفة.

فقال أحدهم: «أنا سأجيبك: **العرب لا يقومون بهذا لوجه الله** إنما يفعلون هذا من أجل نشر مذهب معين، فالسعوديون يفعلون هذا من أجل نشر مذهب الوهابية، فإذا علموا أن أحدًا ممن يدفعون له راتبًا وافق أصحاب الطريقة التجانية التي تعد من أبرز الطرق الصوفية في غربي أفريقيا أو أصحاب الطرق الصوفية الأخرى ولم يتخذ موقفًا ضدهم، قطعوا راتبه عنه، وأما بقية الدول العربية، وخاصة الدول غير الخليجية يفعلون هذا للدعاية لأنفسهم بأنهم يفعلون كذا وكذا. وأنهم هم الذين يعلمون أبناء أفريقيا وآسيا، وأما المصريون: فإنهم يقومون بذلك للدعاية والتعظيم للأزهر أكثر مما يفعلونه في سبيل الله وفي صالح

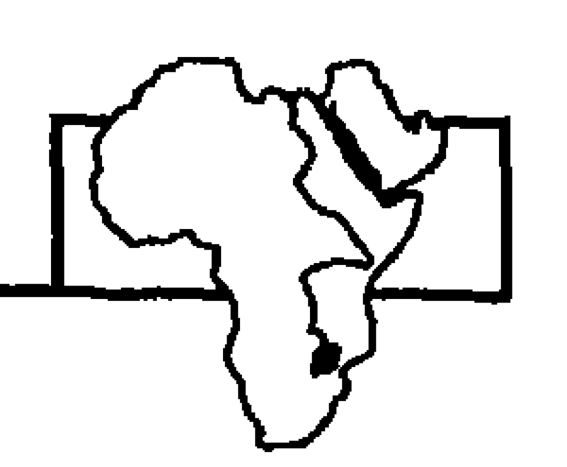


المسلمين الأفارقة، بدليل أن الأزهر لا يهمه عندما يعطيك منحة دراسية وتحضر إلى مصر للتعليم، فلا يهمه كيف تعيش في مصر وكيف تتعلم، فإذا أصبت بمرض فلا يهمه أمر علاجك، وإذا وقعت في مشكلة فإن الأزهر لا يعمل على إنقاذك وإخراجك من المشكلة، وإذا تخرجت وعدت إلى بلدك فلا يهمه إن كنت ناجحًا أو فاشلاً، لا يهمه إذا كانت لك مكانة اجتماعية أو سياسية أو علمية أم لا، كل ما يهم الأزهر أن يقال أنه علَّم عددًا كبيرًا من أبناء مسلمي أفريقيا فحسب، لذلك لا يهتم الأزهر بإعطاء أبناء مسلمي أفريقيا التخصصات التي يمكنهم بها تبوء مناصب قيادية في بلادهم، فالأزهر يرفض فتح أبواب الطب والصيدلة والهندسة .. الخ، أمامنا، وكذلك لا يعطينا منحًا دراسية للدراسات العليا».

واستأنف قائلاً: «لو كان عملاً مخلصًا لله لاهتم العرب بحياة مسلمي أفريقيا أكثر من هذا .. فلا قيمة لطالب أفريقي عندهم، واستغفر الله أن أقول أن التعاون بين مسيحي أفريقيا والمنظمات المسيحية الغربية هو التعاون الحقيقي فهي لا تهتم بحياة الأفارقة الذي تعلموا لديها، فحسب بل ويهتمون بالعمل على مساعدتهم بكل طرق حتى يصلوا إلى أبعد الأمكنة السياسية والعلمية والثقافية والاقتصادية .. الخ.

فهل فيكم من يستطيع أن ينكر ما قلته، لذا فأنا اعتقد في عدم وجود تعاون حقيقي ومخلص بين العرب والأفارقة في الدعوة في أفريقيا، وأرى أن الأفارقة يفقدون الأمل في الأمة العربية».

ثم التفت إليَّ قائلاً: «قل شيئًا يا عبد الله، واعتقد أنك أعلم بهذه الأمور مني، فأنت أهم باحث عرفناه بين أبناء مسلمي أفريقيا الدارسين في مصر في هذا المجال فكلنا قرأنا كتابك "مدخل لقضايا المسلمين في غرب أفريقيا"، ألم تكن نتائج بحثك



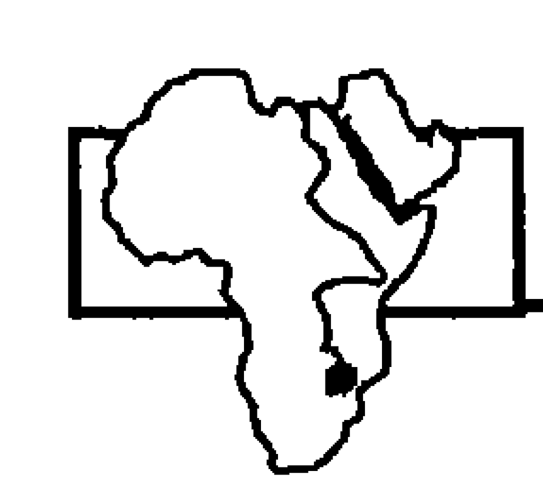
هذا أن السلبية من جانب العرب، ولقد حاولت فيه تنبيه العرب إلى إصلاح أوضاع الطلاب الأفارقة والاهتمام بأمر تخصصاقم والدراسات العليا، فهل اهتموا، وأنت كنت تنشد الإصلاح: ولو كنت قدمت بمثل هذا البحث في الغرب لمنحوك منحًا دراسية للماجستير والدكتوراه بل والأوسمة ولكن هل اهتم بأمرك أحد من العرب» انتهى كلام الطالب.

فقلت: أفضل أن استمع إلى آرائكم أنتم.

الخلاصة: نستخلص من هذا الحوار أن هؤلاء الأفارقة الذين عاشروا العرب في بلادهم لم يجدوا ركائز عملية يمكن أن يخرجوا منها بآمال تجمعهم مع العرب في عمل مستقبلي حتى في إطار الدعوة التي تعتبر لب العلاقات بين العرب وغيرهم ، والأفارقة بصفة خاصة، وهم فاقدوا الأمل حتى في هذا الإطار، ونستخلص كذلك التأكيد على أن الدعوة إلى الإسلام في أفريقيا، سواء بدعوة غير المسلمين إلى الإسلام وبالتعليم الإسلامي أو بالوعظ والإرشاد ماضية قدمًا ولها مستقبل في أفريقيا سواء بالتعاون مع العرب أو بدونهم حسب رؤية مسلمي أفريقيا غير العربية، فالكل في أفريقيا يسعى أن يكون داعية بطريقة أو بأخرى.

الطلبة والمتوقع الثالث

ونأتي إلى المتوقع الثالث، وهو أن يكون خريجو الجامعات الإسلامية والعربية في البلاد العربية من أبناء أفريقيا وسائط الفكر الإسلامي والعربي لدى شعوبهم في بلادهم. فكثيرًا ما يسألونني عن معنى "وسائط" ومعنى "الفكر العربي": أو "الفكر الإسلامي" فأرد شارحًا لهم: الفكر الإسلامي هو موقف الإسلام من مختلف القضايا والمواقف الحياتية بصفة عامة، من سياسة واقتصاد وتجارة وعمل وعدالة وحرية ومساواة، وموقف الإسلام من المستجدات الحياتية



مثل الإجهاض والاستنساخ البشري واستخدام أعضاء الإنسان ورؤية الإسلام للإنسان وموقفه من المرأة والعلاقات الإنسانية والدولية وعلاقة الإسلام بالأديان الأخرى .. الخ.

وأما الفكر العربي فيتمثل في موقفهم من تلك الأفكار السابقة بالإضافة إلى مواقفهم من القضايا الدولية وتعاملهم مع الناس والشعوب ومواقفهم من القضايا الأفريقية ورؤيتهم لمشكلات العالم ومدى صلاحية الفكر العربي في نشر العدالة والحضارة والحرية من بين أفكار الأمم الأخرى.

لقد سألني أحد الطلاب قائلاً: «وهل تعني أن نصبح نحن الدارسون في العالم العربي دعاة ومروجي أفكار العرب في أفريقيا نيابة عنهم؟.

فقلت: نعم.

فقال: «أما الفكر الإسلامي، فنعم، نحن له، وأما الفكر العربي، فلا».

واستطرد قائلاً: فالفكر الإسلامي واضح ومجرد من كل هوى، ومبادئه عامة ومستقلة عن أي شخص أو أمة. فهو فكر لكل الناس وصالح لكل زمان ومكان، فأي مسلم ملزم بالتمسك به وبنشره أيًا كان جنسه، فلا جدال في مدى صلاحية الفكر الإسلامي لعلاج الكثير من مشكلات وأزمات العالم.

وأما الفكر العربي فليس واضحًا وغير محدد المعالم وهل يتماشى مع الفكر الإسلامي أم هو فكر خاص بالعرب بعيدًا عن الفكر الإسلامي، وحتى ما يمكن أن يقال أنه فكر عربي. فإذا كان العرب أنفسهم لا يعملون بجدية في نشره في أفريقيا، فكيف يمكننا نحن الأفارقة أن نقوم به نيابة عنهم؟، ولا اعتقد أن العرب يهمهم رأي أفريقيا فيهم، فهم لا يهتمون بالأفارقة بقدر ما يهتمون بالأمريكان والأوروبيين والآسيويين، وهم يجرون وراءهم ويتلمسون ودهم ورضاهم، بينما

هؤلاء لا يهتمون بالعرب إلا بقدر ما يستفيدون من أموال العرب والبترول والغاز العربي والسوق العربي بل هم أكثر الناس تشويها لصورة العرب.

لو كان العرب يهمهم رأي أفريقيا فيهم. ولو أرادوا أن نصبح نحن أبناء مسلمي أفريقيا الدارسين في ديارهم وسائط أفكارهم لدى شعوبنا في بلادنا كما تقول أنت؛ لاهتموا أولاً بجدية إعداد الكوادر منا، كما يفعل الغرب مع أبناء أفريقيا الذين يدرسون في جامعاته ومعاهده من إعداد العلماء والأساتذة في كل المجالات العلمية والسياسية والصحية والاقتصادية.. الخ.

ولو كان العرب يهتمون بأفريقيا لأتاحوا أمامنا كل فرص التخصص وفرص الدراسات العليا كي نصبح أساتذة في جامعات بلادنا وفي مواقع ثقافية أخرى مؤثرة، لأننا لا يمكننا نشر الأفكار بطريقة فعالة إلا من خلال هذه القنوات، ولكن هذا لا يحدث من العرب وليس هناك بوادر لحدوثه، وبالتالي لا يمكن أن نصبح وسائط ولا مروجين للفكر العربي في أفريقيا، فهم أنفسهم لا يريدون أن نصبح ذلك أبدًا».. انتهى كلام الطالب.

وفي الحقيقة أن ٩٠٪ ممن شملهم مناقشة هذا التوقع كانت إجاباتهم متطابقة مع إجابة هذا الطالب وإن كانت بألفاظ وبصيغ مختلفة. فإجاباتهم بالنسبة للفكر الإسلامي كانت متوقعة تمامًا أما بالنسبة للفكر العربي فلم تكن متوقعة بنسبة ٩٠٪ وهكذا والسبب يعزي إلى العرب أنفسهم، كما اتفق الجميع تقريبًا.

المتوقع الرابع

وهو أن يصبح أبناء مسلمي أفريقيا مصححين لما شوه من صورة العرب وأن يكونوا مدافعين عنهم في أفريقيا، فهذا البند يتفق مع المتوقع الثالث السالف، فمناقشة هذا المتوقع كان أكثر ضراوة؛ لأنه يتوقف على مدى معرفة

هؤلاء الطلاب من أبناء مسلمي أفريقيا لما هو مشوه وغير مشوه عن العرب وعلاقاتهم بأفريقيا تاريخيًا.

فقد يسمع أحد أبناء مسلمي أفريقيا عن العرب شيئًا مشوهًا ومفترىً وهو قد لا يعلم ذلك، ويعتبره واقعًا عاديًا وأن العرب كانوا كذلك فعلاً، بينما قد يكون مشوه في الواقع.

ويتضمن هذا الموضوع ما غرسه الغرب في الذهن الأفريقي بأن العرب خرجوا من الجزيرة العربية لاستعمار العالم وأفريقيا بصفة خاصة مثلهم مثل الأوربيون في الحركات الاستعمارية، وأن الاستعمار العربي هو أسوأ استعمار، والعرب هم التجار الحقيقيون للرقيق الأفريقي، وأن الغرب هو الذي أوقف العرب عن هذه الممارسات البغيضة وأنقذوا أفريقيا وخلصوها من الاستعمار العربي ومن العبودية، ويتضمن أيضًا أن العرب متعصبون، ولديهم التفرقة العنصرية ثم جاءت حديثًا مسألة الإرهاب العربي.

إن مكمن الخطورة في هذه الموضوعات يتمثل في لزوم معرفة ما هو مشوه وغير مشوه في صورة العرب، حتى يتسنى للمرء اتخاذ موقف حيادي ومنصف، وأن هذا الخطر يكمن في عدم معرفة الشعوب الأفريقية اليوم "العرب والأفارقة" على السواء بتاريخ العرب في أفريقيا وكذلك عدم معرفتهم بتاريخ الاستعمار الغربي لأفريقيا، وعدم معرفتهم بمساوئ الاستعمار على أفريقيا وعدم معرفتهم بمدى الروابط بين العرب والأفارقة قبل وبعد الإسلام، وعدم معرفتهم بدور العرب في نشر الإسلام والفكر الحضاري المتطور في أفريقيا "وشتان بين من يعرف ومن لا يعرف".

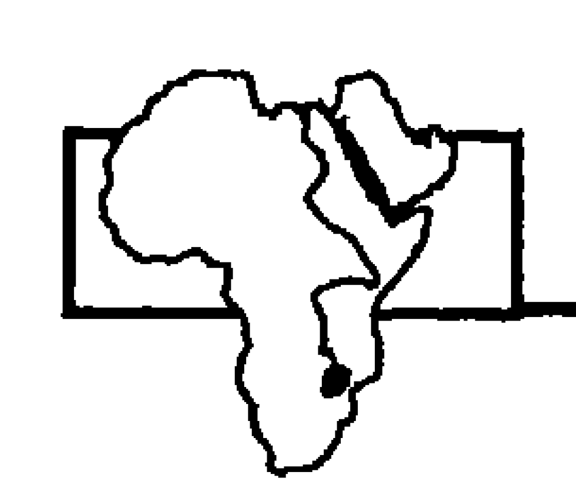
وأما المتخصصون الأفارقة للتاريخ الأفريقي قد اكتشفوا كثيرًا من التشويهات التعسفية التي قام به الغرب في العلاقات بين الأفارقة والعرب ولهم

مواقف منصفة للعرب، وهم قلة، ولكن البعض منهم نتيجة لتعليمهم في الغرب قد لا يسلمون من بعض تأثيرات الرؤى الغربية، وخاصة الذين لم يطلعوا على المصادر العربية للتاريخ الأفريقي، الذي يعتبر أصح المصادر لهذا التاريخ، والتي كتبوها ودونوها في العصور الوسطى، لذا يعتز بعض الزعماء الأفارقة اليوم بهذا شاكرين للعرب هذا العمل الحضاري، ويقولون أن العرب هم كتاب التاريخ الأفريقي القديم والوسيط(*)، أما التاريخ الأفريقي خلال القرن السابع عشر والثامن عشر والتاسع عشر فكتبه ودونه الغربيون، وانتهزوا فرصة خلو الرقابة الدولية وعزلة أفريقيا كي يكتبوا ويزيفوا ليس في صورة العرب فحسب؛ بل شوهوا وزيفوا التاريخ الأفريقي نفسه بل والإنسان الأفريقي ذاته لم ينج من هذا التشويه؛ فكتبوا كما سوف نرى من وجهة نظرهم ولأغراضهم الاستعمارية، فالمثقفون الأفارقة المتخصصون هم الذين يدركون هذه الحقيقة بأن ما كتبه الغربيون عن أفريقيا وعن العرب وعلاقتهم بأفريقيا كان مشوهًا ومزيفًا، والحمد لله، أفريقيا زاخرة بمؤرخين منصفين للعرب ويعلمون الحقيقة الموضوعية، ولكن

(*) انظر ما قاله المؤرخ الأفريقي الكبير الدكتور/ جوزيف كي زربو: *Joseph Ki-Zerbo* بالنص: وهو مؤرخ من بوركينا فاسو قائلاً: «فالواقع أن المثقفين العرب من علماء الجغرافيا والمؤرخين قدموا لأفريقيا السوداء، خدمة لا تضاهي عندما أرخوا عن طريق الكتابة للإنجازات الاجتماعية والسياسية لبلاد السود إلى درجة يمكننا أن نأسف معها لأنهم لم يصلوا إلى أفريقيا قبل ذلك الزمن.

انظر كتابه: تاريخ أفريقيا السوداء *Histoire de L'Afrique Noire* ترجمة: د. عقيل الشيخ يس، بنغازي، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، ط الترجمة، (٢٠٠١) ص١٧٥.

لم يكتف د. كي زربو بالاعتراف بالجميل للمؤرخين العرب بل وضع قائمة للتعريف بهم في أول كتابه هذا وكذلك ذكرهم في التاريخ الأفريقي العام أولى أعمال أفريقيا المصحح للتاريخ الأفريقي.

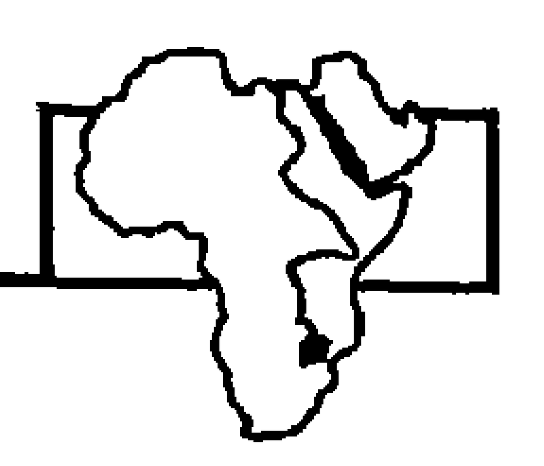


لم يصل إلى عامة الناس في أفريقيا والعالم العربي، رغم أن الملايين ممن مروا جميع مراحل التعليم حتى تخرجوا من الجامعات.

وأمر آخر لا يقل خطورة وهو جهل الطلاب الأفارقة في الجامعات الإسلامية والعربية بالتاريخ الأفريقي:

أرجو العفو في أن أقول **أن أجهل الناس بالتاريخ الأفريقي** القديم والحديث قد يكون أبناء مسلمي أفريقيا الدارسين في الجامعات والمعاهد الإسلامية والعربية في البلاد العربية، ذلك أن معظم هؤلاء قبل مجيئهم إلى البلاد العربية للدراسة كانوا خريجي المدارس الإسلامية العشوائية المنتشرة في كل أنحاء البلاد الأفريقية بجنوب الصحراء، وهذه المدارس لا تدرس لتلاميذها أي نوع من التاريخ الأفريقي أو التاريخ الإسلامي في أفريقيا أو التاريخ العام أو التاريخ الوطني منه بمعنى الكلمة، ولما حضروا إلى الجامعات الإسلامية والعربية في البلاد العربية للتعليم، لم يكلف العرب أنفسهم بتضمين مادة التاريخ "التاريخ الإسلامي في أفريقيا" في مناهجها في المعاهد والجامعات، ولا درسوا هم تاريخ الروابط بين العرب والأفارقة ولا الدور العربي في بناء الحضارات في أفريقيا بل اكتفوا فقط بتعليمهم التاريخ العربي الذي يتمثل في تاريخ الجزيرة العربية والتاريخ الأموي والعباسي وتاريخ شمال أفريقيا، مع تجاهل تام لتاريخ مسلمي أفريقيا جنوب الصحراء، عن نشرهم للإسلام وبنائهم لحضارات إسلامية متقدمة وعن كفاحهم دفاعًا عن الإسلام وجهادهم ضد الاستعمار وأعداء الإسلام من أجل إبقاء الإسلام في ربوع بلادهم، وأرجو المعذرة في أن أقول أيضًا أن هذا التجاهل لم يكن حسن النية من جانب العرب، الأمر الذي أحدث آثارًا ضارة في نفوس واتجاهات مسلمي أفريقيا.

ونقطة أخرى هي أنه يجب أن يعرف العرب وكل مسئول عن تعليمهم



بالجامعات الإسلامية والعربية بكل وضوح: أن أبناء مسلمي أفريقيا الذين يتخرجون في جامعاتهم الإسلامية والعربية، لا يصلون إلى المواقع التي تمكنهم من تصحيح ما شوه من صورة العرب في أفريقيا، فالجامعات والمعاهد العليا ومراكز البحوث والدراسات الأفريقية هي القنوات التي يمكن للمرء العمل بها على تصحيح الأفكار إذا كانت خاطئة ومن خلالها يمكن تقديم أوجه النظر وبث الأفكار الصحيحة، والعرب لم يؤهلوا تلاميذهم الأفارقة للوصول إلى هذه المراكز الحساسة.

فلكي يحتل شخص كرسي أستاذية أو مدرس أو معيد أو أستاذ مساعد في أي جامعة في أي مكان في أفريقيا، لابد أن يكون لديه مؤهلات معينة، وهي درجات الدراسات العليا من الماجستير والدكتوراه، والعرب أقل الأمم منحًا للأفارقة الدارسين لديهم فرص نيل هذه الدرجات، وبالتالي يكونون أقل الناس قدرة على الدفاع عن العرب وتصحيح ما شوه عنهم في بلادهم عندما يتخرجون ويعودون من البلاد العربية، لأنهم غير مؤهلين للوصول إلى مراكز القيادة بذلك.

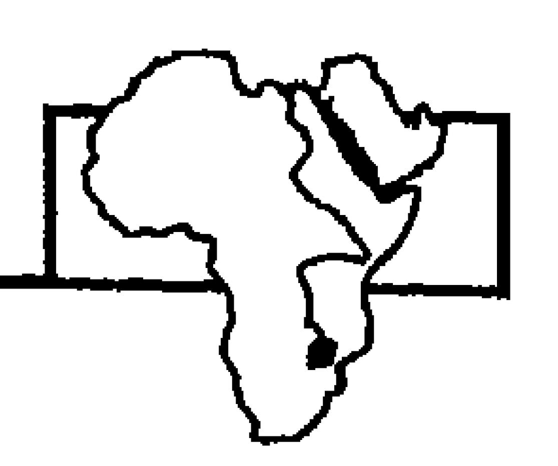
خريج قسم التاريخ وجاهل تام بالتاريخ الإسلامي في أفريقيا

اعترف أنا كاتب هذه السطور، بأنني طوال دراستي بقسم التاريخ في كلية التربية بجامعة الأزهر علمتنا الجامعة تاريخ شعوب العالم على مدى أربع سنوات دون أي إشارة لتاريخ شعوب أفريقيا بجنوب الصحراء، فتخرجت وأنا جاهل تمامًا بهذا التاريخ العظيم، لم أعرف ما هي إمبراطورية غانة الإسلامية، ولا إمبراطورية مالي الإسلامية ولا عن إمبراطورية صنغى الإسلامية، لم أدرس شيئًا عن دولة عثمان دن فوديو الإسلامية ولا عن دولة عمرقوتي الإسلامية ولا عن تاريخ الاستعمار الغربي لأفريقيا وكفاح مسلمي أفريقيا ضد هذا الاستعمار،

كل هذه الإمبراطوريات والدول الإسلامية المذكورة آنفًا تعد تاريخًا مجيدًا سطره الأفارقة في صفحات أفريقية مضيئة، فلم أعرفها جميعًا إلا بعد تخرجي بسنوات، حينما وجدت نفسي أعرف "التاريخ الأندلسي والأموي والعباسي والفاطمي والأوروبي والأمريكي والآسيوي" بينما لا أعرف تاريخ بلادي وتاريخ القارة التي أنتمي إليها.

حينئذ بدأت أقرأ كتب التاريخ الأفريقي، ومن خلالها اكتشفت شيئًا مذهلاً، تاريخ جميل ومدهش ومثير جدًا، نعم كان كشفًا بالنسبة إليّ وكانت بداية قراءتي بكتابين مهمين جدًا؛ الأول: الجزء السادس من "موسوعة التاريخ الإسلامي الخاص بتاريخ الدول الإسلامية في أفريقيا جنوب الصحراء" للدكتور أحمد شلبي، وفيه عرفت عن التاريخ الإسلامي في أفريقيا جنوب الصحراء ثم اتبعته بسلسلة كتب الدكتور/ إبراهيم علي طرخان لتاريخ الإمبراطوريات الإسلامية في أفريقيا، والثاني: وهو كتاب أذهلني جدًا، وهو كتاب "المسلمون والاستعمار الأوروبي لأفريقيا" للدكتور عبد الله عبد الرازق إبراهيم(*). ففيه اكتشفت عظمة مسلمي أفريقيا في الكفاح والجهاد الذي خاضوه ضد الاستعمار الغربي في أفريقيا حتى خيل لي أنه لم يوجد شعوب إسلامية أخرى في العالم خاضت مثل هذا الجهاد دفاعًا عن الإسلام وضد الغزاة على أفريقيا، ومن

(*) لذا فإنني أوصي جميع أبناء مسلمي أفريقيا الدارسين في العالم العربي بقراءة مجموعة الكتب المذكورة في هذه الصفحة ثم بعد ذلك يتوسعوا في قراءتهم لكتب التاريخ الأفريقي الأخرى عربية أو أجنبية، فهذه الكتب سهل الحصول عليها في المكتبات المصرية. ويمكن للطالب أثناء فترة الأجازة الصيفية قراءة «مجلدات المصحح» للتاريخ الأفريقي بعنوان تاريخ أفريقيا العام. وتوجد المترجم المصححة منها إلى العربية بمعهد البحوث والدراسات الأفريقية بجامعة القاهرة.



كل هذا خرجت بنتائج مذهلة جدًا وهي أن مسلمي أفريقيا هم بناة الحضارات الأفريقية والمدافعون عن القارة ضد الغزاة ثم بعد ذلك بدأت في التوسع في قراءة المصادر والمراجع الأجنبية. الخ.

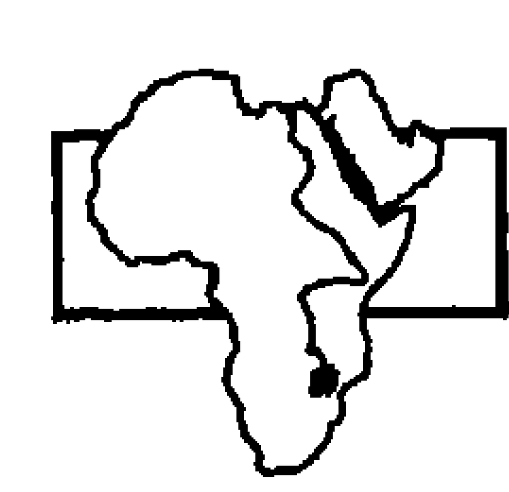
وكذلك اكتشفت أيضًا أن ٩٩٪ من أبناء مسلمي أفريقيا الدارسين والمتخرجين من الجامعات الإسلامية والعربية يجهلون هذا التاريخ الناصع وهذا الجهل يمثل خطورة بالغة بمستقبل الروابط بين العرب والأفارقة سواء الجانب العربي أو الجانب الأفريقي، كما سوف نرى في نماذج إجابات بعض الطلبة في هذا المتوقع.

نموذج إجابات مجموعة من الطلبة الأفريقيين:

احتدمت مناقشة حامية بيني وبين ثلاثة طلاب من أبناء مسلمي أفريقيا الدارسين بالجامعات المصرية، وكلهم متخرجون من مختلف الكليات والجامعات، أحدهم من "جنوب شرق أفريقيا" وواحد منهم من غرب أفريقيا والآخر من وسط أفريقيا وكلهم مسلمون ومعتزون بإسلامهم وملتزمون .. الخ.

وقد دار النقاش كما جاء في التوقع الرابع، وهو أن نصبح نحن أبناء مسلمي أفريقيا مصححين لما شوه من صورة العرب والمدافعين عنهم في بلادنا وأن نكون أكثر الدعاة إلى تضامن الأفارقة مع العرب في المستقبل، وكان لقائي مع الطالب الأول الوافد من جنوب شرق أفريقيا منفردًا ودار النقاش حاميًا جدًا استمرت بنا أكثر من سبع ساعات من الزمن تغدينا خلالها. حاول فيها أن يثبت لي ما فعل العرب من المساوئ في حق الأفارقة في شرق أفريقيا، وخاصة في جزرها مثل زنجبار وجزر القمر حيث قال:

«كيف يمكن أن نصبح مصححين لأخطاء العرب الكثيرة في أفريقيا،



ونحن أنفسنا ضحايا مساوئ العرب، ولم يترك لنا العرب فرصة ذلك؛ إنك لا تستطيع الدفاع عن الأخطاء التي حدثت مع وجود آثار هذه الأخطاء لقد كان العرب يمارسون استعمارًا صارخًا في بلاد جنوب شرق أفريقيا، فضلاً عن تجارة العبيد التي كانوا يتاجرون فيها، وإن سلطنة عمان استمرت في استعمار هذه المناطق حتى نهاية القرن التاسع عشر وفي بداية القرن العشرين إلى أن تم طرد العرب بواسطة الوطنيين الأفارقة، وأنه لمن الصعوبة بمكان الدفاع عن العرب في بلادي، صدقني.

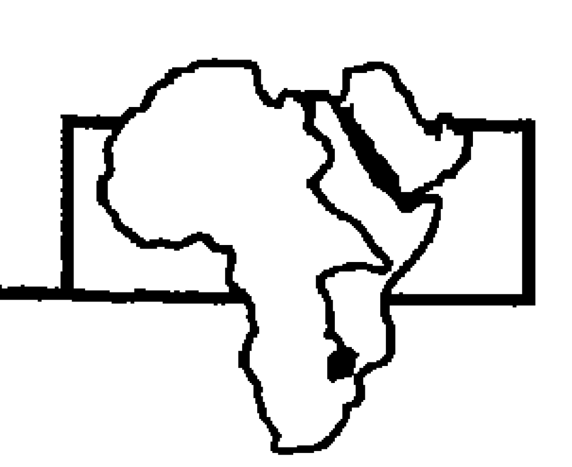
فالعرب كما قيل عنهم، فعلاً مستعمرون مثل الأوروبيون، بل أسوأ من الأوروبيين أحيانًا، والناس يتكلمون هناك ويقولون أن العرب، يمكن أن يفعلوا بالأفارقة الأسوأ لو واتتهم فرصة أكبر(*)، وأن العرب عنصريون، وأنهم قتلوا الكثيرين من العبيد الأفارقة الذين جلبوهم إلى بلادهم بطريقة بشعة جدًا لم

(*) تعليق الباحث وهذا الكلام يتنافى مع الواقع الأفريقي العربي لأن العرب عاشوا مع الأفريقيين أكثر من ألف وثلاثمائة عام وكانت هذه القرون فرصة كافية للعرب لإبادة سكان أفريقيا في المناطق التي حلوا بها لو كان لديهم نية في ذلك، لقد أباد الأوروبيون سكان الأمريكتين في زمن لم يتجاوز قرنًا من الزمان فالأمر هو النية الشريرة وليس الفرصة السانحة والوقت.

على سبيل المثال لقد أبادت بلجيكا وحدها ٨ ملايين من سكان الكنغو -زائير- خلال خمسين عامًا فقط إذا فالمسألة ليست مسألة وقت إنما النية السيئة المبيتة، وأيضًا المسألة أن العرب قتلوا عبيدهم عن طريق عمليات خصية يتنافى مع المنطق لأن أحدًا لا يقتل ثروته إنما ينميها والعبيد ثروة يحرص الأسياد على زيادتها وأن ينجب العبيد عبيدًا صغارًا للسيد فهذا هو المنطق الصحيح.

انظر: د. شوقي الجمل تاريخ كشف أفريقيا واستعمارها (القاهرة: الأنجلو المصرية ١٩٨٠) ص ٣٤٥. نقلاً عن كتاب:

Uather john: Insid Africa (london 1953).(P.645.



يتعرض لها حيوان أو كائن آخر، إذ كان العرب يجرون عمليات استئصال خصية الرجال من عبيدهم، حتى يصبحوا مجردين من الرجولة، وحتى يحرموهم من حق الزواج والإنجاب وكان الغرض من هذا من أجل ألا ينظر عبد أفريقي إلى زوجات سيده ولا إلى بناته، لأن الرجل عندما تستأصل خصيته يصبح فاقدًا للرجولة تمامًا ولا يكون له أدنى حاجة إلى المرأة بأي شكل من الأشكال وبالتالي يطمئن سيده فيطلقه في مترله يخدم زوجاته في حضوره وفي غيابه لأنه لا يستطيع أن يفعل شيئًا مع أي امرأة، وبالتالي لم يتزوج آلاف العبيد الأفارقة ولم ينجبوا ذرية فإذا مات عبد اختفى أثره، وبهذه الطريقة تخلصوا من عبيدهم الأفارقة في بلادهم إلا قليلاً من العبيد نجوا من هذه العمليات البشعة.

«واستطرد قائلاً: كما ترى فلا قيمة للإنسان الأسود في البلاد العربية حتى الذين أصبحوا مواطنين في البلاد العربية لا تجد لهم ظهور في المناصب العليا والمراكز القيادية اليوم، فهذا واضح جدًا فمثلاً لا تجد مذيعًا أسودًا في تليفزيون الدول العربية، ولا مذيعة سوداء، وقال حتى الآن لم أشاهد مذيعة سوداء ولا ممثلين من السود أو السمر في التليفزيون المصري، وقد عشت في مصر أكثر من ٢١ عامًا، لدرجة أنهم يدهنون جسم ووجه ممثل أبيض بلون أسود لكي يمثل دور إنسان أسود كأن ليس في مصر كلها مثقف أسود يمكنه تمثيل دور إنسان أسود أبدًا بينما المواطنون السود يملئون البلاد وخاصة في الجنوب، وهذا نوع من التفرقة العنصرية».

ثم قال: «أبقى الغرب على عبيدهم الأفارقة: فهم اليوم مواطنون في مختلف البلاد الغربية(*)، فها هم زنوج أمريكا يظهرون في كل المجالات السياسية وفي

(*) من المؤكد أن هذا الشخص أمامي لم يطلع أو قرأ ولو مرة واحدة أو سمع عن كيف حاول الغرب التخلص من عبيدهم الأفارقة بعد حركة تحرر العبيد في القرن ١٩ وفي مطلع القرن العشرين، وخاصة الولايات المتحدة الأمريكية وأمريكا الجنوبية، لقد =

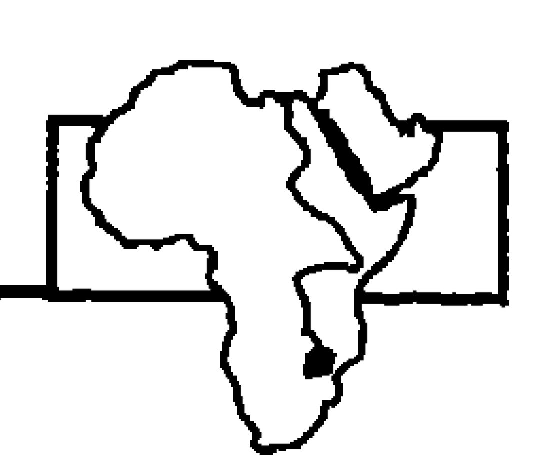
جميع وسائل الإعلام، ترى مذيعات سودوات في التليفزيون الأمريكي وفي التمثيل؛ ليس الزنوج يمثلون أدوار الخدم والبوابين والخادمات والدادات فقط كما يحدث في العالم العربي إنما يمثلون أدوار القضاة وضباط بوليس والجيش والمخبرين وهذا ليس في السينما فقط بل موجودون في واقع الحياة كما يظهرون في التمثيل وأما في الرياضة فحدث ولا حرج فهم في صدارة الرياضيين في الغرب.

وأما نحن الأفارقة الذين يحضرون إلى العالم العربي للتعليم نتعرض لنوع من التفرقة العنصرية، فإنهم يمنحوننا فرص التعليم في مجال ضيق جدًا وهو التعليم النظري فقط، ولا يمنحوننا فرص التخصصات العملية ولا الدراسات العليا التي تمكننا من احتلال مكانة مرموقة في بلادنا كأنهم لا يريدون للمسلم الأفريقي أن يظهر في مراكز قيادية في بلده - بينما الغرب يفتح أبوب جميع التخصصات لأبناء أفريقيا الذين يسافرون إليه للتعليم» (انتهى كلام الطالب).

وقد ناقشته ما استطعت وقلت له: «إن كل ما سمعت عن مساوئ العرب

=

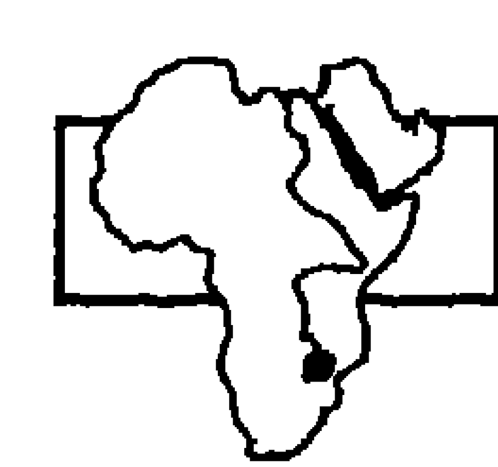
حاول البيض في الأمريكتين التخلص من الأفارقة بشتى الطرق ابتداء من القتل والتهجير والعزل ومصادرة جميع حقوقهم المدنية والاجتماعية وحرمانهم من كل أسباب الحياة الإنسانية، ولكنهم عجزوا عن التخلص من الأفارقة نتيجة لكثرتهم لأن أعدادهم كان بعشرات الملايين، فلم يملك البيض أي وسيلة ناجحة للتخلص منهم فضلاً عن المقاومة المستميتة التي قام بها الأفارقة للإبقاء على حياتهم ثم بعد قرن من الزمان ناضلوا للحصول على قليل من حقوقهم. فليعلم الجميع أن بقاء الأفارقة في الولايات المتحدة الأمريكية وأمريكا الجنوبية والكاريبي كان رغمًا عن البيض وليس رغبة عنهم. انظر: أورينو دالارا. نشأة التيار الأفريقي في الجذور الكاريبي والأمريكية والأفريقية في القرن ١٩، مرجع سابق، ص.ص ١٣-٩٦.



في حق الأفارقة كما ذكرت، أو قرأت عنها ربما هي تلك المعلومات الخاطئة والمزورة التي حاول أعداء العرب وأعداء الوحدة العربية الأفريقية بثها وغرسها في أذهان الأفارقة للتفريق بينهما، وقلت له عندما تقرأ التاريخ العربي الأفريقي لسوف تفهم زيف الكثير من معلوماتك ولسوف يكون لك موقف آخر.

وقلت له أما ما يتصل بالتفرقة في التعليم الذي حدده العرب لنا في مجال محدد دون غيره لا أقول عنها بالتفرقة العنصرية - بل أقول أنها خطأ وقصر النظر من العرب، وأن الزمن كفيل بتغيير هذه السياسات التعليمية غير الموفقة من العرب في تعليم أبناء مسلمي أفريقيا في جامعاتهم، فعندما يأخذ كل من العرب والأفارقة باعتبارات الروابط بينهم ويتجهون إلى عمل مشترك، سوف تتلاشى كل هذه التفرقة. وانتهت المناقشة بيننا بأخذه على العرب في سياساتهم وفي معاملاتهم السيئة مع الإنسان الأسود وحتى المواطنون السود لديهم وفي تعليم أبناء مسلمي أفريقيا والنصيحة من جانبي له بإعادة قراءة التاريخ الأفريقي والإسلامي في أفريقيا جيدًا، وكذلك قراءة تاريخ الاستعمار الغربي حتى يفرق بين الحق والباطل، لأنني أدركت أنني أمام شخص لا يعرف الكثير عن تاريخ أفريقيا وكيف اتصل كل من العرب والغرب بالأفارقة وشتان بين الاتصالين.

فإذا كانت هذه إجابة أحد أبناء مسلمي أفريقيا عاش في مصر أكثر من ٢٠ عامًا، فما بال الذي لم يعاشر العرب ولم يدرس لديهم ودرس في الغرب فقط، الأمر الذي يعني أن الجامعات الإسلامية والعربية عجزت عن تثقيف طلابها الأفارقة، وفشلت في تنمية النفسية الانتمائية فيهم نحو الأمة العربية فأنى لأمثال هؤلاء أن يصححوا ما شوه عن العرب في بلادهم؟ فالإجابة عن هذا كله غير متوقعة بالمرة».



وأما الطالبان الآخران فأحدهما من غرب أفريقيا والآخر من وسط أفريقيا فقد تكلما أيضًا عن الجانب السلبي من العرب في أفريقيا، وركزا على هولاكو العربي الذي دمر آخر الحضارة الأفريقية الإسلامية المتقدمة في غرب أفريقيا غير مبرر، فقالا لي: «ألست أنت الذي أطلقت في كتابك المسمى: "مدخل لقضايا المسلمين في غرب أفريقيا" تعبير هولاكو أفريقيا»(*)، وأن نهاية هذه الحضارة الأفريقية كانت على يد الملك العربي المغربي الملقب بالمنصور الذهبي.

فقلت: لقد تناولتما الموضوع من زاوية واحدة، وأن مثل هذه الغزوات كانت تحدث بين معظم الدول التي كانت تجاور بعضها البعض فلقد حدثت مثل هذه الغزوات بين العرب أنفسهم».

فقالا: «لا، إذا كان العرب قاتل بعضهم البعض فما ذنب أفريقيا، فإننا لم نسمع أن الأفارقة غزوا بلاد العرب حتى يهب العرب للرد على هذه الغزوات وأن ما حدث إنما هو اعتداء سافر على أفريقيا».

وقال: «إن العرب لا يحبون الخير للأفارقة وأنهم عز عليهم أن يروا أفريقيا متطورة حضاريًا واقتصاديًا فدفعهم الطمع إلى تدميرها والاستيلاء على ثرواتها، حتى أن جامعة "تمبكتوا" التي كانت أكبر جامعة إسلامية وأكبر مؤسسة علمية عرفت في هذه الفترة؛ لم تنج من شرهم، فقد عمدوا إلى تدمير هذه المؤسسة وإحراق ما بها من كتب وتشريد علمائها حتى لا تقوم لها قائمة مرة أخرى وقد كان ما أرادوا(**).

(*) فعلاً، أطلقت على غودر باشا قائد جيش ملك المغرب المنصور الذهبي بـــ"هولاكو" أفريقي ذلك أن الغزو الذي قام به هذا الملك العربي ضد دولة صنغى لم يكن مبررًا على الإطلاق وخاصة حرق الكتب والتنكيل بالعلماء: انظر عبد الله صالح سانا: مدخل لقضايا المسلمين في غرب أفريقيا، مرجع سابق، ص١٤١.

(**) وللمعلومات التفصيلية عن الغزو العربي لحضارة صنغى الأفريقية الإسلامية والقضاء =



وعندما جئنا إلى العالم العربي للتعليم وجدنا التفرقة العنصرية حتى في جامعة الأزهر التي تعتبر جامعة عامة للمسلمين ما كان ينبغي أن تكون فيها أي تفرقة بين أبناء المسلمين، منعونا من بعض التخصصات العلمية الهامة.

وقالا: بالله عليك، بأي طريقة نستطيع أن نكون مصححين لصورة العرب في أفريقيا وفي أي مكان نستطيع أن نقوم بذلك؟ في المساجد أم في المدارس الإسلامية المتواضعة، فمن سوف يسمعنا؟ ومع ذلك فإن العرب محظوظون جدًا في أفريقيا لأن المسلمين في بلادنا لا يكرهون العرب أبدًا بالعكس يحبون العرب من كل قلوبهم ويكنون لهم كل الاحترام، ولو كان العرب مخلصين لهم لكسبوا أفريقيا كلها».. انتهى كلام الطالبين. والإجابة هنا غير متوقعة أيضًا.

المتوقع الخامس

وهو أن يكون أبناء مسلمي أفريقيا الذين تعلموا في العالم العربي أكثر الدعاة إلى تضامن أفريقيا مع العرب لبناء كيان أفريقي عربي موحد باسم "دول أفروريبيا المتحدة" كقوة عالمية جديدة تكون سببًا في استقرار العالم وفي تقدم أفريقيا .. الخ.

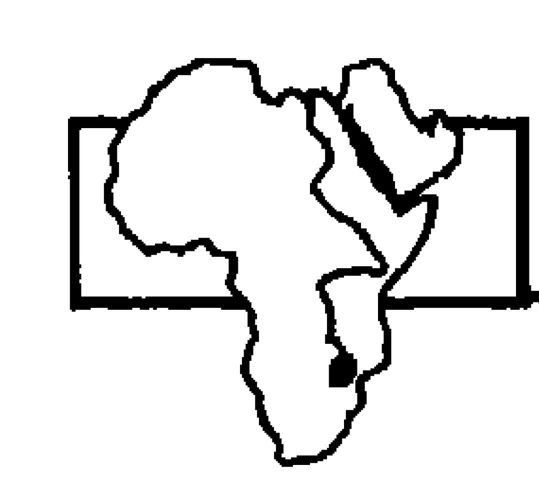
لقد كانت هناك ردود وإجابات متباينة رأى ٧٠٪ ممن شملتهم المناقشات

=

عليها كآخر إمبراطوريات الأفريقية العظمى في القرن السادس عشر انظر:

١) المؤرخ الهندي الكبير مادهو بانيكا *Panica* الوثنية والإسلام: تاريخ الإمبراطوريات الزنجية في غرب أفريقيا، كتاب مترجم (كلكوتا، دار نشر الهندية، ١٩٦٣م).

٢) المارمول كربخال: أفريقيا الجزء الأول، ترجمة محمد صبحي وغيره (رباط، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ١٩٨٤م). هذه الكتب متوفرة بمكتبة معهد البحوث والدراسات الأفريقية، جامعة القاهرة.

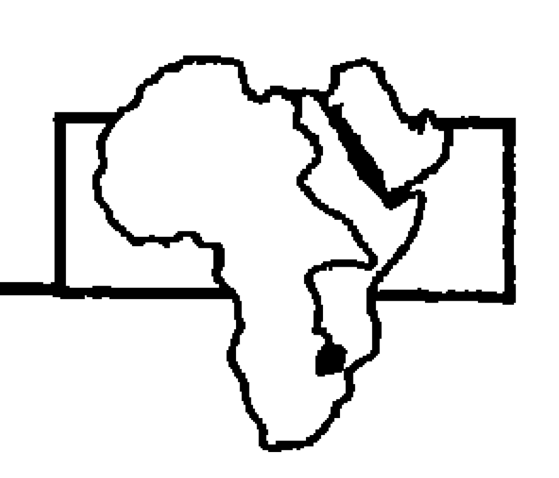


استحالة حدوث ذلك، ولكنهم أرجعوا العلة والسبب إلى العرب، انظر نموذج الإجابة لأحدهم؛ يقول:

«مستحيل أن يتضامن العرب مع الأفارقة في وحدة، فبالنسبة للأفارقة يمكن إقناعهم أن يتضامنوا مع العرب في وحدة مستقبلية، ولكنه مستحيل بالنسبة للعرب، فالمشكلة في هذا لن يكون الأفارقة، بل العرب، فهم أنانيون ويحبون أنفسهم أكثر من اللازم، إذا كان الأمر يتعلق بالأفارقة فالعربي لا يمكن أن يتنازل عن عليائه ويترل إلى المستوى الأفريقي، لأن العرب ينظرون إلى الأفارقة نظرة دونية، على أساس أن الأفارقة لا يعلمون. واستطرد قائلاً:

فأي عربي عندما يقابل أفريقي لا ينظر إليه على أنه يعرف شيئًا، بل ينظر إليه للوهلة الأولى بأنه جاهل لا يعرف شيئًا، لا عقل له، إلا إذا اتضح له العكس، فيعرف أن هذا الأفريقي عالم في مجال ما فتحدث له مفاجأة وحكا لي حكايته:

«أن مجموعة من الشباب الجامعي المصري أخذوا يستهزئون به في مترو الأنفاق لسواد بشرته ظنًا منهم أنه لا يفهم اللغة العربية عندما تظاهر بذلك، فتركهم يتمادون في استهزائهم به فكل واحد أخذ يقول فيه ما يريد فيضحك الجميع، ثم فاجأهم بالتكلم بالعامية المصرية، ثم أتْبع باللغة العربية الفصحى وتحداهم أن يتكلموا باللغة العربية الفصحى مثله، وهي لغتهم الأصلية ففشلوا، وتحداهم بقراءة القرآن بالتجويد، وتحداهم أن يتكلموا معه باللغة الإنجليزية ففشلوا وبالفرنسية ففشلوا جميعًا، وبعد ذلك قال لهم: لا يغرنكم لون بشرتي، فهي لا يعني جهلاً أو نقص عقل إنما هو خلق الله، وإنما الإنسان الذي أكرمه الله، فها أنا ذا أثبت لكم أن اللون لا يعني شيئًا، وها أنا ذا غلبتكم وأنتم بيض



اللون».

والحكاية أطول من ذلك، فقال الشباب: أنهم لم يقصدوا إهانته، فقال: هل أذكر كل واحد منكم بما قال عني؟: وتابع قائلاً: إن مثل هذه المواقف كثيرة. تمشي في حالك وفجأة تجد الأطفال يقولون لك: «يا أسود» وفي البلاد العربية الأخرى يقولون «يا عبد» وأما الكبار فيقفون مكتوفي الأيدي ولا يتحرك أحد منهم لتوبيخ الأطفال أو يمنعهم، وقال: ومرة كنت مارًا في إحدى الشوارع في القاهرة فلمحت أحد الكبار يحرض طفلاً صغيرًا على الاستهزاء بي، فلما وصلت بمحاذاتهما فإذا بالطفل يقول: «يا أسود» فابتسم الرجل، فلم أتمالك نفسي إلا وذهبت إليه أكيل له اللكمات ما استطعت فتجمع علينا الناس، فحكيت لهم الحكاية فأخذوا يلومون الرجل ويوبخونه، ولكن مثل هذه الحوادث لا تنتهي أبدًا.

فإذا كان الصغار يقولون ذلك فهم معذورون لأنهم لم يتربوا على احترام الإنسان الأسود، ولكن ماذا تقول عندما نجد شابًا كبيرًا أو شيخًا كبيرًا(*) يستهزئ بالإنسان الأفريقي لسواد لونه؟

وكأن الكبار رضوا بما يفعل بنا الصغار، فبهذه النظرة ينظرون بها إلى

(*) لقد أكد أكثر من ٩٠٪ ممن شملهم هذا البحث على أنهم تعرضوا طوال إقامتهم في البلاد العربية لكثير من استهزاء الأطفال والكبار بهم في كل مكان تشمي في حالك وتجد أطفال المدارس والشوارع من مختلف الأعمار يقولون لك يا أسود، أو يا سوداني، وكلمات أخرى مثل "هنغ بنغ" كلمات أخرى غير مفهومة وكل ذلك على مرأى ومسمع من الكبار دون أن ينكروا على الأطفال ذلك أو يمنعوهم الأمر الذي يدل على عدم وجود عنصر تربوي لاحترام الأفريقي بشخصيته في البلاد العربية إلا قليلا.

عموم السود، فكيف يمكن للعرب أن يفكروا في التوحد مع الأفارقة السود؟». انتهى كلام الطالب.

وأجاب طالب آخر فقال: «مستحيل أن يفكر العرب في التوحد مع الأفارقة، فهم يعتبرون أنفسهم أفضل من الأفارقة السود بكثير وفي كل شيء، فهم يرون أنفسهم الأكثر علمًا وثقافة وعقلاً، وحتى في مجال الرياضة التي اعترف العالم بتفوق الأفارقة فيها، وملئوا الدنيا لعبًا وفنًا، إلا العرب الوحيدون الذين لا يرون ذلك، فهم يرون أنفسهم الأكثر مهارة وفنًا في كرة القدم وفي جميع الرياضات من الأفارقة السود، وأن لهم التفوق في كل شيء على الإنسان الأفريقي(**)، ويجدون صعوبة بالغة في الاعتراف بأن الأفريقي الأسود لديه مهارة رغم التفوق الأفريقي الكثير على الفرق القومية العربية في كؤوس العالم والأولمبياد، إلا أن العرب يرجعون كل هذا إلى التفوق في القوة البدنية واللياقة فقط، ولكن ليس لديهم مهارات فالمهارات والحرفنة للاعبي العرب فقط، فإذا حدث وفازت أي دولة عربية بكأس من الكئوس الأفريقية يتحول هذا الكاس إلى كأس عربي فقط، وتجد برامج التلفاز تنهئ العرب بعضهم البعض مع التمنيات أن يكون الفوز دائمًا للدول العربية فقط دون بقية الدولة الأفريقية.

(**) والملاحظ في شوارع المدن العربية: عندما يتغلب أي دولة عربية على أي دولة أفريقية في أي مباراة كرة القدم يقع الاستهزاء على أي أفريقي يمشي في الشارع حيث يقولون للأفارقة: غلبناكم أو هزمناكم، وهذا يشمل الكبار والصغار على السواء، بينما لا يحدث هذا في شوارع الدول الأفريقية إذا تغلبت أي دولة أفريقية على أي دولة عربية، ومن المستحيل أن تجد أفريقيًا واحدًا يقول للعربي إذا قابله في الشارع: غلبناكم أو هزمناكم، نحن الأفارقة (وكلنا مواطنون في القارة) نريد أن تختفي هذه العادة السيئة من الشارع العربي ضد الإنسان الأفريقي؛ من أجل الوحدة الإفريقية التي تجمع العرب والأفارقة، ومن أجل الاحترام المتبادل.



فكل ما في صدورهم يظهر في تعليقاقم للمباراة التي تجمع بين الفرق العربية والفرق الأفريقية، تجد المعلق يمتدح لاعبًا عربيًا حتى لو أتى بحركة عادية جدًا يمتدحه في مهارته، وأما اللاعب الأفريقي مهما أتى بحركة مهارية فائقة تجده يسكت ولا يتكلم، بل يدخل في تعليقات بعيدة عن اللعب، ويدخل في الكلام عن العنف الأفريقي في اللعب وأهم يفوزون بسبب هذا العنف، وعن الجو الأفريقي وقلة الأكسجين بها والحرارة القاتلة، ويأخذ يصبر اللاعب العربي ويقول له: «معليهش» واستأنف قائلاً:

وليس هذا فحسب فعندما يتكلمون عن أفريقيا في البرامج التليفزيونية لم أسمع ولو مرة إنصافًا لأفريقيا أبدًا، ولا يتكلمون عن الجانب الإيجابي لأفريقيا أبدًا، بل يتكلمون عن التخلف الكلي في أفريقيا، عن المجاعات والأمراض وعن كل المصائب مثل الحروب الأهلية حتى ليخيل لك أن كل الدول الأفريقية السوداء فيها مجاعة، وأن كل دولة أفريقية جنوب الصحراء فيها حروب أهلية بلا استثناء حتى أهم لا يعتبرون أنفسهم أفارقة على الإطلاق، ولا يهتمون بشئون أفريقيا كثيرًا، وطوال إقامتي في مصر مدة ١٩ سنة لم أجد نشرة جوية عن طقس دول أفريقيا في جنوب الصحراء، وكنت مشتاقًا إلى معرفة طقس بلدي، ولكن للأسف...

وسألني الطالب: هل وجدت نشرة جوية في مصر عن حالة طقس بلدك - غانا- ولو مرة واحدة طوال إقامتك في مصر، فقلت له: لا، فقال: إن التلفاز المصري يهتم بنشر حالات الطقس في العالم العربي وآسيا وأوروبا وأمريكا ويتجاهل تمامًا ذكر طقس دول جنوب الصحراء الأفريقية».

وتساءل الطالب قائلاً: «فهل في ظل سيادة هذه المساوئ والمصائب والأمراض الفتاكة والحروب الأهلية والمجاعات الأفريقية ودرجات الحرارة

القاتلة، وقلة الأكسجين في الذهن العربي يفكر في التضامن مع أفريقيا في وحدة مستقبلية؟ ثم تساءل بالله عليكم كم مرة سمعتم العرب يتكلمون عن الاتحاد الأفريقي في كل المحطات التليفزيونية والإذاعية؟ فالاتحاد الأفريقي يعد من أحد الجوانب البراقة المضيئة التي تحسب لأفريقيا، ولكن الكثير من لا يذكرونه لشعوبهم رغم الفوائد الكبيرة التي يمكن أن يصيب الشعوب العربية من هذا الاتحاد عندما يتضامن العرب مع الأفارقة بكل إخلاص، أتعتقد أن العرب يمكنهم التوحد مع الأفارقة في بوتقة عملية سياسية وثقافية وعلمية وهم ينظرون إلى الأفارقة بهذه النظرة؟.

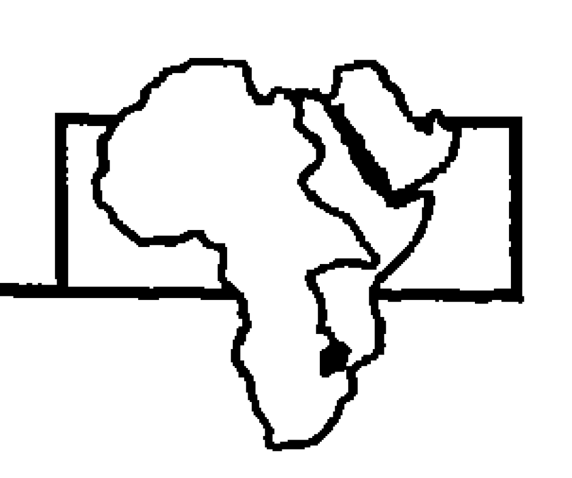
فسألته: وهل تعتقد أن الأفارقة يمكنهم التوحد مع العرب؟

فقال: «إن من الأفارقة من كان يرفض لاتجاه نحو التعاون والتوحد مع العرب ولكنهم أصبحوا أقلية جدًا ولم يعد لصوتهم أي صدى، والأفارقة أكثر تقبلاً للعرب من تقبل العرب للأفارقة». انتهى كلام الطالب.



الفصل السادس
العرب في قلوب مسلمي أفريقيا

* المتوقع السادس.
* المتغير الشعبي.
* الباحث: وحكايته مع المهندس أحمد علي كمال "الداعية المجهول".
* جوانبه الفكرية والدينية والإنسانية.
* فكرته التربوية والتعليمية لأبناء العالم الإسلامي.
* رؤيته في وجوب توحيد جهود الدعوة.



العرب في قلوب مسلمي أفريقيا

المتوقع السادس:

نستكمل مناقشة المتوقع السادس في هذا الفصل، وهو أن يكون أبناء مسلمي أفريقيا الدارسين والمتخرجين من الجامعات الإسلامية والعربية أكثر المحبين للعرب، ولئن كانت إجابات الطلاب المشتركين متوقعة إلى حد ما ولكن مشوشة بعض الشيء.

ونستعرض بعض الإجابات:

يقول أحد الطلاب في إجابته لهذا السؤال - وهو من إحدى الدول الأفريقية التي تصل نسبة المسلمين بها إلى ٩٧٪: «إن حب العرب يجري في عروق مسلمي أفريقيا(*)، فأنا أحب العرب بحبي للإسلام وحبي للنبي ﷺ وإن كان لي مآخذ على العرب، فأحيانًا ما أغضب منهم؛ لأنهم لم يقدروا حبنا لهم أبدًا، لذلك يعاملوننا كأننا لسنا مسلمين ولا يحترموننا، بل أراهم يحبون الآسيويين والأوروبيين ويحترمونهم أكثر مما يحبون الأفارقة ويحترمونهم، وهذا شيء مؤلم جدًا، فالعرب يتركون الذين يحبون بإخلاص ويحترمونهم ويذهبون إلى من لا يكترس بهم بهذا القدر ويوجهون لهم الإهانات أحيانًا» انتهى كلام الطالب.

ويقول طالب آخر - في جمع من الطلبة: «من منا لم يحب العرب ونحن في بلادنا، حتى كان الذهاب إلى البلاد العربية للتعليم من فرط الحب للعرب حلم يراود كل شاب أفريقي مسلم، ولن يرتاح حتى يسافر إلى البلاد العربية

(*) لقد بلغ حب العرب لبعض مسلمي أفريقيا أن يشجعوا فرق كرة القدم العربية ضد فرق بلادهم عندما تلتقيان في مباراة رسمية على مستوى الأندية أو القومية.

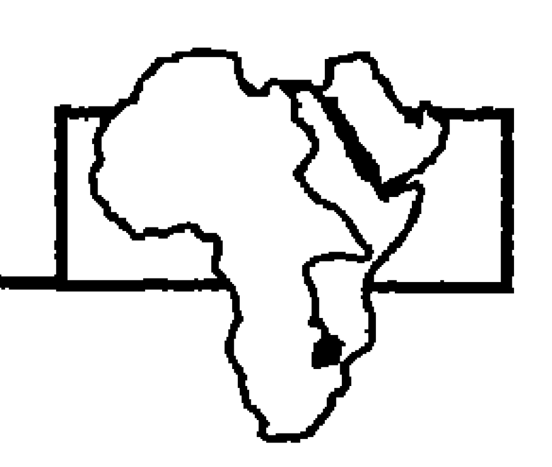
للتعليم، والذين لم تتح لهم هذه الفرصة يظلون ينظرون إلى أقرانهم الذين سافروا بأنهم محظوظون جدًا، وأنا كنت أحب العرب جدًا لحبي لرسول الله ﷺ وحبي للإسلام وكنت افتخر في بلدي بأنني أتحدث باللغة العربية بلسان عربي مبين، ولكني أصبت بصدمة عنيفة جدًا عندما أتيت إلى البلاد العربية، فاكتشفت أنهم لا يحترمون من يتكلم باللغة العربية السليمة، وأنهم يحترمون من يتكلم بالفرنسية أو بالإنجليزية أكثر ممن يتكلم بلغتهم! وسرد لي حكاية، أنه سافر إلى السعودية لأداء العمرة، وكان له حاجة بجامعة أم القرى بمكة المكرمة، تقتضي مقابلة مدير كلية التربية، فذهب إليها بعد أداء العمرة، وسلم على أعضاء مكتب المدير وتكلم معهم باللغة العربية الفصحى في شأن طلبه مقابلة مدير الكلية، فلم يلق اهتمامًا منهم، فانتظر ساعات فسألوه ماذا يريد فأخبرهم، ولكن لم يسمحوا له بالدخول عند المدير، وفي اليوم التالي ذهب ولم ينطق بكلمة واحدة بالعربية بل تكلم بالفرنسية والإنجليزية فلقي اهتمامًا وحفاوة، ولم يمض نصف ساعة حتى سمحوا له بالدخول على المدير، قال: «فحزنت حزنًا شديدًا على اللغة العربية اللغة التي لا تحترم عند أهلها». انتهى كلام الطالب.

خلاصة المتوقع السادس:

من منا لم يحب العرب والبلاد العربية؟ سؤال طرحه طالب على جموع من أبناء مسلمي أفريقيا في مصر(*)، إن حب مسلمي أفريقيا للعرب، لا يخفى على

(*) أي باحث يمكنه التأكد من هذا إذا قام بدراسة ميدانية جادة في المجتمعات الأفريقية الإسلامية للوقوف على حقيقة هذا الحب، إن المحك الحقيقي هو ما يعبره مسلمو أفريقيا عن هذا الحب، وليس ما كتب في الكتب والصحف ولو أنها مهم جدًا لكن الدراسات الميدانية تكون حاسمة.

=



الدارسين لتاريخ المسلمين في أفريقيا، ويذكر المؤرخون مدى حب مسلمي أفريقيا للعرب(*) في حبهم للنبي ﷺ وحبهم للإسلام، ولكن للأسف لم يطرح العرب هذا الموضوع للدراسة أيضًا.

فما ذكرته هنا مما جاء على ألسنة الطلاب المسلمين الأفارقة في العالم العربي، مجرد عينة منتقاة ولا تشمل جميع إجاباتهم، وكما ذكرت سابقًا أن هذا الكتاب ليس موضوعه قياس هذه العواطف، والاتجاهات وإنما موضوعه تاريخ الروابط بين الأفارقة والعرب من أجل وحدة مستقبلهما، وأن ما سبق مجرد تمهيد لهذه الغاية. والتنبيه إلى أن مجرد الثوابت التي وجدت بين العرب والأفارقة لا تكفي أبدًا لإعادة تلك الروابط مستقبلاً إلى مستوى الوحدة والتكامل.

=

وللمعلومات عن هذا الموضوع انظر:

1) *J.S Trimingham. The influence of Islam upon Africa. Ibid.*
2) *Samir. M. Zoghby. Islam in Sub-saharan Africa- Library of congress Washington. DC. 1978.*
3) *J.S. Trimingham. A History of Islam in West Africa. (London. Oxford, Uni. Press 1962).*
4) *J.S. Trimingham. The phases of Islam Eapansion and Islam Culture Zones in Africa. in I.M. Lewis. Islam in Tropical Africa. Bloominglon and London: International Africa institute & Judiowa Uni. Press, 1980.*

(*) ربما يلاحظ القارئ أنني أكثرت ذكر مراجع عن *Spenser Tnimgham* ذلك أنه أكثر الباحثين ولوجا في نفوس الشعوب المسلمة في أفريقيا جنوب الصحراء وأكثر تناولاً لجميع جوانب حياتهم الاجتماعية والثقافية والروحية والاقتصادية والتحولات النفسية والثقافية لمسلمي أفريقيا في عصر تحولات في العصر الحديث .. الخ. لأنه عاش في دول جنوب الصحراء عشرات السنين وكانت دراساته بالدراسة الميدانية ومعبرة.

وأفريقيا تسعى اليوم إلى بناء كيان تكاملي في الاتحاد الأفريقي، وأن هناك متغيرات لها خطورتها البالغة فهي التي يمكن أن تجعل تلك الروابط ذات قيمة حضارية فتقويها وتوصل الجسور بينهما بشكل متين، وهي أيضًا كفيلة بجعل هذه الثوابت غير ذات قيمة فتضعفها وتجعل العلاقة بين العرب والأفارقة مشوهة ومن الضآلة والضعف ما لا يحمد عقباه، وبالتالي ضعف الأمتين ليعصف بهما الغرب كما يريد.

فكما ذكرت أيضًا، أن إجابات هؤلاء الطلاب كان يحكمها أمران لهما خطورتهما:

الأمر الأول: رد فعل الطالب من ظروف ومواقف مر بها أثناء فترة دراسته بالبلاد العربية من نوعية المعاملة التي تلقاها من العرب سواء من الجهات الرسمية أو الشعبية.

الأمر الثاني: عدم المعرفة بتاريخ الروابط بين الأفارقة والعرب جيدًا.

وهما من أهم المتغيرات التي أثرت على إجاباتهم، ولكن كان هناك جانب مهم ومضيء جدًا يجب الإشارة إليه قبل طي صفحات هذا الموضوع، وهو المتغير الشعبي.

المتغير الشعبي: لقد كان لهذا المتغير الأثر الإيجابي العميق الذي فشلت في تحقيقه المؤسسات العربية الرسمية مثل الجامعات والمنظمات الإسلامية والعربية فبينما فشلت هذه المؤسسات في توفير العوامل النفسية والعاطفية والانتمائية لأبناء مسلمي أفريقيا الذين أحضرتهم للتعليم بها، فإن المتغير الشعبي نجح في تحقيق ما عجزت عن تحقيقه المؤسسات الرسمية وشبه الرسمية الأمر الذي يؤكد أن الحركات الشعبية الأفريقية العربية هي الدعامة الأولى للوحدة السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية. وهذا المتغير الذي لم يحظ باهتمام كل من

الأفارقة والعرب رغم أهميته وخطورته.

وبعد الخروج بنتائج أكثر سلبية وقتامة من النواحي الرسمية في الروابط العربية والأفريقية، اتجهت بسؤال نحو المتغير الشعبي والذي يقيس الجانب الإيجابي حيث سألت أبناء مسلمي أفريقيا في العالم العربي، عما إذا كان للأسر المصرية والسعودية وبعض دول الخليج والأفراد أي أثر إيجابي في حياتهم الأكاديمية والنفسية والعاطفية .. الخ. أثناء فترة إقامتهم في البلاد العربية للتعليم أم لا؟

وكانت النتائج في هذا المتغير مذهلة جدًا، إذ أجاب أكثر من ٣٠% ممن شملهم السؤال، بأن من أهم أسباب نجاحهم في حياتهم الأكاديمية وبقاء رصيد الحب والاحترام للعرب في نفوسهم وقلوبهم، وكذلك سلامة النفس يرجع إلى المعاملة الحسنة والمساعدة والرعاية التي لاقوها من بعض الأسر المصرية، وكذلك من بعض الشخصيات من دول الخليج، ما بين المساعدات المادية والرعاية الصحية والاحترام الفائق لهم.

بينما ذكر حوالي ٢٠% من أن بعض الأسر المصرية وكذلك بعض الناس في دول الخليج عاملوهم معاملة سيئة للغاية لدرجة الشتائم المباشرة ونظرة احتقار، ويصفوهم بالبهائم ووصمهم بالعبودية.

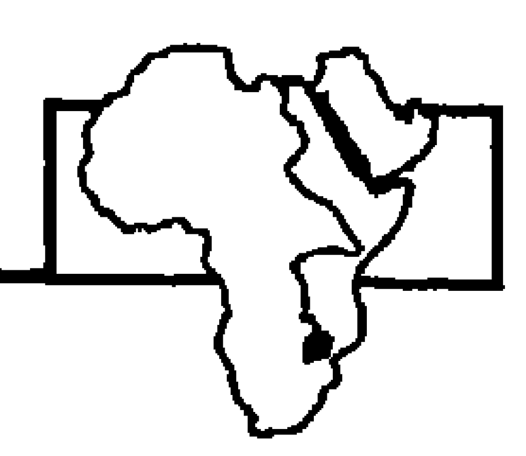
وفيما يلي استعراض حكايات بعض الطلبة مع الأسر العربية:

١- يقول أحد الطلاب: «أتيت إلى مصر للتعليم بدون منحة دراسية والتحقت بالدراسات الخاصة بالأزهر حيث قضيت سنة كاملة، وبعد أدائي امتحان تحديد المستوى ألحقني الأزهر بالسنة الأولى الإعدادية بمعهد البعوث الإسلامية، فتقدمت لطلب المنحة الدراسية الأزهرية، ومرت أكثر من ثلاث سنوات دون أن أحصل عليها، و لم أكن أعرف ماذا أفعل، ولقد عانيت كثيرًا في

هذه السنوات الثلاث العجاف، وخلالها تعرفت على أسرة مصرية، كانت هذه الأسرة عندما علمت بحالي (نعم الأسرة) شملتني برعايتها، ووفرت لي حاجاتي المادية وحاجاتي النفسية من خلال المعاملة الحسنة والاحترام لذاتي، فتعلمت من السنة الثالثة الإعدادية الأزهرية، سنة في الإعدادية وأربع سنوات في الثانوية الأزهري وأربع سنوات في الجامعة، دون رسوب لأنني بعدما تعرفت على هذه الأسرة لم أرسب قط، بينما رسبت قبل ذلك مرتين في الإعدادية الأزهرية نتيجة لفقري الشديد». وقال أيضًا: «إن أسرة أخرى غير هذه الأسرة ساهمت في نجاحه الدراسي والاتزان النفسي له وأنه لن ينسى هاتين الأسرتين وسيوصي بهما أولاده وأحفاده إن شاء الله». انتهى كلام الطالب.

٢- وقال طالب آخر: «كنت مقيدًا على منحة أزهرية حين وصلت إلى مصر حيث ألحقني الأزهر بالسنة الأولى من الثانوية الأزهرية، ولكني مكثت أكثر من عشر سنوات متتالية لم أجد أي فرصة لزيارة أهلي في بلدي طوال هذه السنوات، فحاولت الحصول على تذكرة السفر من الأزهر لزيارة أهلي ولو بتذكرة شهر واحد فقط، فرفض الأزهر، وقيل لي في إدارة الأزهر أن الأزهر لا يعطي تذكرة لزيارة الأهل، وقال له الموظف: ليس لك شيء من الأزهر إلا تذكرة واحدة فقط وهي تذكرة العودة إلى بلدك حيًا أو ميتًا، فسألته ماذا يعني بالعودة حيًا أو ميتًا فقال: أعني لو مكثت هنا عشرين سنة فلن يمنحك الأزهر تذكرة لزيارة أهلك في بلدك إلا تذكرة العودة النهائية عندما تقرر العودة النهائية سواء تخرجت أم لم تتخرج، أو مت فلك تذكرة لنقل جستك إلى بلدك.

وفي العام وفي العام التالي اضطررت أن أكتب أمري إلى بعض الشيوخ في المملكة العربية السعودية كما نصحني بعض الإخوة الزملاء، وكنت حينئذ في



السنة الثالثة في كليتي، وكانت نفسيتي سيئة للغاية من جراء عدم رؤية أمي وأبي وأهلي أكثر من اثنتى عشرة سنة، ولقد رسبت مرارًا نتيجة لذلك: ولقد جاء الرد على رسالتي إيجابيًا، إذ بعث إلي هذا الشيخ من السعودية بتذكرة السفر إلى بلدي ذهابًا وعودة من وإلى القاهرة، ومع التذكرة شيكًا بمبلغ ٥٠٠ دولار أمريكي مع رسالة منه يقول فيه: اشتر بعض الهدايا لأهلك، وطلب مني الشيخ أن أبلغه فور عودتي من بلدي إلى الأزهر.

فلما عدت إلى مصر بعد زيارة لأهلي وبلدي ومكثت بها ٤ أشهر كتبت للشيخ كما طلب مني، فوصلتني منه رسالة يطلب مني فيها التوجه إلى أسرة مصرية في القاهرة لتسلم مساعدة شهرية قدرها ١٠٠ جنيه مصري، ولقد ظلت هذه المساعدة معي إلى أن تخرجت واستمرت لستة أشهر أخرى، حتى كتبت وأبلغته بتخرجي، فكتب إلي هذا الشيخ يهنئني بتخرجي، وسألني ما إذا كنت أرغب في أداء العمرة قبل عودتي إلى الوطن أم لا؟ وإذا رغبت، فلأبلغ الأسرة المصرية وأسلم لها جواز سفري فسوف تقوم بالإجراءات اللازمة، ففعلت فقامت هذه الأسرة مشكورة لها بكل الإجراءات وسلمتني الجواز وتذكرة فسافرت جوًا على متن الطيران السعودي، فلأول مرة أرى هذا الشيخ الوقور الذي كان يساعدني بهذا الشكل و لم يرني قط إلا هذه المرة الذي استضافني في منزله في مدة العمرة. وجزاه الله عني وعن أهلي وبلدي خير الجزاء.

ولك أن تتصور أيها القارئ الأثر النفسي والعاطفي الطيب الذي تركته الأسر المصرية والسعودية في نفس هذين الطالبين كما رأينا في قصتهما الواقعية لدرجة أنهما يقولان أنهما سوف يحكيان قصتيهما لأولادهما وأحفادهما ولن ينسيا هذه المعاملة الحسنة أبدًا.

هذا وتوجد إجابات كثيرة ممن كان للأسر والشخصيات العربية عميق

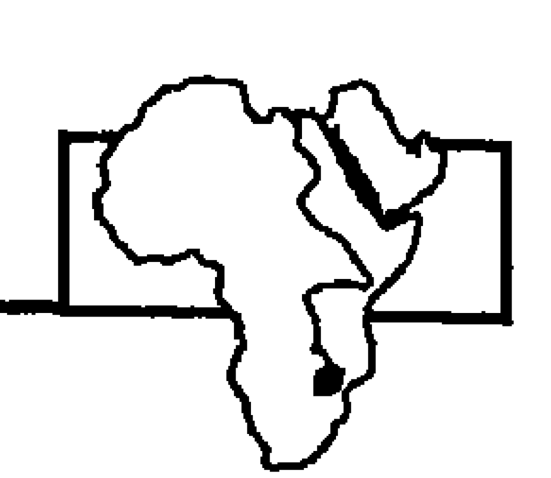
الأثر الإيجابي في حياقم أثناء فترة دراستهم في مصر وفي دول الخليج، لا يتسع المجال هنا لذكرها جميعًا، وتحتاج إلى دراسة مستقلة، وأما أنا مؤلف هذا الكتاب فحكايتي الإيجابية الطيبة الحسنة مع الأسر المصرية تحتاج إلى مجلدات، فما تلقيت منها من رعاية ومساعدات ومعاملة حسنة طيبة تفوق الوصف، لا أملك إلا الدعاء لهم ولأولادهم وأحفادهم وأحفاد أحفاد أحفادهم إن شاء الله.

ولكني انتهز هذه المناسبة المواتية كي أقدم للقارئ نموذجًا فريدًا لشخصية مصرية كرس نفسه لخدمة أبناء مسلمي العالم وليس لأبناء مسلمي أفريقيا وحدهم فحسب، وكان يعمل في صمت دون دعاية في رعاية فتية المسلمين والتخفيف عنهم من غربتهم وحل مشكلاقم المادية بما تيسر له فهي شخصية ينبغي أن يعرف الناس عنها حتى بعد وفاته، رحمه الله.

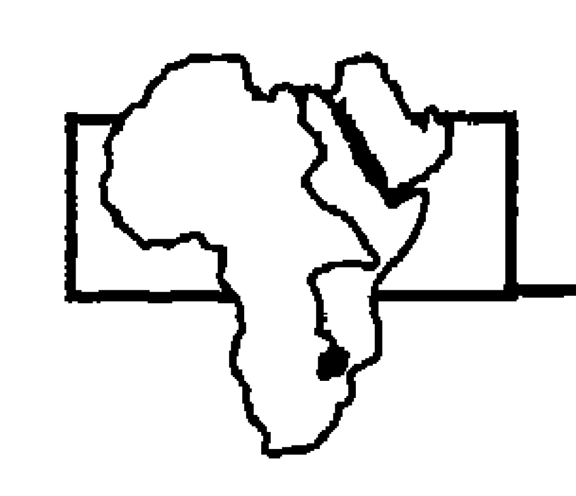
ففي ذكرى وفاته السنوية الأولى نظمت الجمعية الخيرية الإسلامية المصرية احتفالية خاصة لهذه الذكرى حضر الاحتفالية عددٌ من الوزراء المصريين السابقين وبعض الوزراء الحاليين وحضرها شخصيات إسلامية قالوا عنه الكثير والكثير وضحت خلالها إيجابيات لا محدودة عنه وكانت احتفالية ذكراه السنوية الأولى في ٢ صفر ١٤٢٢هـ الموافق ٢٧ إبريل ٢٠٠١.

وقد أكرمتني أسرته التي تربطني بها علاقة خاصة زهاء ١٢ عامًا أن أقول شيئًا في الاحتفالية، فإني أقدم للقارئ ما قدمت في هذه الاحتفالية أمام السادة الضيوف من الوزراء والشخصيات الإسلامية البارزة وعلماء الأزهر .. الخ.

سبب نشري هذا المقال في هذا الكتاب ليس ما قدم سيادته وأسرته لي من رعاية أنا وأولادي لكن بسبب أفكار سيادته (رحمه الله) من خير لمستقبل أبناء العالم الإسلامي بكل معنى الكلمة ولصالح أعمال الدعوة وتضامن الشعوب



الإسلامية وتعزيز مكانة مصر في قلوب مسلمي العالم، وكيف تعامل أبناء العالم الإسلامي وأيضًا لا تنس أيها القارئ أننا نسجل هنا مواقف إيجابية بين العرب والأفارقة والتي من شأنه تحقيق التلاحم الشعبي الأفريقي العربي وتنمية الحس الانتمائي إلى بعضهما البعض.



وفيما يلي نص المقال الذي ألقيته بهذه المناسبة:

المهندس/ أحمد علي كمال "الداعية المجهول": رحمه الله

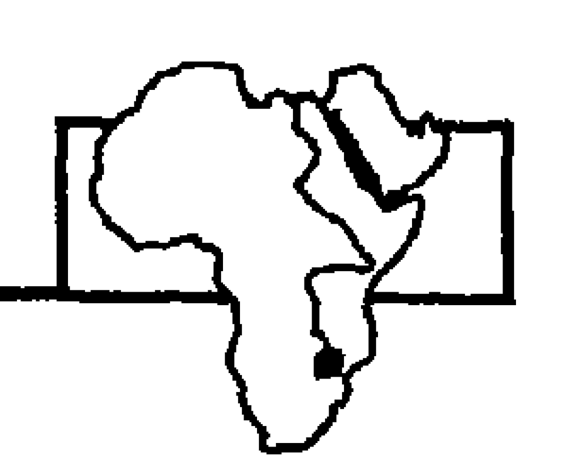
جوانبه الفكرية والخلقية والدينية

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على الرسول الكريم، أما بعد وقبل أن أقول شيئًا عن الأحمد المهندس: أحمد علي كمال. الداعية المجهول، أود ان أرفع شكري وتقديري للسيد الأستاذ الدكتور محمد شوقي الفنجري، رئيس مجلس إدارة الجمعية لسماحه لي بالوقوف على هذا المنبر الموقر كي ألقي كلمة عن صاحب هذه الاحتفالية.

وكذلك أرفع أسمى آيات الشكر، باسمي وباسم طلاب مسلمي أفريقيا الدارسين في هذه الديار إلى رئيس الجمهورية، الرئيس الحكيم/ محمد حسني مبارك وإلى السادة الكرام، الأساتذة والوزراء وإلى جميع أفراد عائلة فقيدنا الغالي وإلى الشعب المصري العظيم الذي نعتز به والذي سمح لنا بالإقامة في دياره، كي ننهل ما شاء الله أن ننهل من المعارف والعلوم ونعود إلى قومنا منذرين ومبشرين.

فجزاهم الله عنا وعن مسلمي أفريقيا خير الجزاء، أعز الله بهم وبأولادهم وأحفادهم الإسلام والمسلمين في كل مكان لأنهم في رباط إلى يوم القيامة.

أما الأحمد: "أحمد علي كمال" قد بدا لنا جليًا، أنه إنسان فريد في شخصيته، وأنه ذو جوانب إيجابية كثيرة اجتمعت فيه خصال خير لا تحصى كما استمعنا جميعًا من السادة الوزراء والأساتذة، إيجابية للوطن إيجابية للإسلام إيجابية للإنسانية، لو أفسحنا المجال كي يقول كل من عاشره شيئًا عنه، لامتدت بنا الاحتفالية حتى مطلع الفجر، ولقال عنه كل من يقف على هذا المنبر من خصال الخير ما لم يطلع عليه صاحبه.



وإني رغم قصر عهدي بسيادته ١٢ سنة عاشرته فيها، لمست فيه من الخصال الطيبة، ومن المحاسن العطرة، وقد أعطتني هذه العشرة والملازمة شجاعة أن أزعم أنني عرفت فيه جوانب الخير المتميزة لم يعرفها أحد غيري، تمنيت أن يعرف الناس ما عرفت فيه من محاسن، في بادئ الأمر فكرت أن أضع كتيبًا عنه أو أشير إلى أفكاره وخلقه في مؤلف أؤلفه، وقد وفقني الله بالثانية، فقد ضممت بعضًا من أفكاره عن قضايا المسلمين في أفريقيا في مؤلف لي أنجزته وجار طبعه، وها أنذا أقف بين أيديكم كي أسهم بشيء في احتفالية تخليد ذكراه.

أيها السادة رغم أنني لم أك يومًا من الشعراء، ولم أقل شعرًا نظمته بنفسي في حياتي قط، إلا أنني لما طلب مني إعداد شيء أقوله بهذه المناسبة، وجدتني أحاول تنظيم شعر عن هذا الإنسان الداعية المجهول الصامت.

لقد خرجت من محاولاتي بعشر أبيات فقط لخصت بها رؤيتي فيه، فأرجوا العفو من أساتذتي، إذا لم ترق إلى مستوى الشعر العربي، فقد جاء عن أحمد علي كمال على اسمه كما يلي:-

إن الأحمد الذي علا ... كان الكمال له عملا

وإني لأحسبه ممن نجا ... وإلى الجنة يخطو ساريا

أليست شهادة الناس في ... الأرض شهادة الملائكة في العلا

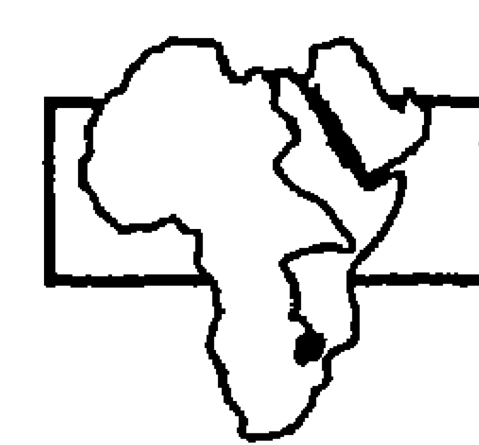
ألم يخلص لله القدير عملا ... وللعباد أخًا وصديقًا مخلصا

إنه مواطن مسلم قد دعا ... إلى سبيل ربه صامتا

كان الصدق والأمانة مبا ... دءه ينسجها مع الحياة عملا

كان الخير حبه يهرع ... إلى طالبه ومناديه ملبيا

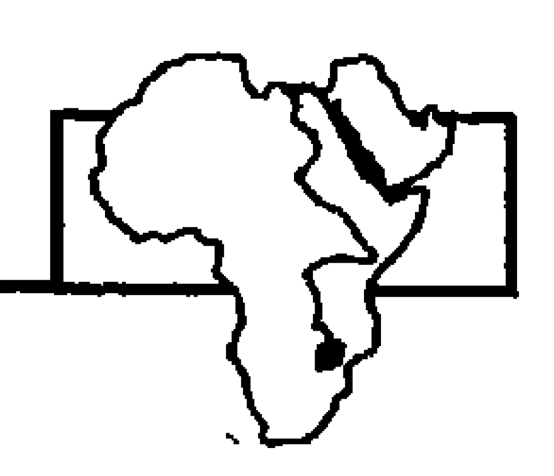
كأنه فارس الخير ذو ... الخيل يمتطيه دائمًا مرابطا



جعـــــل أولاده جنـــــد الله في الخـــير فجعلـــوا بيـــوتهم ثغـــورا
جـــزى الله الأحمـــد وآلـــه عـــن العبـــاد وطـــلاب العلـــم خـــيرا

وإني في هذا المقام، لن أتحدث عن تدينه، وورعه، وتقواه، وغيرته الشديدة على دينه، وحبه الغامر لكتاب الله الذي رغم ضعف بصره يصر على قراءتـــه على الدوام، فلما لمسنا المشقة التي كان يكابدها معاليه في سبيل أن يقرأن سورة من القرآن، قررت أن أخصص يومًا كي أقرأ له ما شاء أن يستمع من القرآن، وكان يغيب عنا أثناء استماعه للقراءة حتى ليتخيل أحدنا أنه شارد، ولكن ما أن نخطئ في حرف واحد حتى ينبهنا إليه، ومن هنا نعلم أنه لم يكن شاردًا إنما كان في رحلة مع آي الذكر الحكيم ومندمجًا مع أحكام تلك الآيات، وكان يشير إلي قائلاً: «يا أخ عبد الله؛ اقرأ ما تيسر لك، وكان يشير أحيانًا، أن اقرأ سورة كذا وبعدها يقول: اقرأ سورة كذا، ولكنه يحب أن تختتم القراءة بسورة الرحمن. لقد كانت أحب سورة إليه». وكان شريكي في هذا العمل الجليل الأخ الأســتاذ/ مصطفى الكردي- ربيبه فهو الذي رباه من الصغر، وأنه الأب الكريم له الذي كفله بالرعاية والحب كما أخبرني الأستاذ/ مصطفى بنفسه، والذي خصص له يوم الجمعة.

ولن أتكلم عن حبه لفعل الخير وسرعة استجابته لكل من يقصده دونمـــا تسويف، أو تأخير وكان ينفق بسخاء على طلاب العلم، وكان يخصص لكـــل طالب معونة شهرية، فضلاً عن المعونات الطارئة لهم لمن يعجز من الطلاب عن شراء الكتب الجامعية المقررة فيشتريها له ولمن عجز عن سداد إيجـــار مـــسكنه فيدفعه له.. الخ. كان يجالس كل طالب ويتحدث معه كأنه قرين ونـــد لـــه في السن والمكانة، وكان يتواضع مع كل طالب، وإني كنت استحيي من تواضـــعه معي.



فإذا علم بطلب تقديم خير، فإن نفسيته الطيبة تنساق إليه كأنها منجذبة إليه، وأورد هنا بعضًا من المواقف تعبر عن هذا.

موقف رقم ١: لقد اصطحبني يومًا في سيارته بقيادة سائقه أحمد إلى لقاء الأمين العام للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية كعادته، وكان يتولى أمانة المجلس في تلك الفترة الأستاذ/ الدكتور محمد الفيومي.

وكان كعادته، يصطحبني بنفسه إلى جميع لقاءاتي مع المسئولين في الأزهر وفي مصر باعتباري عضوًا في عدة جمعيات إسلامية في بلادي بغربي أفريقيا ومستشارًا خاصًا لتلك الجمعيات، وعليه كان يتطلب مني ذلك مقابلة المسئولين في المنظمات والمؤسسات الإسلامية في الوطن العربي، فكلما احتجت إلى مقابلة شيخ الأزهر أو شخصيات مسئولة أخرى فإنه لم يكن يكتفي بإرسالي إليه ببطاقة، بل كان يتصل بالجهة ويحدد موعدًا ثم يصطحبني إليها بنفسه ومعنا سائقه الخاص، لما يرى من أهمية تدعيم تلك الجمعيات الإسلامية في أفريقيا، وأن السعي في حاجة الناس وخدمة الإسلام والمسلمين من العبادات المحببة إلى الله تعالى.

في هذه الواقعة، عندما وصلنا إلى مقر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية صادفنا نفرًا من الطلاب الأفارقة، وما كانوا يجيدون التحدث باللغة العربية وفهمت من كلامهم أنهم من غانا، فقمت بدور المترجم بينهم وبين الأمين العام.

وكانت القضية تدور حول حاجة أحدهم إلى تذكرة السفر إلى ماليزيا، ذلك أنه كان مسيحيًا فأسلم، وقرر أن يحضر إلى مصر للتعليم والعمل معًا حتى يستطيع إعالة أسرته في غانا، ولكن ذلك لم يتحقق له في مصر فنصحه أحد الطلاب يدرس بالجامعة الإسلامية بماليزيا أن هذه الفرصة سوف تتوفر له إن هو

حضر إلى ماليزيا، أي فرصة التعليم والعمل معًا، هذا كان سبب قصدهم المجلس لطلب التذكرة ولكن الأمين العام ذكر لهم عدم وجود مخصصات مالية لمثل هذه الأمور الطارئة.

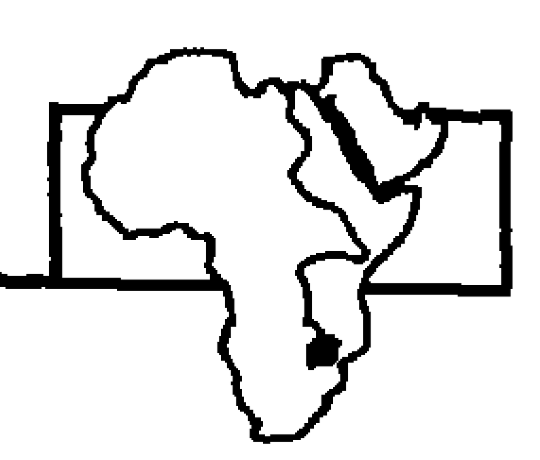
فما أن استمع فارس الخير أحمد علي كمال، إلى ما دار حتى استأذن الأمين العام كي يحقق للطالب أمله في تذكرة توصله إلى مقصده فتم له ذلك فسافر الطالب.

الموقف رقم ٢: كان مع طلبة من الصين، فما إن علم بمشكلتهم حتى تفرغ لحلها رغم انشغاله بعمله الخاص، فلم يكلف أحدًا من الموظفين تحت إمرته، إذ كان لا يزال يشغل منصب رئيس ومدير بنك المهندس.

ذلك أن مجموعة من طلبة صينيين، حضروا إلى مصر للدراسة بالأزهر الشريف على منح رابطة العالم الإسلامي، ولكنهم قضوا أكثر من ستة أشهر ولم تصرف لهم منحهم الشهرية من مكتب الرابطة بالقاهرة، وبالتالي كانوا عاجزين عن سداد أجور سكنهم الأمر الذي أدى إلى طردهم أكثر من مرة من الشقق المفروشة التي كانوا يستأجرونها واحدة تلو أخرى ولقد أخبروني عندما اكتشفتهم أنهم تنقلوا بين أكثر من أربع شقق خلال ثلاثة أشهر، وكانوا خلال هذه الفترة يحاولون أيجاد فرصة السكن في مدينة البعوث الإسلامية دون جدوى وهي مدينة جامعية خاصة بطلبة الأزهر الوافدين، فأصبح حالهم يرثى له.

وكنت قد علمت بحالهم بمحض الصدفة، أثناء إجرائي بحثًا ميدانيًا على طلاب غربا أفريقيا، وكانوا يقيمون مع بعض الطلاب الأفريقيين في شقة واحدة وبعد انتهائي من البحث مع الطلاب الأفارقة، سلمت عليهم وعلمت بحالهم.

وفور تبليغي هذا الأمر لمعاليه بمكتبه الكائن حينئذ ببنك المهندس بشارع رمسيس عام ١٩٨٩م، حتى تغيرت أسارير وجهه واحمرت وقال: «كيف



يحدث هذا في مصر» فإذا به يتصل من فوره بالإمام الأكبر شيخ الأزهر، جاد الحق علي جاد الحق، وأخذ يشرح لفضيلته الحالة ويطلب منه إسكان هؤلاء الطلاب بمدينة البعوث فورًا، وسمعته يقول لشيخ الأزهر: «إنه لأمر يندى له الجبين أن يحدث هذا لأبناء المسلمين في مصر، وهل تركوا أهليهم كي يتعذبوا في بلادنا» وسمعته يقول: «أنا مستعد لتحمل نفقات إقامتهم بالمدينة إذا اقتضى الأمر» وسمعته يسأل شيخ الأزهر هل تحب أن أحضرهم بنفسي؟

يقول شيخ الأزهر: «بل يحضرون إلي وحدهم، فسوف أسكنهم المدينة».

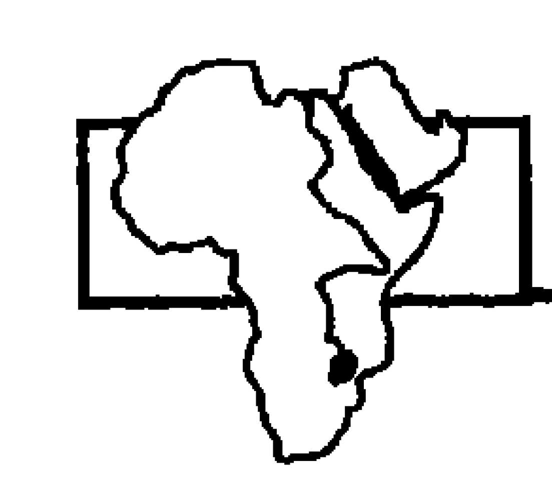
هكذا فهمت من حوارهما بالهاتف.

فكتب لي سيادته توصية إلى مدير مكتب الإمام أن يدخلنا على شيخ الأزهر فور حضورنا، ثم طلب مني سيادته اصطحابهم إلى مكتب شيخ الأزهر في اليوم التالي، وهكذا تم تسكين الطلبة الصينيين مدينة البعوث الإسلامية وكان عددهم خمسة طلاب على ما أتذكر حيث تابع هو من مكتبه إلى أن تم ذلك خلال يومين فقط.

الموقف رقم ٣: إنه في عام ١٩٩٤-١٩٩٥ تكفل سيادته بمعونة شهرية لأكثر من مائة وخمسين طالبًا وطالبة لمدة شهرين إلى أن يصلحوا من أوضاعهم المعيشية، وتقاضى كل واحد منهم ما بين ٧٠-١٠٠ جنيهًا مصريًا. وذلك عند إيقاف مشروع معونة طلاب العالم الإسلامي الذي كان تحت رعاية الجمعية العربية للتربية الإسلامية، بسبب قلة الموارد، فتكفل هو بمساعدهم بعد هذا الإيقاف لمدة شهرين حتى يبحثوا عن مصادر رزقهم الدائم وقد تم ذلك.

الموقف رقم ٤: الحب المقرون بالاحترام.

إن الحب إذا كان متوجًا بالاحترام كان خالصًا لله سبحانه وتعالى وساد خيره وشاع أرجاء العالم وسكن قلوب البشر جمعاء، إنه إنسان فريد ونادر، هذا



الذي جمع بين حب الناس واحترامهم في قلبه، بغض النظر عن مستواهم الشخصي والعام.

ولقد اكتشفت فيه هذا الينبوع الفياض في عام ١٩٩٦م عندما وقع لي حادث اصطدام سيارة بي أمام مدينة البعوث وتم نقلي إلى مستشفى الزهراء بالعباسية لعمل بعض الإسعافات؛ لأن الحادثة - الحمد لله - كانت طفيفة لازمت مترلي قرابة أسبوعين، وكان سيادته متوعك الصحة قبل حادثتي هذه بأسبوع تقريبًا، فلم أرد إعلامه بذلك حتى لا أقلق سيادته ولكن ما إن علم بأمر إصابتي، حتى بعث إلي بخطاب مرفق بمبلغ من المال كي أستعين به في العلاج أحضره إلى أحد الطلاب الأفارقة، كان في زيارة لسيادته فسألته كيف عرف سيادته بنبأ الحادثة، قال إن سيادته سأله فأخبره لكنه طمأنه بأن الحادث بسيط حتى لا يقلق.

وقال لي أنه دعا لي بالشفاء العاجل، ثم طلب منه إحضار دوسيه من مكتبه، فكتب لي هذا الخطاب المرفق صورة منه هنا، قال الطالب أنه لحظ شيئًا غريبًا ذلك أن سيادته عندما كان يكتب الخطاب لم يكن ينظر إلى الورقة.

هكذا نكتشف شخصيته ومعدنه الطيب إنه كابد المعاناة كي يكتب لي خطابًا رغم ضعف بصره، طلب من الطالب إحضار دوسيه وسحب منه ورقة وكتب لي خطابًا في حادث بسيط للغاية، فمن أكون أنا ومن يكون هو: فهو إنسان ذو مكانة عالية ووزير أسبق تقلد عدة مناسب في وطنه وربى أجيالاً كبارًا، وأنا مجرد طالب علم في الغربة، ولكنه كان يراني فوق ذلك أخًا وصديقًا مسلمًا لذا استحق هذا الحب وهذا الاحترام الذي يستحقه وهو على مستوى وزير وصاحب مناصب مرموقة. يحترم الإنسان لإنسانيته لا غير.

فهاك نص الخطاب:

واليك عزيزي القارئ صورة خطاب معاليه.

بنك المهندس
MOHANDES BANK



القاهرة في

[illegible]

عزيزي السيد عبد الله

تحية طيبة مباركة وبعد فقد علمت [illegible]

[illegible] بالسياسة وأنا [illegible] على [illegible]

[illegible] دائماً [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] بالخير [illegible]

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

[illegible]

نص الخطاب كالتالي(*)

وزير الري والأشغال المائية الأسبق

عزيزي السيد عبد الله:

تحية طيبة مباركة وبعد فقد علمت بنبأ إصابتكم من جراء اصطدامك بالسيارة وأنا أحمد الله على أن خفف من الإصابة وندعوه تعالى أن يهبكم الشفاء العاجل وأن نراكم دائمًا في أحسن صحة وأسعد حال.

مرسل لكم مبلغ خمسين جنيهًا لتستعين بها على التردد على الطبيب

ختامًا ندعو لك ولسائر أفراد الأسرة بالخير واليمن

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

المخلص،،

التوقيع

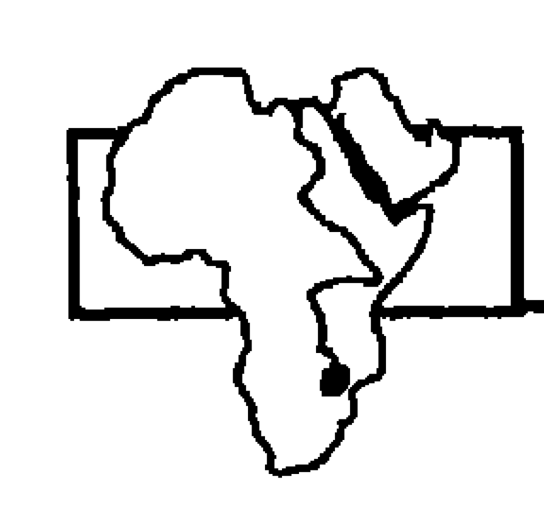
(*) كتبت هذه الرسالة في عام ١٩٩٦م.

الموقف رقم ٥: المواجهة مع شيخ الأزهر

في أحد اللقاءات كان الموعد مع فضيلة الإمام الأكبر: جاد الحق علي جاد الحق، وكان طلب المقابلة مني أساسًا في شأن الكتب المدرسية الأزهرية والمدرسين الأزهريين للعمل بمدارسنا الإسلامية في غانا وكوت ديفوار.

ولكن دارت بينه وبين الإمام مناقشة حامية حول عدم إتاحة فرص التخصص العملي والعلمي لأبناء مسلمي أفريقيا، وكان رد فضيلة الإمام هو عدم وجود بند مخصص لهم في مثل هذه التخصصات وبالتالي عدم وجود ميزانية خاصة بها. فسأل فضيلة الإمام: أليس بالأزهر هذه الكليات، كليات الطب والصيدلة والهندسة ويلتحق بها أبناء مصر؟ فقال الإمام: بلي، فقال: فكيف توجد هذه التخصصات بالأزهر ويحرم أبناء أفريقيا المسلمين من الالتحاق بها؟ وانتقد بشدة هذا الموقف من الأزهر ومن الدول العربية أمام فضيلته، وقال كان بإمكان إدخال نسبة من أبناء مسلمي أفريقيا بها، ولكن عدم إلحاقهم بها يعد جريمة في حقهم ووصمة عار على جبين مصر، وأن ذنبهم في رقبتنا جميعًا، وكرر عدة أسئلة للإمام من أمثال: كيف يستطيعون معالجة مرضى المسلمين في بلادهم؟ كيف يستطيعون المشاركة في تنمية اقتصاد بلادهم؟ كيف يكونون ندًا لغير المسلمين في بلادهم؟ بينما يتلقى أبناء أفريقيا الآخرين كل التخصصات في الجامعات المسيحية في الغرب.. وطلب من فضيلته العمل على تحقيق هذه الآمال لأبناء أفريقيا المسلمين وقال هم أبناؤنا أيضًا، واختتم قائلاً: ﴿ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا ﴾ [النساء آية ١١] وسأل فضيلته أليس كذلك؟ قال الإمام الأكبر: بلى لهو كذلك.

الموقف رقم ٦: وبعد وفاة فضيلة الإمام/ جاد الحق علي جاد الحق كان اللقاء هذه المرة مع شيخ الأزهر الجديد، فضيلة الإمام الدكتور سيد طنطاوي،



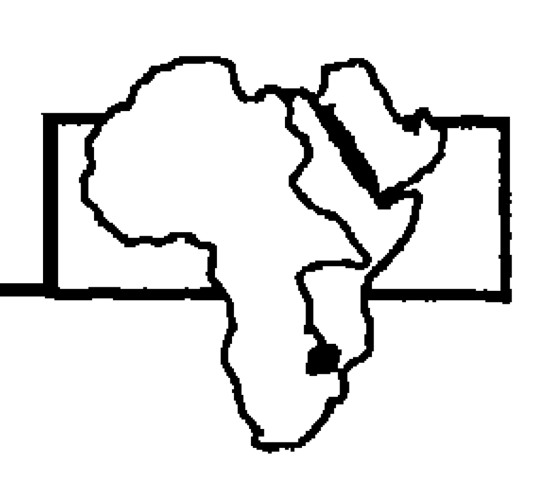
وكان ذلك عام ١٩٩٨-١٩٩٩م، حيث اقتضت حالة خاصة أن أطلب مقابلته، وفي موعد محدد كنت في صحبة سيادة المهندس أحمد علي كمال ومعنا سائق السيارة أحمد، فصلينا في جامع الحسين الظهر ثم خرجنا إلى مكتب الإمام الذي كان لا يزال حينذاك أمام جامع الأزهر وبجوار مسجد الحسين.

وكان موضوع اللقاء، البحث عن طريقة فعالة لتلبية حاجة مسلمي أفريقيا، ذلك أن وزارة خارجية كوت ديفوار كانت قد منعت بعثات إسلامية عربية من دخول ساحل العاج للتدريس في المدارس الإسلامية فيها منذ عام ١٩٩٤م بدعوى أنها تأتي لتدريس العلوم الإسلامية فقط دون العلوم الأخرى، وأيضًا هناك صعوبة إيصال الكتب الإسلامية إلى المدارس الإسلامية بها، وبدعوى أن البعثات المسيحية إلى كوت ديفوار تدرس جميع العلوم المفيدة للبلاد.

فلما سلمت الطلبات لفضيلة الإمام الطنطاوي، فإذا به يقول: «نحن نتعامل مع حكومات وسفارات الدول، لذا فعليكم تقديم هذه الطلبات عن طريق حكومة بلدكم أو سفارة بلدكم هذه سياسات الأزهر الآن» وهنا رد سيادته كلام فضيلة الإمام قائلاً:

تعلمون يا فضيلة الإمام أن معظم الحكومات والسفارات غير راغبة في حضور هؤلاء الطلاب من رعاياها إلى الجامعات الإسلامية للتعليم.

لو كان الأمر بأيديها لمنعتهم كما منعت خارجية كوت ديفوار دخول البعثات الإسلامية، وقال لذا أرى عدم وضع كل شئون الأزهر وشئون مسلمي تلك البلاد في أيدي تلك الحكومات والسفارات، فهي إما أن تمنع أو تعطل أمورهم في كثير من الأحيان، فيجب أن يكون الأزهر على وعي بذلك، لذا يكفي أن يتعامل الأزهر مع السفارات المصرية في تلك البلاد لتسيير شئون



المسلمين وشئون الأزهر.

وبهذا استلم فضيلة الإمام الطلبات ووقع عليها بإرسال المقررات المدرسية المطلوبة إلى تلك المدارس بلغت ١٢ ألف نسخة، مع إعادة توزيع المدرسين الموجودين بكوت ديفوار الذين انتهت مدد إعارتهم لمدرسة معينة، حيث يتم تجديد مدة كل مدرس ونقله إلى مدرسة أخرى أكثر حاجة، يتم ذلك بالتعاون مع السفارات المصرية بهذه الدول.

اكتفي بهذه المواقف كي لا أطيل على حضراتكم.

ولكن أهم جانب أود إلقاء الضوء عليه بكثافة أيضًا هو ذلك الجانب الفكري للمهندس أحمد علي كمال، كمفكر إسلامي في قضايا العالم الإسلامي وصاحب آراء عملية في حل بعض المشكلات الجزئية الهامة التي تؤثر في القضايا العامة. وهنا نتكلم عن:

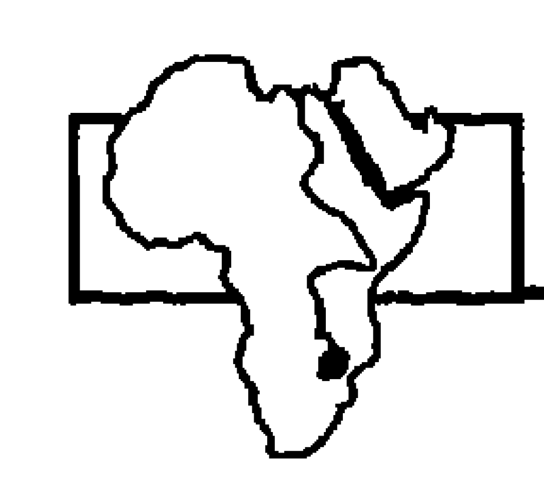
فكره التربوي والتعليمي:

كان المهندس/ أحمد علي كمال مفكرًا تربويًا وتعليميًا براجماتيًا إسلاميًا، واعيًا بقضايا العالم الإسلامي وحاجاته العصرية؛ لأن الأفكار التي طرحها وحاول تطبيقها لا تصدر إلا عن عقل واع مستنير بمتطلبات المجتمعات الإسلامية المعاصرة وما هو خير للأمة الإسلامية عامة.

تعالوا نلقي الضوء معًا على بعض من هذه الأفكار لنرى إن كنت على صواب أم لا؟

كان يرى أن تربية وتعليم أبناء العالم الإسلامي مسئولية الجميع في العالم العربي فلما استفسرت من سيادته عن معنى هذا الكلام.

قال سيادته: «أنه يقصد أن تربية وتعليم ولد مسلم من أي دولة أفريقية أو من أي دولة آسيوية، أو من أي دولة أوروبية أو أمريكية، طالما هو مسلم، فهو



ابن لأي دولة في الوطن العربي وبالتالي تكون مسئولية تعليمه تتساوى مع مسئولية تعليم أي ولد عربي، فيجب أن نعلمه ما نعلّم أولادنا دون تمييز في فرص ذلك، وأن هذه المسئولية تقع على عاتق الحكومات العربية وعلى شعوبها على السواء، فلا مانع أن يتكفل فرد من الشعب العربي المسلم ولدًا مسلمًا وافدًا كي يتعلم من الصغر حتى يتخرج، كما تتكفل بهم المؤسسات الإسلامية الرسمية».

وكان يقول: «لأن يتربى أبناء مسلمي العالم الإسلامي في العالم العربي منذ صباهم، خير من أن يتربوا في الدول الغربية».

ولعل المركز الإسلامي العالمي التعليمي بمدينة الإسماعيلية يمثل تجسيدًا حيًا، لأفكار المهندس أحمد علي كمال الإسلامية الحيوية، وقد كان يتمنى أن يرى هذه الأفكار تتحقق بأرض مصر كنموذج لسائر الدول العربية.

وهذا الصرح الحضاري العظيم بالإسماعيلية الذي أشرف هو على إنجاز تشييده بتمويل كويتي، والذي وضع فكره ومضمونه التربوي والتعليمي، من حيث تربية وتعليم أبناء العالم الإسلامي وأبناء العالم العربي على السواء، وتعليمهم في بوتقة ثقافية واحدة من أجل أن تتحقق وحدة الفكر ووحدة المنافع .. الخ.

فلما لم يتحقق هذا الفكر العملي الذي لا يختلف اثنان في صلاحيته عمليًا، كان ذلك سبب حزنه طوال الوقت، فإلى وفاته لم يفارقه الحزن على فشل هذا المشروع، ليس تقصيرًا منه بل عدم فهم الآخرين لأفكاره وعدم إدراك نفعها العام، وحسن نواياه هو.

إنني أود أن أنقل إليكم بكل أمانة، وبكل صدق أن المهندس أحمد علي كمال كان مفكرًا إسلاميًا، قد مات حزنًا على ما تبدد من الآمال الذي عقدها

على هذا المركز لأبناء العالم الإسلامي، نعم مات حزنًا عليه.. مات حزنًا عليه.

فمن شاء فليقرأ ما وضعه سيادته في المطبوع الخاص بالمشروع، أريد أن يستمع الحاضرون إلى الدليل القاطع لما أوردته من أفكاره هذه كما كتبه هو بيده، فقد جاء في الفقرة الثانية من الصفحة الثانية للمطبوع ما يلي:-

«المركز الإسلامي التعليمي بمدينة الإسماعيلية مؤسسة تعليمية للمراحل قبل الجامعية، تعنى في المقام الأول بالدين والثقافة الإسلامية واللغة العربية إلى جانب العلوم والمعارف الأخرى، لتعد جيلاً إسلاميًا يكون ندًا للأجيال المناظرة له في دول العالم المتقدمة، يحمل لواء العلم والحضارة التي كانت ولا تزال رسالة الإسلام، مع الحفاظ على القيم الروحية والروابط الأسرية والاجتماعية، جيلاً يعمر ولا يهدم، يتعلم ويعلم، يخترع ولا يقلد، يوحد ولا يفرق»(١).

هذه بعض من أفكاره التربوية والتعليمية ليست للوطن العربي وحده، بل للعالم الإسلامي كله .. وقد كانت مثل هذه الأفكار محل اهتمامي .. منذ أدركت حجم مشكلات وقضايا مسلمي أفريقيا، فهي محل دراستي وبحثي منذ عام ١٩٨٧م، وإذا بي أصادف فيضاً متدفقًا من هذه الأفكار من سيادته الأمر الذي وثق العلاقة بيننا وتوطدت.

لقد تذكرت هنا، يوم قابلت ابنه البار، المهندس/ محمد أحمد بركة الذي عرفني بوالده، قائلاً: تعال غدًا أعرفك بشخص سوف يحبك وتحبه، وكان كما

---

(1) انظر: أحمد علي كمال "مطبوع المركز الإسلامي العالمي التعليمي" بمدينة الإسماعيلية، المحرم (١٤١٠هـ- أغسطس ١٩٨٩م) ص (٢) ويمكن الحصول على نسخة من هذا المطبوع من دار الهدف للدعاية والإعلان والنشر ١٢ شارع مراد المتفرع من شارع صلاح الدين - مصر الجديدة.

قال بركة.

ولفكره هذا ووعيه بقضايا العالم الإسلامي، أراه يغضب غضبًا شديدًا عندما علم أن أبناء مسلمي أفريقيا محرومون من الالتحاق بالكليات العملية في مصر، مثل كليات الطب والصيدلة والبيطرة والهندسة .. الخ، وأن تعليمهم يقتصر على الكليات الدينية واللغة العربية وما شابه ذلك فحسب.

وقال في هذا: «إنه خطأ فادح» من الأزهر أن يفعل ذلك، ولما علم أن ذلك يشمل جميع الدول العربية، قال نفس المقولة: «إنه خطأ فادح» وكان هذا أيضًا من الأمور التي كانت تغضب سيادته، وظل يغضب لأبناء مسلمي أفريقيا كلما تناقشنا في هذا الأمر حتى خرج من الدنيا وكان يقول: «كيف يفرقون بين أبناء العالم الإسلامي والعالم العربي في فرص التخصص التعليمي وأن هذا ليس من الإسلام في شيء».

وتساءل «كيف يستطيع أبناء العالم الإسلامي أن يكونوا ندًا لأبناء غير المسلمين في بلادهم؟ كيف يشاركون في تنمية اقتصاد بلادهم؟ كيف يعالجون مجتمعاهم، والحال أن أبناء غير المسلمين في هذه البلاد يتخصصون في كل العلوم النظرية والتطبيقية.

موقفه من توحيد جهود الدعوة:

كان لسيادته موقف أكثر حكمة في شأن نشر الدعوة في العالم، حيث كان يرى أنه ما لم يكن للمسلمين نوع من الوحدة في شأن الدعوة الإسلامية، وخاصة في العالم العربي، فإن ما تبذله كل جماعة أو كل دولة عربية على حدة، سوف لن يحقق النتائج المرجوة للإسلام والمسلمين، وكان يقول لي: «أحوال المسلمين في العالم تحتاج إلى توحيد الجهود في بعض الأمور إن لم ينجحوا في ذلك في كل الأمور» ويشير أحيانًا إلى أن الدول العربية يمكنها توحيد الجهود في

شأن تعليم أبناء العالم الإسلامي.

هنا جاء اهتمام سيادته بمشكلة تفاوت أشكال المنح الدراسية في الجامعات الإسلامية والعربية بين الطلاب الأفريقيين الدارسين في جامعات الدول الخليجية السعودية والكويت وقطر وبين الطلاب الدارسين في الجامعات المصرية والشامية والمغربية.

حيث علم أن الطالب الأفريقي الذي يحضر إلى مصر للتعليم يظل بمصر أكثر من عشر سنوات دون أن يتمكن من زيارة أهله في بلده، فالبعض يمكث أكثر من ١٢ سنة دون أن تتاح له فرصة زيادة بلده ولو مرة، مع معاناة في المعيشة في مصر، بينما الطالب الأفريقي الذي يدرس بالجامعات السعودية مثلاً تتيح له فرص السفر إلى بلده كل عام لزيارة أهله في بلده ثم العودة لاستئناف الدراسة، وهؤلاء في طريقهم إلى بلادهم يمرون بمصر هنا سواء في الذهاب أو في العودة يمرون أمام أعين نظرائهم الدارسين بمصر ومعهم إمكانات من الهدايا لأهليهم.

فتساءل سيادته قائلاً: «ما هذه التناقضات؟ عندما علم أن الأزهر، لا يتيح لطلابه الأفارقة فرص زيارة أهليهم في بلادهم ولا مرة واحدة، حتى ولو مكث بالأزهر عشرين سنة؛ إذ لا يوجد بدل سفر في منح الأزهر، وتساءل: ألا يمكن توحيد أشكال تلك المنح في جميع الجامعات الإسلامية لينال الطالب بالأزهر بعضًا من المميزات التي يحظى بها طالب بالجامعات الخليجية؟ ثم أردف قائلاً: «يا أخي عبد الله كل هذه التناقضات سببها عدم توحيد الجهود في نشر الدعوة، مع أن ذلك أمر يمكن تحقيقه على الأقل في مجال التعليم بالجامعات الإسلامية».

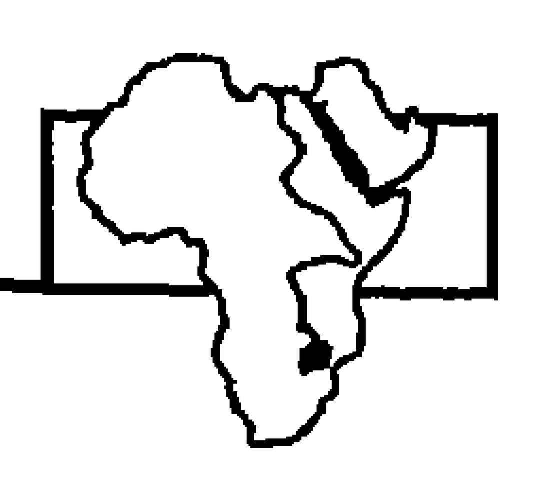
وقال: «طالما أن اتحاد الجامعات الإسلامية، وكذلك المجلس الإسلامي

العالمي للدعوة والإغاثة، يجتمعان سنويًا، لماذا لا تتم مناقشة مثل هذه المسائل، من أجل توحيد أشكال تلك المنح للمساواة بين أبناء مسلمي أفريقيا في العطاء ورفع المعاناة عنهم».. قال: «لاشك أن نفسية أبناء أفريقيا الدارسين بمصر تعبانة»(*).

وقال سيادته: «اقترح إنشاء صندوق موحد للدعوة والتعليم وتموله الدول العربية ويتولى اتحاد الجامعات الإسلامية توزيع المنح الدراسية بالتساوي بين طلاب العالم الإسلامي ويتولى الأزهر تعليم معظمهم، وبذلك يمكن منح الطلاب الأفارقة الدارسين بمصر نفس الفرص التي يحظى بها الدارسون منهم في جامعات دول الخليج، من حيث قيمة كل منحة ومن حيث فرص السفر لزيارة الأهل، ليس بالضرورة أن تكون كل سنة، ولكن مرة في كل سنتين، أو مرة كل ثلاث سنوات .. الخ، وكذلك يمكن حل المشكلات المعيشية والصحية والنفسية لهم أثناء تعليمهم بالجامعات وكذلك حل مشكلاتهم في التخصص الدراسي والدراسات العليا.

وهكذا كان اهتمام سيادته بقضايا العالم الإسلامي بصفة عامة وبمشكلات أبناء مسلمي أفريقيا بصفة خاصة.

(*) لقد كان بصدد إعداد مذكرة خاصة بهذا الموضوع لتقديمها إلى كل من اتحاد الجامعات الإسلامية والمجلس الإسلامي العالمي للدعوة والإغاثة، لكن المنية قد عاجلته قبل أن ينفذ هذه الخطوة العظيمة، وكان سيملي عليَّ فاكتبها ثم أقرؤها عليه فيصحح ما يحتاج إلى تصحيح ثم يأمرني بطبعها على آلة كاتبة ثم أقرؤها عليه مرة ثانية ثم يوقع عليها قبل إرسالها أو الذهاب بها بنفسه إلى الجهات المختصة وغالبًا كان سيذهب بها بنفسه كعادته. وأنا سوف أنفذ تلك الخطوة بإذن الله بأن أواصل رسالته إلى اتحاد الجامعات الإسلامية والعربية من خلال هذا الكتاب.



أيها السادة الكرام:

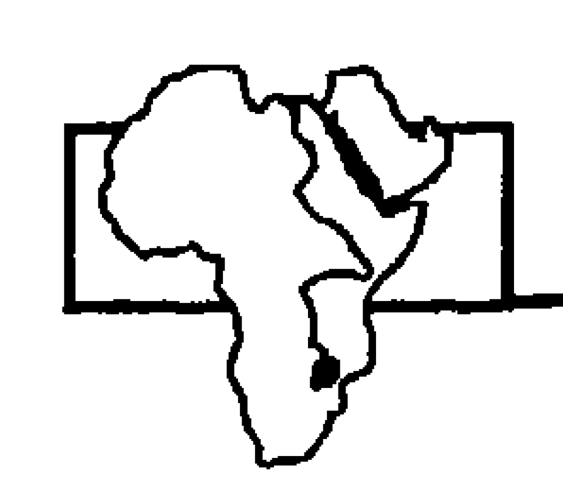
إن هذه الإطروحات لأفكار الوزير/ أحمد علي كمال، لم تكن مناقشة يوم واحد، إنما هي شتات على مدار الاثنتي عشرة سنة التي عاشرته فيها حاولت تذكرها وتقريب الصياغة إلى ما كان يقول ويحاور سيادته في مختلف المواقف .. الخ.

أيها السادة الكرام إنني انتهز هذه المناسبة كي أذكر بعضًا من مشكلات الطلاب الأفارقة الدارسين بمصر وأقول أنهم أقل شكوى من أي طالب آخر في العالم الإسلامي، يدرسون في صمت رغم المعاناة التي يكابدونها دون أن يدري أحد بمعاناتهم.

على سبيل المثال:

في عام ١٩٩٨م عندما تعرضت الدول الآسيوية للأزمة المالية، فقد كانت هناك دعاية صاخبة في كل وسائل إعلام الدول العربية، بأن أبناء آسيا الدارسين بمصر يواجهون مشكلات معيشية ودراسية صعبة بسبب هذه الأزمات في دولهم فجمعت لهم ملايين الدولارات والجنيهات من أجل حل مشكلاتهم هذه. ولقد تبرع لهم الشيخ/ محمد متولي الشعراوي (رحمه الله وأرضاه) حينذاك بمليون دولار. لكن لم ينظر أحد أو يرى أن طلبة آسيا من أندونيسيا وماليزيا وغيرها من أفضل الطلاب معيشه، يعيشون في الأماكن الراقية في مدينة نصر ومصر الجديدة، فضلاً عن مساعدات من بلادهم لهم والتي لم تنقطع كليًا أثناء الأزمات، سواء عن طريق تأجير العمارات السكنية لهم أو شراء أمهات الكتب لهم سنويًا من المعرض المصري الدولي وغير ذلك.

رغم ذلك جمعت من أجلهم ملايين الدولارات في أزمة بلادهم العابرة بينما أبناء مسلمي أفريقيا الدارسين بمصر يرزخون تحت وطأة معاناة دائمة،



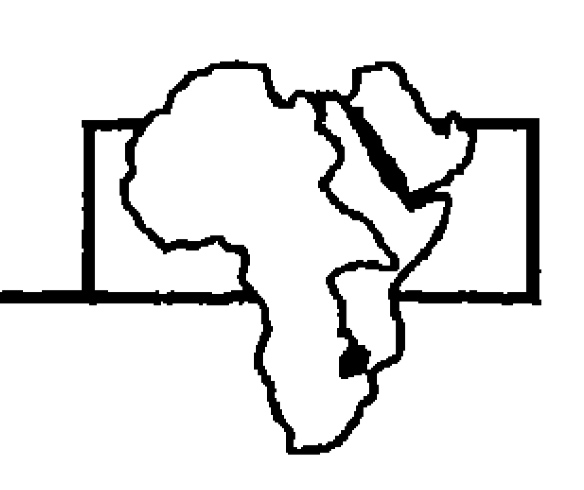
يعيشون في أحياء شعبية في بولاق الدكرور وعين شمس والعباسية، وغيرها يتجمع في شقة واحدة أكثر من خمسة طلاب، فكثيرًا ما لا يجد طالب منهم ما يشتري به مقررات كليته، ويذهبون إلى كلياهم بصعوبة بالغة، لأنه لا يملك ما يكفيه من المال لركوب المواصلات إليها طوال الشهر، فكان سيادته يقدم ما تيسر له من معونات شهرية إلى بعض الطلاب، فضلاً عن شراء الكتب الجامعية للعاجزين عن شرائها أو عن سداد إيجار السكن ولا يعرف بحالهم الكثيرون حتى الجامعات التي يدرسون بها لا تدري بمشكلاتهم إلا قليلا.

ولما توفاه الله حمل اللواء من بعده ابنه البار، المهندس: محمد بركة إذ لم يكد يمضي أسبوع على وفاة والده، حتى طلب مني سيادته أن أجمع له أسماء كل من كان يعينه والده من الطلبة حتى تستمر هذه المعونات لهم وزيادة عددهم فقد استطعت الوصول إلى بعضهم وبعضهم لا يزالون مجهولين لا يعلمهم إلا الله.. وكذلك تفعل بناته اللاتي ينفقن على بعض الطلاب في بعض المناسبات في شهر رمضان والأعياد جزاهم الله خير الجزاء وجعل كل ذلك في ميزان حسناتهم يوم القيامة.

لذا، فإني أعلن أمام سيادتكم جميعًا بأننا أنا وزملاء لي قررنا أن ننفذ أفكاره التربوية والتعليمية في مركز ننشئه باسمه في إحدى عواصم الدول الأفريقية جنوب الصحراء وقد اخترت عاصمة غانا أو عاصمة كوت ديفوار لإنشاء هذا المركز.

«مركز المهندس أحمد علي كمال للدراسات، والتنمية الفكرية». أو «مركز المهندس أحمد علي كمال للدعوة والتعليم والتربية».

تلك الأفكار التي أراد أن يطبقها في المركز الإسلامي العالمي بالإسماعيلية وباعتباري أحد تلاميذه فلسوف أكرس كل جهودي لتحقيق ذلك إن شاء الله.



أيها السادة الكرام والسيدات المكرمات:

هذا هو المهندس أحمد علي كمال، مهندس الفكر الإسلامي المعاصر -رحمه الله وأرضاه- والله على ما أقول شهيد.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته،،،

٣ صفر ١٤٢٢هـ/ ٢٧ إبريل ٢٠٠١م

عبد الله صالح سانا

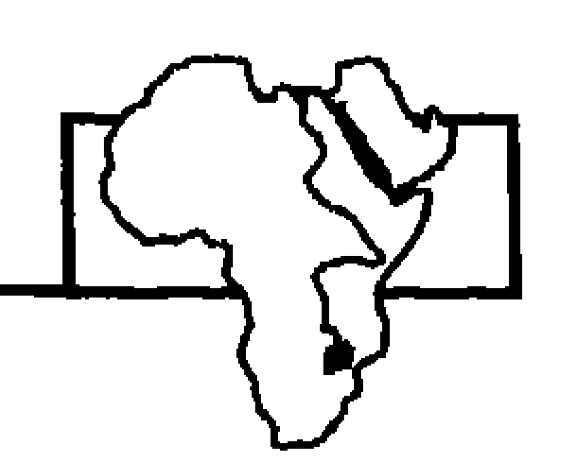
باحث في قضايا مسلمي أفريقيا جنوب الصحراء

وتلميذ أحمد علي كمال



الفصل السابع
الوزن التاريخي الحضاري والعددي لمسلمي أفريقيا

* مشروع حضاري إسلامي لأفريقيا.
* الإسلام ونشوء الإمبراطوريات الأفريقية.
* الوزن العددي لمسلمي أفريقيا.
* مؤشرات إسلامية للقارة الأفريقية.
* أحدث خارطة سكانية للدول الأفريقية ونسب الديانات بها عن إحصائيات ١٩٩٢-٢٠٠٠م.



الوزن التاريخي الحضاري والعددي لمسلمي أفريقيا

يمكن القول بكل فخر أن مسلمي أفريقيا يحظون بكلا الوزنين الثقيلين: التاريخي الحضاري والعددي في القارة الأفريقية. فالوزن التاريخي الحضاري لهم تمثل في أنهم كانوا بناة حضارات القارة الراقية بكل معنى كلمة حضارة، فقد أقاموا سلسلة حضارات راقية في غرب القارة ووسطها وشرقها وجنوب شرقها، هذا غير الحضارات التي أقامها العرب والبربر في شمال القارة والأندلس في القارة الأوروبية والتأثير الإسلامي والعربي في تطور الحضارات الأفريقية.

وأما الوزن العددي لمسلي أفريقيا فيتمثل في التفوق العددي لهم على جميع أتباع الديانات الأخرى في القارة، حيث تبلغ نسبة عددهم اليوم إلى ما يقارب ٦١٪ تقريبًا من مجموع سكان القارة البالغ ٩٠٠ مليون نسمة[١].

فهذان الوزنان يعطيان مسلمي أفريقيا الحق الطبيعي في أن يلعبوا دورًا فعالاً في البناء الجديد لأفريقيا، في إطار الاتحاد الأفريقي، حتى يقوم على أسس مجتمعية أخلاقية سليمة، تؤخذ من ينابيع الفكر الإسلامي لبنية الاتحاد الثقافية والاجتماعية، والاقتصادية والتجارية .. الخ.

ذلك أن القارة هي بحق قارة إسلامية، فيجب أن تسود فيها ثقافة وقيم الإسلام وأخلاقياته وآدابه السلوكية، والعدل وروح الجماعة والحب والإيثار والحس الإنساني، وتلك التي تتوافق مع الأخلاقيات الأفريقية الأصلية وقيمها وآدابها وأساليب الحياة التي عاشها الإنسان الأفريقي قبل الإسلام والتي عززت بالإسلام وأثناء فترة الإسلام بعيدة عن الشذوذ والفواحش والانحلال الأخلاقي

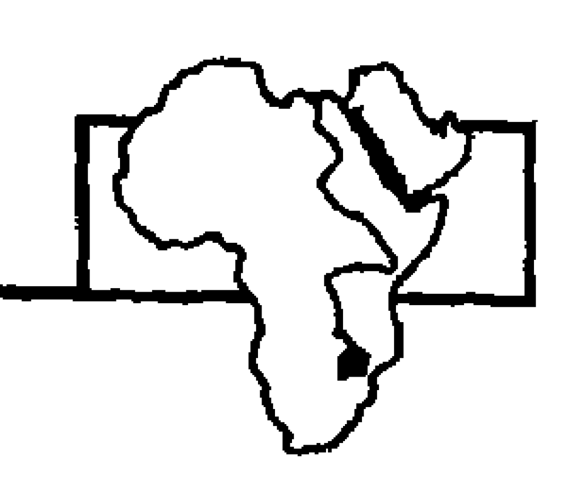
(١) انظر الإحصائيات الخاصة عن سكان القارة الأفريقية في هذا الكتاب. ص. ص١٩٤-٢١٠.

والفساد السلوكي(*).

(*) وهذا لا يعني الدعوة إلى إقامة دول إسلامية أو حكومات إسلامية في الدول الأفريقية والتي تثير الحساسيات ليست لدى الدول الكبرى فحسب بل الدول الإسلامية نفسها تثير عبارة «حكومة إسلامية» حساسية بالغة لديها، ولكني أدعو بقوة إلى نشر الفضيلة والقيم الإسلامية السمحة وثقافته الراقية التي تتضمن الآداب والسلوكيات الإسلامية والممارسات الاجتماعية الإسلامية الصحية، والتي من شأنها وقاية الشعوب الأفريقية كلها مسلميها وغير مسلميها من الأمراض الأخلاقية المهلكة، ولقد ثبت بما لا يضع مجالاً للشك أن المجتمعات الإسلامية في دول جنوب الصحراء الأفريقية، كانت أقل عرضة للإصابة بمرض نقص المناعة المميت، نتيجة لتمسكها بالأخلاقيات الإسلامية وتعاليم الإسلام وقيمه. على سبيل المثال: فمن أهم الممارسات الإسلامية الصحية التي يمارسها مسلمو أفريقيا بلا استثناء هي ختان الذكور منذ دخل بلادهم الإسلام قرابة ألف وثلاثمائة عام، يختتنون أطفالهم في فترات أعمارهم المبكرة، وهذا لا يقتصر على الأطفال والصبية فحسب بل الكبار أيضًا، فعندما يعتنق أي أفريقي الإسلام "شابًا أو كهلاً كان أو شيخًا" فإذا لم يكن قد اختتن من قبل، فإنه يختتن بدخوله الإسلام. لقد كانت هناك تساؤلات حول قلة الإصابة بهذا المرض في أوساط مسلمي أفريقيا، فإذا بالإجابة تأتيهم صافية جليا، ومتى؟ في الألفية الثالثة.

لقد أقرت منظمة الصحة العالمية وخبراء صحة دوليون اعتبار ختان الرجال الذكور وسيلة لمقاومة مرض الإيدز *Aids* وقالت المنظمة أنها ستضيف الختان إلى قائمة الوسائل التي تستخدم لمقاومة المرض، وذلك بعد أن أثبتت أبحاث وتجارب أجريت في أفريقيا أن الختان بين الرجال يقلل من خطر إصابتهم بالفيروس *HIV* بنسبة ٥٠ في المائة. فمنذ بدأ انتشار مرض الإيدز في أفريقيا لاحظ الباحثون أن الرجال المختتنين كانوا أقل عرضة للعدوى، ولكن لم يكن السبب واضحًا، الأمر الذي دفعهم إلى إجراء التجارب التي أوصلتهم إلى هذه النتائج المذهلة.

فالتجارب التي أجريت في جنوب أفريقيا وبمشاركة ٣٢٨٠ رجلاً، قد توصلت إلى أن الختان يمنحه مناعة ضد عدوى فيروس *HIV* بنسبة ٦٠% هذا ما أعلنته جنوب أفريقيا في ٢٠٠٦، الأمر الذي دفع دول أفريقية أخرى للقيام بالتجارب المماثلة. فقامت كل من كينيا وأوغندا وكان من المفروض أن تعلنا نتائج تجربتهما بحول



فيجب أن تكون لمسلمي أفريقيا أطروحات ومشروعات حضارية، قابلة للتطبيق يقومون بإعدادها نظريًا وعمليًا، وفق أوضاع المجتمعية الأفريقية الحديثة، يقدموها لأفريقيا في إطار دور فعال في بناء الاتحاد الأفريقي وحضارة أفريقيا الجديدة ولا يتقاعسوا فيجلسوا مكتوفي الأيدي مثل تقاعسهم في القرن العشرين المنصرم، فتركوا القارة للغرب ليدخل فيها جميع أنواع الثقافات المؤذية، المفسدة للأخلاق والقيم الإسلامية والأفريقية السليمة، حيث أدخل فيها الغرب كل الثقافات المسببة للأمراض المهلكة والمميتة التي جعلت دول جنوب الصحراء اليوم بؤرة لجميع الأمراض المدمرة للإنسان الأفريقي، فضلاً عن انتشار الجريمة

=

شهري يوليو/ تموز عام ٢٠٠٧، ولقد توصلت دولة كينيا إلى نتائج أن الختان يمنح مناعة ضد مرض الإيدز بنسبة ٥٣%. بينما التجارب التي أجريت في أوغندا توصلت إلى أن تلك النسبة تبلغ ٤٨%. وجدير بالذكر أن دول الجنوب الأفريقي ابتداء من الكنغو برازفيل والكنغو الديمقراطية وأوغندا وأنجولا وزيمبابوي وبتسوانا وجنوب أفريقيا وناميبيا وموزمبيق وليسوتو وغيرها من دول هذه المنطقة هي الأكثر تضررًا من انتشار هذا المرض المخيف والأكثر انتشار لهذا المرض، ولاحظ ما يلي أنها تلك الدول التي تقل فيها نسبة الإسلام، إذ لا يتجاوز نسبة الإسلام فيها ١٠-٢٠% وبعضها أقل من ١٠%. وهي تلك الدول التي تسود فيها الثقافة الغربية سيادة كاملة وكذلك بعض الممارسات الوثنية، ولا تسود فيها الثقافة الإسلامية إلا في أوساط الأقلية المسلمة بها فليست من المستغرب أن تكون أكثر الناس إصابة بهذا المرض بالشكل المخيف في تلك الدول ولقد صدق الله سبحانه وتعالى في قوله جل وعلا:

﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [فصلت: ٥٣].

See: Al-Qur-an: [41: 53]

1) *See: BBc Arabic.com.April 2007*

٢) ولقد نشرت هذه التقارير الواردة هنا في شهر أبريل ٢٠٠٧.

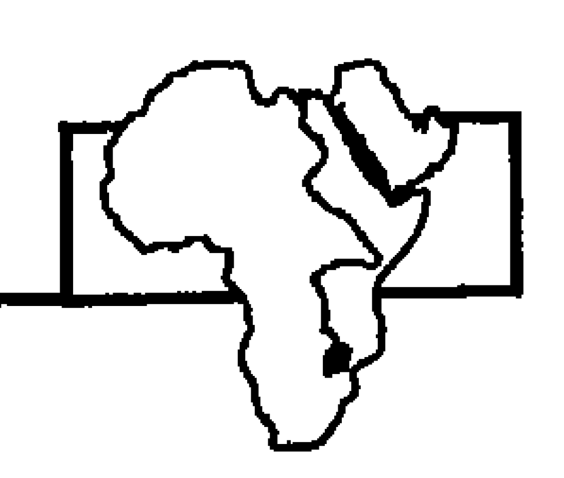
بها فأصبحت بيئة سيئة مهيأة يمكن لأي حاقد وفاسد أثيم نشر ما يريد من الأمراض المهلكة المميتة بها.

على سبيل المثال: جاء في تقرير منظمة الصحة العالمية لعام ٢٠٠٠م أن حوالي ٣٣ مليون نسمة من سكان العالم مصابون بمرض نقص المناعة المكتسبة الإيدز *Aids* لكن الأخطر في هذا التقرير، هو أن نسبة الإصابة بهذا المرض المدمر في أفريقيا أكبر بكثير من نسبة الإصابة في أي مكان أخر من قارات العالم، إذ يبلغ عدد المصابين بها في أقاليم جنوب الصحراء وحدها - أي بلاد السود - حوالي ٧٠,٨% وباقي العالم ٢٩,٢% فقط، فعدد الإصابة في دول جنوب الصحراء وحدها ٢٤,٨ مليون نسمة بينما عدد الإصابة في بقية العالم ٩,٢% مليون فقط[1]، وكلنا يعلم طرق الإصابة بالإيدز، وأهمها الفواحش من الزنا واللواط والسحاق والدعارة، وإدمان مختلف أنواع المخدرات وخاصة المستخدم للحقن وما شابه ذلك، ثم يلي ذلك الإصابة عن طريق نقل الدم الفاسد والملوث بفيروسات هذا المرض.

وهذا يعطي انطباعًا بعدم وجود الإسلام والمسلمين في هذا الجزء من القارة، لأن المسلمين لا يرتكبون مثل هذه الفواحش والموبقات ولا تمارس نساءهم وبناتهم الدعارة ولا يشرب المسلمون الخمر ولا يتعاطون المخدرات ولا يمارسون الشذوذ المذكورة آنفاً - لكن العكس - هو الصحيح فيوجد بجنوب القارة مسلمون بأغلبية في كثير من الدول الأفريقية يحرصون دائمًا على إقامة شعائر الله سبحانه وتعالى حيث تمتلئ المساجد هناك في جميع الصلوات الخمس

---

(1) *See: The 13th International Aids Confrence Durtan. 9-14 July 2000. In new African. No. 388 September 2000. P16-18.*



وحتى أن مجرد التدخين للسيجارة من أي مسلم ينظر إليه مسلمو أفريقيا بأنه سلوك شاذ ويكاد ينبذه بعض المسلمين وأن المسلم الذي لا يصلي كافر، لا يحضرون جنازته إذا مات.

وهنا يطرح السؤال نفسه، إذن كيف انتشر هذا المرض المميت بهذا الشكل المخيف في أفريقيا جنوب الصحراء رغم وجود غالبية المسلمين بها؟

توجد عدة إجابات لهذا السؤال الهام:

الإجابة الأولى: ترجع أسباب إصابة الأفريقيين بهذا لمرض بالنسبة العالية التي ذكرناها آنفًا من وجهة نظري إلى الثقافة الغربية التي جاء بها الأوروبيون وغرسوها في أفريقيا جنوب الصحراء بعد قصر القيم الثقافية داخل المساجد والزوايا فقط، فأصبحت الساحة الأفريقية خالية من أي ثقافة وقيم إسلامية قادرة على مقاومة ثقافة الغرب، الأمر الذي مكنت هذه الثقافة الغربية التي يمكن الإطلاق عليها اسم "ثقافة الدمار الشامل" وهذه الثقافة هيأت بيئة قابلة لنشر أي نوع من الأمراض الناجمة عن الانحلال الأخلاقي، لذلك فإن الغرب استطاع بهذه الثقافة نشر هذا المرض في أفريقيا بهذا الشكل المخيف لأهداف لا يعلمها إلا الله.

فقوام الحضارة الحديثة التي بناها الغرب للأفارقة في أفريقيا جنوب الصحراء، هي الكنائس يحيط بها عدد من المؤسسات التي أسموها بالديمقراطية أهمها بيوت القمار وبارات الخمور وصالات الرقص الكبرى وبيوت الدعارة الرسمية وغير الرسمية، وأوكار الشذوذ المرخصة وجمعيات اللواط والسحاق ومنظمات التجارة في الآدمية والتي يتم من خلالها إجبار الأنثى على ممارسة الدعارة.. كل هذا باسم الحرية والديمقراطية.. الخ. وثقافة حرية المرأة في ممارسة الزنا علنًا مع من تريد من الرجال، وكذلك ثقافة حرية الفتاة في اختيار خليل لها

من الشباب وحضور الشباب إلى بيتها واصطحابها إلى حيث يشاء بمباركة الأبوين وممارسة الجنس معها خارج إطار الزواج وهذا ما يسمونها بقيم الحضارة الغربية(*) هي السبب الأول والأساسي لإصابة معظم الأفريقيين بهذا المرض والأمراض الأخرى المتصلة بها.

والإجابة الثانية: هي عدم وجود أي ثقافة قادرة على مقاومة هذه القيم الغربية المفسدة(**)، ذلك أن الغرب عمد إلى تدمير المؤسسات الإسلامية وثقافاتها وأزاحتها من الساحة الأفريقية وألجأها إلى المساجد والزوايا، ومما زاد الطين بلة، هو تقاعس مسلمي أفريقيا طوال القرن العشرين وترك الساحة للغرب ينشر ويغرس ما شاء من تلك القيم المؤذية، فلم يقدموا أي مشروع حضاري قادرة على مقاومة تلك الآفات، الأمر الذي مكن تلك الثقافات الغربية أن تتأصل وتنتشر لتحدث تلك الإصابات المخيفة بهذه الأمراض المميتة.

بدليل قلة إصابة سكان شمال أفريقيا والشرق الأوسط بهذا المرض وعدم انتشاره إلا بنسبة ضئيلة جدًا لا تذكر، بسبب سيادة الثقافة والقيم الإسلامية

(*) وليس من المستغرب أن يكون أكثر من نصف مواليد فرنسا غير شرعيين: حيث نشرت بيانات صادرة عن مكتب لإحصاء الحكومي في فرنسا تؤكد على أنه لأول مرة في تاريخ فرنسا يتجاوز المواليد غير الشرعيين عدد المواليد الشرعيين وذكر ذلك بالأرقام الإحصائية أن من بين كل ٨٣٠ ألف مولود في فرنسا عام ٢٠٠٦ ٥١,٦ % لأبوين غير متزوجين مقابل ٤٨,٤ % للمتزوجين، وما أدراك أنه أول مرة.

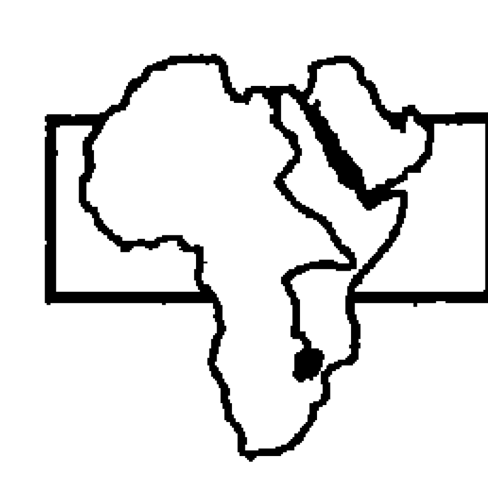
- انظر: يوم جديد، في جريدة الأهرام، العدد ٤٤٢٣٥، الأربعاء: ٨ من المحرم ١٤٢٩هـ الموافق ١٦ يناير ٢٠٠٨. ص ٢. نقلا عن الصحف الفرنسية.

(**) اللهم إلا أقاليم شمال نيجيريا التي قاومت الثقافة الغربية الفاسدة لدرجة تطبيق الشريعة الإسلامية كاملاً في ١٢ ولاية من ولايات شمال نيجيريا البالغ عددها ١٨ ولاية.

التي وقفت وقاومت الثقافات والقيم الغربية الفاسدة والمفسدة للأخلاق والعفة، فلم تتمكن من التغلغل في كيان المجتمعات العربية والإسلامية وشريانها كما تغلغل في المجتمعات الأفريقية ولا تزال القيم الإسلامية العربية تقاوم القيم الغربية الفاسدة والمفسدة. ولكن للأسف بدأت الدول العربية نفسها تتخلى عن هذه الثقافة التي حمتها رويدًا رويدًا وتقترب كثيرًا وكثيراً للثقافات الاجتماعية الغربية وممارساتها، وهذا أيضًا من أسباب غضب الغرب على العالم العربي والشرق الأوسط، كيف لا يسمحون بانتشار تلك القيم الغربية باسم الحرية والديمقراطية في بلادهم؟(*) وهذا درس للشعوب العربية كي يتمسكوا بالقيم الإسلامية أكثر وأكثر لأنها وقتهم من أمراض العصر المدمرة(**).

(*) فلم يكن ضبط أطنان من الأرطال من الدوم الملوث بفيروس *Aids* في تونس عام ١٩٨٩م أرسلت من إحدى الدول الأوروبية إلى تونس وكذلك حقن قرابة خمسمائة طفل بدم ملوث بفيروسات هذا المرض المميت في الجماهيرية الليبية إلا محاولات الغرب لنشر هذا المرض في العالم العربي والإسلامي.

(**) لكن لوحظ تزايد انتشار هذا المرض في العالم العربي في السنوات الأخيرة بشكل ملفت حتى جاء آخر تقرير من منظمة الصحة الدولية بأن العالم العربي يأتي في المرتبة الثانية من حيث انتشار هذا المرض المميت مع التحذير الشديد من أن العالم العربي إذا لم تتخذ إجراءات وتدابير للحد والتقليل من انتشاره فسوف تتزايد بشكل خطير جدًا في سنوات قليلة، وقد جاء هذا التقرير في يومي ١٩-٢٠ مايو ٢٠٠٧(*). فمن حيث ترتيب هذا المرض في العالم يأتي الدول الأفريقية في أقاليم جنوب الصحراء في المرتبة الأولى والغرب (أوروبا وأمريكا) في المرتبة الثانية ثم آسيا في المرتبة الثالثة ولم يكن العالم العربي مصنف في هذه المراتب لقلة انتشاره فيه، بسبب الثقافة الإسلامية السائدة فيه، ولكن العالم العربي للأسف والأسف بدأ بشكل ملحوظ جدًا التخلي عن هذه الثقافة أي الثقافة الإسلامية ويسعى سعيًا حثيثًا إلى اعتناق الثقافات الغربية (الأوروبية والأمريكية). التي تبيح جميع أنواع الممارسات للرذيلة والفواحش والشذوذ وليس من المستغرب أن تتزايد انتشار هذا المرض المهلك ليدخل العالم العربي في



ودليل آخر لأفضلية القيم الإسلامية وثقافاتها ما ذكر الباحثون والدارسون في هذه الأمراض العصرية أن المجتمعات الإسلامية في أفريقيا أقل إصابة بكثير من المجتمعات غير الإسلامية، وأن معظم الإصابات تحدث في غير المسلمين، أكثر بكثير، ولقد أخبرني -شخصيًا- أحد الصحفيين من غانا حضر برنامج التدريب الصحفي الذي تنظمه وزارة الإعلام المصري في القاهرة عام ٢٠٠٣م، أخبرني بأنه شخصيًا كان من الذين شاركوا في تحقيقات صحفية عن المجتمعات الأكثر والأقل إصابة بهذا المرض، فذكر أن التحقيقات أظهرت ضآلة الإصابة في المجتمعات الإسلامية في غانا الأمر الذي جعله يفكر في أن يعتنق الإسلام.

والإجابة الثالثة: أن المجتمعات والشعوب الأفريقية غير المسلمة بدأت

=

التصنيف الدولي مراتب هذا المرض من حيث الإصابة به(**).

أيها العربي المسلم وغير المسلم أورد لكم حديث نبوي واحد فقط لتوضيح الأمر هام والتحذير: قال رسول الله ﷺ: «ما ظهرت الفاحشة في قوم حتى أعلنوا بها إلا ابتلوا بالطواعين والأوجاع التي لم تكن في أسلافهم الذين مضوا..» رواه عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنهما وأخرجه الجماعة(***).

انظر:

*- ولمزيد من المعلومات عن هذا التقرير انظر: منظمة الصحة العالمية:

http://www.who.sci.eg

**- وللمعلومات عن الأطفال المحقونين بفيروس الإيدز في الجماهيرية الليبية يمكن زيارة المواقع التالية:

1) http://www.elksad.com *2) www.hrinfo.net*

3) www.islamemo.com *4) BBC Arabic. com*

***- انظر شمس الدين أبي عبد الله محمد بن قيم الجوزية، الداء والدواء. (القاهرة، مكتبة الصفا، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢) في باب ضرر الذنوب في القلب كضرر السموم في الأبدان، ص.ص. ٥٩-٦٣.

تدرك أضرار هذه الثقافات والقيم الغربية وعبروا عنها بأنها ثقافة غريبة عن أفريقيا حيث حذر مفكرو أفريقيا أضرار تلك الرذائل والانحلال في الساحة الأفريقية جنوب الصحراء وانتقدوا بشدة الثقافة الغربية واعتبروها مقترنة بالرزائل، وأكدوا أن معظم مصطلحات ومسميات تلك الرذائل ليس لها المقابل اللغوي واللفظي أو الاصطلاحي في أي لغة من اللغات الأفريقية برغم كثرتها وتباينها والبالغ أكثر من ١٥٠٠ لغة ولهجة، يعني ذلك عدم وجود أي أصل لمثل هذه الرذائل والانحلال وممارساتها في المجتمعات الأفريقية.

الأمر الذي دفع بعض زعماء أفريقيا إلى اتخاذ بعض القرارات والإجراءات ضد كثير من الممارسات الشاذة مثل اللواطة والسحاقة: *Homo Sexuality* في بلادهم باعتبارها –حسب رأيهم– ممارسات جنسية ليست منحرفة فحسب بل مسببة لأمراض مميتة أيضًا جلبت من الغرب إلى أفريقيا، وليس لها وجود أصلي في عرف أفريقيا وثقافاتها، واعتبروها ممارسات ضد قيم أفريقية، وسنوا بعض القوانين ضد ممارسيها وضد منظماتها والتي أخذ الغرب يمولها ويدعمها حتى تجرأ أعضاؤها بالخروج في مظاهرات في بعض المدن الأفريقية يطالبون بحق ممارسة الشذوذ.

وهنا أنادي كل مسلم أن يفتخر بهذه القيم الإسلامية التي منحهم الله إياها، ذلك أن هؤلاء الزعماء الأفارقة الذين كونوا جبهة ضد الشواذ ومنظماتها في بلادهم – وسنوا بعض القوانين ضد ممارسي هذه الرذائل – لم يكونوا مسلمين ورغم ذلك يتمسكون بهذه القيم المتوافقة مع القيم الإسلامية وضد فساد الثقافة الغربية وقيمها . وهم:

«رئيس دولة كينيا السابق: أرب موي *Arap Moi*، ورئيس دولة أوغندا: يوري موسيفيني *Yoweri Museveni* ، ورئيس دولة زامبيا

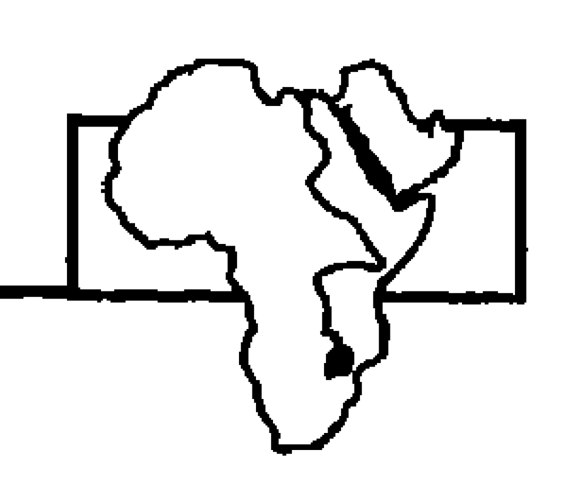
السابق: فريدريك شلوبا *Frederik Chiluba*، ورئيس دولة زيمباوبوي: روبرت موغابي *Robert Mogabe*».

وأريد أن أنبه هنا إلى أن جميع دساتير الدول الأفريقية السوداء لا تجيز ممارسة الشذوذ المعروفة ولا أي نوع منها، إلا في دستور دولة جنوب أفريقيا التي سنه البيض أثناء حكمهم في هذه الدولة، الذي يسمح بهذه الممارسات الشاذة وتجيزها(*).

(*) انظر: مسألة الشواذ في أفريقيا في:

- *See: United Against Homo-Sexuality. in New Africa. No 380. December 1999. PP 28-29.*

لقد اعترفت بعض حكومات دول الجنوب الأفريقي مثل بوتسوانا وبورندي وكنيا وجنوب أفريقا ...إلخ بموت كوادر بلادهم من أعضاء برلمان وكبار الموظفين بالبلاد، واضطرت في كثير من الأحيان إلى إجراءات مبكرة لانتخابات لأعضاء البدلاء عنهم، أو إجراء ترشيحات لأعضاء لتعويض الذين ماتوا. وكذلك موت أصحاب المهن والأعمال الفنية .. إلخ وهذا لدلالة واضحة لخطر هذا المرض على هذه المناطق في أفريقيا. انظر: موقع : *BBC.arabic.com.5/6/2007*



المشروع الحضاري الإسلامي لأفريقيا

ولكل ما سبق من المساوئ الحضارية التي غزت أفريقيا وتكاد تدمرها يجب على مسلمي أفريقيا تقديم مشروعات إسلامية قابلة للتطبيق في الساحة الأفريقية، وألا يتقاعسوا فيتركوا القارة تبني من جديد على أسس تلك الثقافات والقيم الفاسدة والمفسدة.

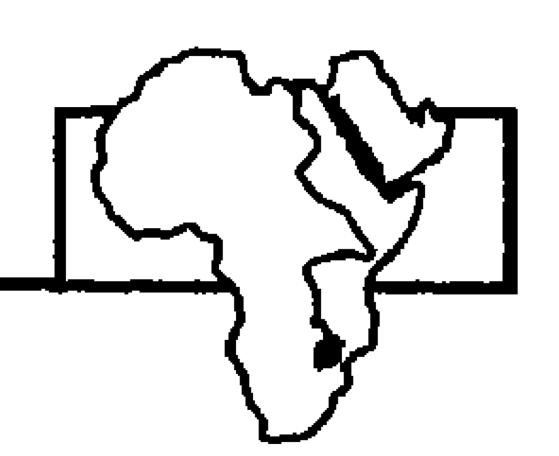
اليوم نرى مطالبات عالمية، في كل مكان لإخلاء مناطق وأقاليم من أسلحة الدمار الشامل، فيحق لمسلمي أفريقيا أيضًا المطالبة بقوة بإخلاء أفريقيا من ثقافات وقيم الدمار الشامل *Cultures of Mass Distruction (COMD)*، لكونهم أصحاب الوزن التاريخي والعددي في القارة، ولاعتبار القارة هي قارة إسلامية، بهذين الوزنين كما سوف نرى في هذا الفصل في عجالة يمكن لمسلمي أفريقيا المطالبة بحق نشر قيم إسلامية وأفريقية سليمة تقي الإنسان الأفريقي من الهلاك والمعاناة المرضية المميتة، وعلى أبناء مسلمي أفريقيا الدارسين في الجامعات الإسلامية والعربية حمل راية هذا العمل الحضاري السامي. لا مانع من عرض المشاركة في هذه الدراسات الأفارقة غير المسلمين لأنها ثقافة الوقاية للجميع.

الإسلام ونشوء الإمبراطوريات الأفريقية

أقدم للقارئ، في عجالة (في هذا الفصل) صورة موجزة عامة للإسلام والمسلمين في أفريقيا جنوب الصحراء قديمًا وحديثًا، منذ دخلها الإسلام في القرن الثاني الهجري (القرن الثامن الميلادي) إلى اليوم أي منذ ١٢٠٠ عام، حتى يكون القارئ الأفريقي والعربي على علم ووعي بالإسلام والمسلمين في هذا الجزء الهام من أفريقيا. للدلالة على الوزن الحضاري التاريخي لمسلمي أفريقيا.

لا ريب أن أبرز الحقائق التي يمكن أن يخرج بها باحث أو دارس أو قارئ عادي للتاريخ الأفريقي والوعي به؛ هي أن المالك والكيانات القبلية والتجمعات الشعبية المتناثرة في البلاد جنوب الصحراء الأفريقية منذ فجر التاريخ، لم تكتسب السمات الحضارية بشكل سياسي أممي، إلا من بعد ما جاءها الإسلام ونفخ فيها روح النهضة، وألبسها تاج الحضارات الراقية توارثت ذلك التاج الروحي الثقافي العلمي عدة ممالك أفريقية فازدهرت وارتقت، وأذنت بنشوء حضارات أفريقية راقية في ربوع كل من غرب أفريقيا ووسطها، وشرق جنوبها، ناظرت مثيلاتها الإسلامية في الشرق ومثيلاتها في الغرب، بل وتفوقت على الحضارات الغربية في بعض جوانبها كما يؤكد بعض المؤرخين(*) ففي

(*) لقد شهد القرنان التاسع عشر والعشرون نموًا كبيرًا في الدراسات عن تاريخ أفريقيا، حيث نالت اهتمامًا دوليًا لم تحظ قارة أخرى بمثله، تناولتها أقلام الغرب والعرب والآسيويون في سياق عدة مناهج تاريخية، وأنشئت لهذه الدراسات معاهد متخصصة وكليات جامعية حملت كلها عنوان الدراسات الأفريقية، وقد أخذ الباحثون في جميع أنحاء أفريقيا والعالم يستفيدون من جميع مصادر المعرفة ومن التفاصيل التاريخية الصغيرة ووضعها في إطار معين، وفي سبيل ذلك تم الاهتمام بالعلوم الأخرى المتداخلة، فاستفادوا من علم السلالات لترتيب بعض نواحي الثقافة الأفريقية، وعلم اللغات وعلم الآثار، ولقد تجاوزت هذه الدراسات كلها حدود الجدل السائد قبل



غرب أفريقيا *West Africa* قامت ثلاث إمبراطوريات إسلامية عظيمة نالت شهرة تاريخية وعالمية، فيما بين القرن الثامن الميلادي حتى نهاية القرن السادس عشر، ثم تبعتها ممالك إسلامية صغيرة، لم تكن أقل شهرة من الناحية الحضارية عن الإمبراطوريات السابقة عليها، ما بين القرن الثامن عشرة حتى نهاية القرن التاسع عشر الميلادي، ثم خلت الساحة الإفريقية من أي مملكة إسلامية بمفهوم الدولة والحكومة طوال القرن العشرين بفعل الاستعمار الغربي الذي قضى على تلك الكيانات الإسلامية في كل أنحاء القارة.

=

القرن التاسع عشر في الغرب في عدم وجود تاريخ حضاري لأفريقيا إلى البحث في مستوى رقي هذه الحضارات وتقدمها، ولقد خرجت معظم هذه الدراسات بنتائج أن الحضارات الإسلامية الأفريقية كانت أرقى من حضارات أوروبا الغربية في تلك الفترة كما أكد ذلك بعض كتاب الغرب أنفسهم، ولقد نقل مؤرخنا الكبير الدكتور أحمد شلبي عن *word* قوله: (إن الحضارات في السودان الغربي كانت أرقى من حضارة غرب. أوروبا) انظر: الجزء السادس من موسوعته للتاريخ الإسلامي في أفريقيا، (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ط ١٩٨٣٤ك) ص٣٧٥، انظر أيضًا: أحمد طاهر، أفريقيا فصول من الماضي والحاضر (القاهرة: دار المعارف، ١٩٧٥) ص١٢-١٤.

(٢) الإمبراطوريات الإفريقية الإسلامية بجنوب الصحراء

ولعل أولى هذه الإمبراطوريات وأقدمها في أفريقيا جنوب الصحراء هي:
«مملكة غانة المبكرة *The Early kingdom of Ghana*» التي ترجع نشأتها إلى فترة ما قبل ميلاد المسيح عليه السلام. حسب إشارات بعض الدراسات والتي تحولت فيما بعد بالإسلام إلى امبراطورية غانة الإسلامية *The Islamic Empire of Ghana* في الفترة من ٧٧٠-١٢٤٠»[(١)] ثم إمبراطورية مالي الإسلامية «*The Islamic Empire of Mali* ١٢٦٠-١٤٦٨)[(٢)] فـ: (إمبراطورية صنغى الإسلامية:
«*The Islamic Empire Songay*» ١٤٠٠-١٥٩٠م [(٣)]، وأما في وسط أفريقيا فقد قامت إمبراطوريات في وقت متزامن مع إمبراطوريات غرب أفريقيا، الثلاثة المذكورة آنفًا وأهمها (إمبراطورية البرنو الإسلامية
«*The Islamic Empire of Borno*» ٨٥٠-١٨٤٦هـ»[(٤)] والتي أقامها بعض سلاطين «مملكة كانم *The kingdom of Kanim*» في نفس المنطقة،

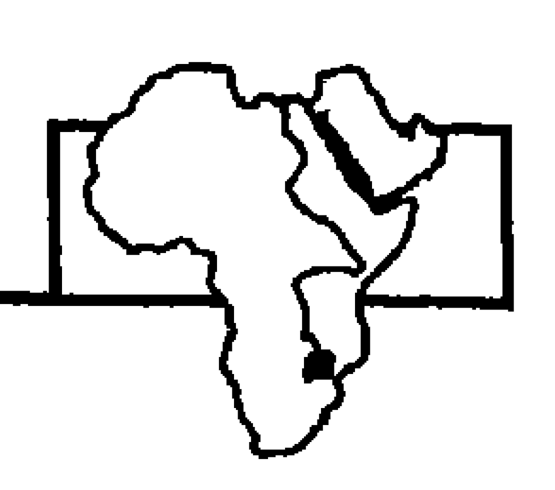
---

(1) انظر: د/ إبراهيم علي طرخان، إمبراطورية غانة الإسلامية، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للتأليف ١٣٩٠هـ-١٩٧٣).

(2) انظر: د/ إبراهيم علي طرخان دولة مالي الإسلامية (القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٣).

(3) انظر: د/ إبراهيم علي طرخان، إمبراطورية البرنو الإسلامية (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٥).

(4) انظر: د/ أحمد شلبي: موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية: الجزء السادس الخاص بالإسلام والدول الإسلامية جنوب صحراء إفريقية، منذ دخلها الإسلام حتى الآن، وهذا الجزء تناول جميع إمبراطوريات الإفريقية الإسلامية (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية ط٤، ١٩٨٣م) ص٢٥٧.



تلكم الممالك الإفريقية الإسلامية الكبرى المبكرة، في غرب أفريقيا ثم تلتها ممالك إسلامية إفريقية صغيرة في العصور المتأخرة كالتالي:

«دولة دان فوديو الإسلامية *Islamic state of Dan fodio* «١٨٠٤-١٩٠٣م[1]».

«دولة فوتي الإسلامية *The futiy Islamic state* ١٨٣٨-١٨٩٠م»[2].

«دولة ماسينا الإسلامية *Masina Islamic State* ١٧٩٥-١٨٩٩)[3].

«دولة ساموري الإسلامية *SamoriToure Islamic State* ١٨٨١-١٩٠٠»[4].

ولقد تزامنت هذه الدول الإسلامية دويلات إسلامية لا تحصى بجانبها في غرب أفريقيا مثل دويلة أحمدو تال *Ahmoadu Tal Islamic State* ودويلة الأمين دمبا الإسلامية *Lamin Damba Islamic State* وغيرها

---

(1) د/ حسن عيسى عبد الظاهر، الدعوة الإسلامية في غرب إفريقية وقيام دولة الفولاني (القاهرة الزهراء للإعلام العربي، ط١١ ١٤١٢هـ-١٩٩١م).

(2) انظر: د/ عبد الله عبد الرازق إبراهيم، المسلمون والاستعمار الأوروبي لأفريقيا، الكويت: عالم المعرفة لعدد ١٣٩، ذو القعدة ١٤١٩هـ-يوليو ١٩٨٩م) ص٧٩ خاص بالإمبراطورية التوكولور.

(3) انظر: عثمان برايماباري، جذور الحضارة الإسلامية في الغرب الإفريقي، القاهرة: دار الأمين للطبع والنشر والتوزيع ط١ ١٤٢١هـ-٢٠٠٠) ص١٥٧.

(4) انظر: المسلمون والاستعمار الأوروبي لأفريقيا، مرجع سابق ص١٥١.

انظر أيضًا: *Basil Davidson, Africa in history Ibid* إمبراطورية غانا ص٩٥ مالي وصنغى ص١٠٢.

من الدويلات الإسلامية التي كانت منتشرة في هذه المناطق.

وأما الممالك الصغيرة التي قامت في وسط أفريقيا، كانت أشهرها (مملكة رابح الإسلامية *Raabih* ١٨٧١ - ١٩٠٠م)[١] وبجانبها دويلات إسلامية مثل دولة واداي *waday Islamic state* الإسلامية[٢] وغيرها من الدويلات التي قامت في المناطق المحيطة ببحيرة تشاد شمالها وشرقها وغربها وجنوبها.

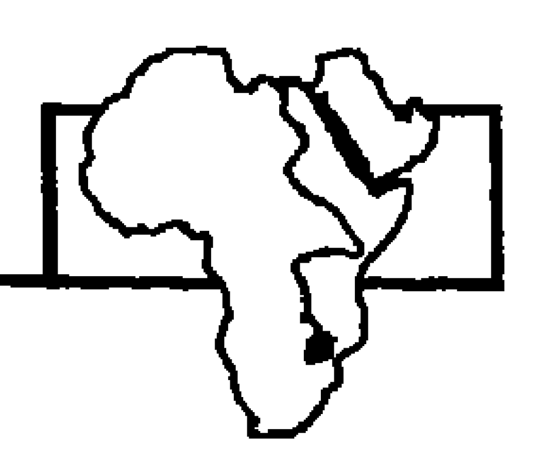
وأما في الشرق من حيث السودان والصومال والحبشة وساحل المحيط الهندي الإفريقي أي جنوب شرق أفريقيا من حيث كينيا وتانزانيا وموزمبيق الحالية، فقد قامت بها أقدم مملكة إسلامية بل إمبراطورية كان لها عميق الأثر في الحركات الحضارية في هذه المناطق: وهي مملكة زنج الإسلامية *«The Zinj Kingdom* ١٠٠٠-١٦٠٠م)[٣] أي من القرن العاشر حتى القرن السادس عشر والتي اتخذت مدينة كلوة؛ في أقصى الجنوب الشرقي عاصمة لها، وهي تقع في نطاق دولة تنزانيا الحالية، ويرجع إلى هذه المملكة الإسلامية فضل ظهور ونمو مدن اقتصادية كبرى على امتداد ساحل المحيط الهندي الإفريقي من الصومال حتى موزمبيق، مثل كويلماني *Quelimane* وماليندي *Malindi* وومباسا *Mombasa* ومقديشيو *Magadishio*

---

(1) انظر: المسلمون والاستعمار الأوروبي لأفريقيا، مرجع سابق، ص١٨٢ خاص بالرابح فضل الله.

(2) انظر: كولين ماكيفيدي أطلس التاريخ الإفريقي، ترجمة: مختار السويفي (القاهرة: الهيئة العامة للكتاب، ١٩٨٧م) ص ١٤٣.

(3) انظر: المرجع السابق، ص٩٢.



وازدهار جزيرة زنجبار *Zangibar*[١] وحتى حضارة زيمبابوي «*Zimbabwe*»[٢] التي نشأت غير مسلمة لكنها ازدهرت حضاريًا بسبب صلتها بالحضارات الإسلامية التي تجاورها في جنوب شرق أفريقيا: وصلتها التجارية والاقتصادية بها، وكذلك وجدت حضارات إفريقية غير مسلمة في غرب أفريقيا ولكنها ازدهرت بفضل احتكاكها بالحضارات الإسلامية المجاروة لها، مثل حضارة بنين *Benin* [٣] التي كانت ذات صلة وثيقة بالحضارات الإسلامية بشمال نيجيريا مثل: كانم والبرنو الإسلاميتين في وسط أفريقيا.

هذه الإمبراطوريات والدول الإسلامية المذكورة آنفًا كانت جميعها واجهة للحضارة الإفريقية الإسلامية أنارت جنيات حياة الشعوب الإفريقية ونفخت فيها روح الإسلام وروح النهضة فنهضوا ونظموا تلك الحضارات على أسس من العقيدة والثقافة الإسلامية، وعلى نهج حضاري إسلامي في فكرها وسياستها وإدارتها ونظمها التشريعية والعسكرية، وحتى المعمارية، لذا لم يكن غريبًا أن خاضوا جهادًا مريرًا دفاعًا عن الإسلام وحماية لحضارات بلادهم من الغزو الوثني والاستعماري اللذين كانا يحاولان القضاء على تلك الحضارات الإسلامية.

إن الذين بنو تلك الحضارات، هم السلاطين الأفارقة المسلمون ومعهم شعوبهم الإفريقية المسلمة، وليست من صنع الأجانب الغزاة بل شيدتها الأيادي الإفريقية، نظموها بأنفسهم ودافعوا عنها بأنفسهم[*] وكانت حضارات ذات

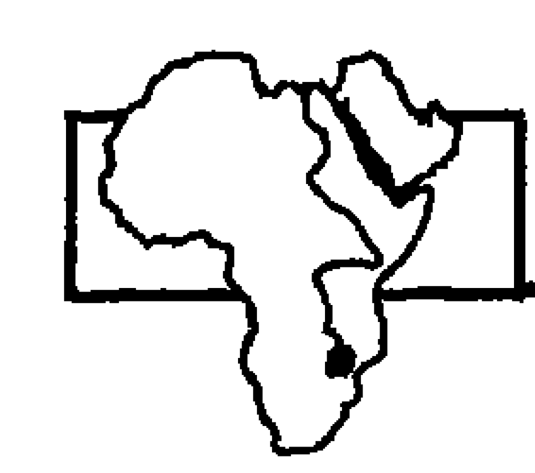
---

(1) انظر: المرجع نفسه ص٦٦.

(2) انظر: نفس المرجع ص٩٨.

(3) انظر: أفريقيا في التاريخ مرجع سابق.

(*) الآن اعترف الغرب والشرق وجميع أمم العالم بقدرة الإنسان الإفريقي، وأن الأفارقة كانوا بناة الحضارات في مختلف الأزمنة التاريخية واعترفوا أيضًا برقي تلك الحضارات =



ملامح وسمات إسلامية وعربية، باعتبار أن العرب كانوا هم حملة شعلة الهداية والحضارة إليها قبل أن يحلم الغرب باستعمار أفريقيا بقرون عديدة.

٣- روح الإسلام:

فإذا كان مسلمو أفريقيا هم الذين أقاموا تلك الحضارات ونظموها على أسس إسلامية، فإن ذلك يعني بكل معنى الكلمة أن الإسلام كان المؤثر الرئيسي في بنيتها الفكرية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية والتشريعية وكانت تلك الحضارات انعكاسات لاعتناق الأفارقة الإسلام عقيدة وشريعة ونظامًا للحياة ومنهاجًا، والتي أثرت في نفوسهم وكيانهم، بدليل أن الدويلات الوثنية الأفريقية بقيت أقل تقدمًا من الدويلات الإسلامية وأن الدويلات الوثنية التي ازدهرت إلى حد ما كانت بتأثرها بالمدنية الإسلامية المجاورة لها.

ومما سبق يتضح لنا أن مسلمي أفريقيا والعرب هم بناة الحضارات الأفريقية الإسلامية التي كانت حضارات نزيهة جدًا.

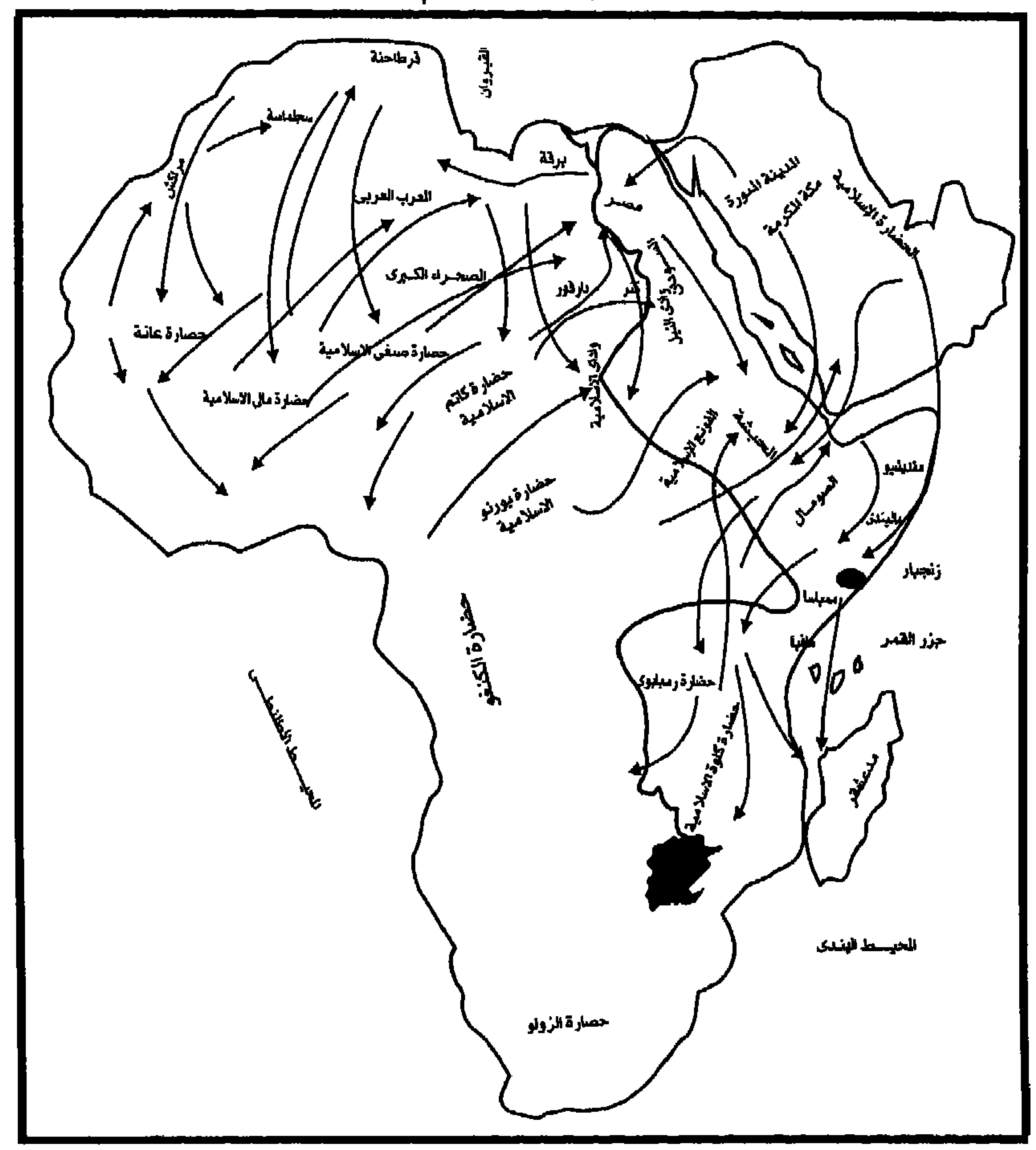
وبالتالي يجب أن يكون لمسلمي أفريقيا دور فعال في بناء الحضارة الأفريقية الجديدة في الاتحاد الأفريقي، وألا يتركوا الحبل على الغارب لثقافات الغرب الفاسدة تفتك بالأفريقيين.

=

وتقدمها وقدرة الأفارقة في التنظيم الإداري والاجتماعي والثقافي والعسكري وفوق ذلك قدرتهم على تحقيق العدالة وإطلاق الحرية والاحترام الآدمي للإنسان وعلى أعلى الحس الإنساني إلخ، لذا فإن التصحيح الأول للتاريخ الأفريقي الذي شارك فيه مؤرخو وعلماء أفريقيا والعالم تحت إشراف اليونسكو كان إقرارًا واعترافًا بتلك الحضارات ورقيها.

انظر: مجلدات تاريخ أفريقيا العام: *Genral history of Africa* سبق ذكره.

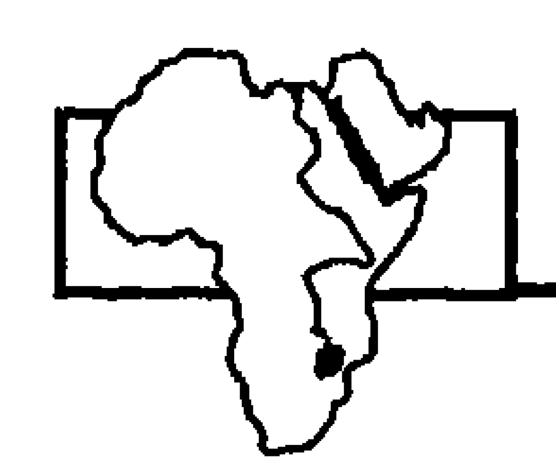
الخريطة رقم (١٠)



هكذا كانت القارة الأفريقية زاخرة بالحضارات

والحركات الاقتصادية والثقافية والعلمية والاجتماعية قبل مجيء الأوروبيين

(*) وادعاء الغرب بأنه اكتشف القارة الأفريقية أو مناطقها يثير الدهشة ، فكما هو موضح في هذه الخريطة لم تكن شعوب القارة مجهولة عن بعضها البعض ولا هي مجهولة للعالم العربي، ولا لشعوب آسيا، ولكنها كانت مجهولة بالنسبة لأوروبا؛ لأنها كانت متخلفة عن غيرها في تلك العصور، وكانت أوربا لا تعرف شيئًا خارج نطاق القارة الأوروبية، لذلك عندما وفدت إلى أفريقيا كان اكتشافًا بالنسبة لها، رغم أنها وجدت بها حضارات راقية.



الوزن العددي لمسلمي أفريقيا

مؤشرات إسلامية القارة الإفريقية اليوم:

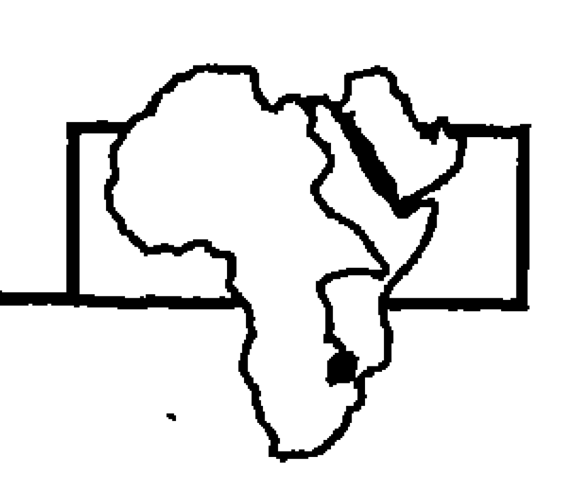
يستند الدارسون المسلمون في تسميتهم لأفريقيا بالقارة الإسلامية، إلى أنها القارة الوحيدة التي يدين غالبية سكانها بدين الإسلامي، بنسبة (٦٥٪) تقريبًا ولم يستندوا إلى العدد المطلق، فقارة آسيا تضم أعدادًا للمسلمين تفوق مسلمي أفريقيا عددًا، إذ يبلغ «عدد مسلمي آسيا» حوالي ٧٥٣مليون، سبعمائة وثلاثة وخمسون مليون مسلم، حسب إحصائيات ١٩٨٥) ورغم هذا العدد الهائل لمسلمي قارة آسيا، إلا أنهم يمثلون ٢٤٪ فقط من سكان آسيا البالغ ٣٠٩٦٠٨ مليون نسمة أي ثلاثمائة ألف مليون فما فوق بينما يبلغ عدد مسلمي القارة الإفريقية العرب والأفارقة معا حوالي ٢٨٧,٩ مليون مسلم ورغم ذلك فإنهم كانوا يمثلون (٥٥٪) من سكان القارة الإفريقية البالغ حينئذ ٩ ,٥٥٤ مليون نسمة حسب إحصائيات الثمانينيات من القرن العشرين.

ويتضح لنا من إحصائيات توزيع سكان المسلمين في قارات العالم بالمليون خلال الثمانيات[1]: إن قارة آسيا تضم العدد الأكبر من المسلمين في العالم، إذ يبلغ عددهم ٧٥٣ مليون نسمة لكن بنسبة أقل حيث تبلغ (٢٤٪) فقط من سكانها البالغ ٣٠٩٦٠٨ مليون نسمة عام ١٩٨٥م.

وتأتي القارة الإفريقية بعد آسيا من حيث حجم سكانها المسلمين إذ يبلغ عددهم ٩ ,٢٨٧ مليون نسمة عام ١٩٨٥، أي بنسبة أكبر بكثير من نسبة

---

(١) انظر: ياسين محمد مراد: سكان العالم الإسلامي، توزيعهم الجغرافي ولغاتهم، في التقرير العام للمؤتمر الإسلامي الدولي للسكان في العالم الإسلامي القاهرة: المركز الدولي للدراسات والبحوث السكانية، جامعة الأزهر رجب ١٤٠٧هـ مارس ١٩٨٧) ص٩٢.



مسلمي آسيا، إذ يبلغ (٥٢%) من إجمالي سكان القارة البالغ (٥٥٤،٩) مليون نسمة عام ١٩٨٥)[*].

٢- معدلات الزيادة في سكان المسلمين:

وتجدر الإشارة إلى أن السكان المسلمين يزدادون بمعدلات أعلى من غيرهم في القارة الإفريقية بل وفي قارات العالم أيضًا حسب اعترافات مراكز إحصاءات دولية[(١)]، وقد قدر المركز الدولي للسكان في سان دييغو بولاية كاليفورنيا بالولايات المتحدة الأمريكية عدد المسلمين في عام ١٩٨٨م بـ ٩٨٠ مليون من أصل ٥٠٢ مليار نسمة من إجمالي السكان العالم حينذاك وتوقع الخبراء «وعلماء السكان: الديمغرافيون» في هذا المركز أن يرتفع عدد المسلمين عام ٢٠٢٠ عام (ألفين وعشرين) من ١٨% من سكان العالم إلى ٢٥% لكنهم عزوا ذلك إلى عامل واحد فقط، وهو النمو والتزايد النسلي أي معدلات الولادة فقط، أي أن المسلمين أكثر الناس تناسلاً بين شعوب العالم حسب اعتقادهم فمعدل الولادة هو بنسبة ٤٣ طفلاً لكل ألف مسلم مقابل ٣٤ طفلاً في دول العالم الثالث و١٣ طفلاً في العالم الصناعي الغربي[(٢)] وهؤلاء الأمريكيون تجاهلوا بصفة متعمدة عوامل أخرى مهمة جدًا، ألا وهو تزايد دخول غير المسلمين الإسلام في كل أنحاء العالم، بمعدلات مضطردة.

(*) ولمزيد من المعلومات عن هذه المؤشرات انظر: د/ حورية مجاهد - الإسلام في أفريقا، مرجع السابق.

(١) انظر: د/ محمد علي ضناوي، الأقليات الإسلامية في العالم (القاهرة: مؤسسة الريان للطباعة والنشر ١٤١٢هـ-١٩٩٢م) ص٥.

(٢) انظر: المرجع السابق، ص٥.

أما في أفريقيا جنوب الصحراء فيمكن التأكيد على عدة عوامل تجعل معدلات النمو السكاني لدى مسلميها أكبر بكثير من المعدلات المسجلة والمعلنة رسميًا بالدول الإفريقية، والتي تحجم عن ذكر العدد الحقيقي لمسلميها، هذه العوامل تجاهلتها أجهزة الإحصاء الإفريقية كما قلنا بطريقة متعمدة، وعن قصد، الأمر الذي يجعل التعداد غير دقيق بالنسبة للمسلمين في جنوب القارة ونحدد هنا ثلاثة عوامل أساسية ونترك للقارئ الحكم ألا وهي:

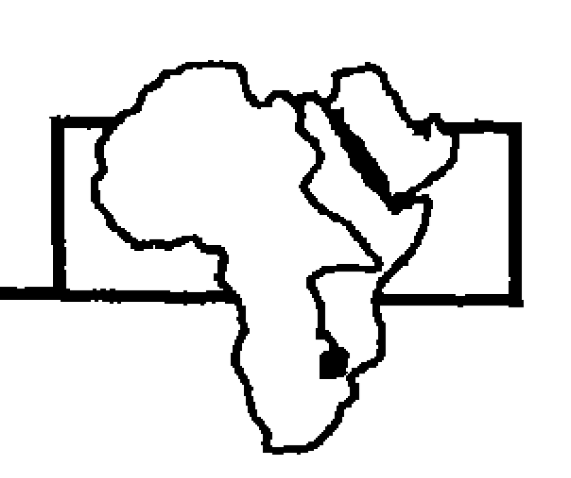
١- العامل الاجتماعي لدى المسلمين.

٢- العامل الحركي الإسلامي.

٣- العامل الثقافي والفكري.

أولاً: العامل الاجتماعي لدى مسلمي أفريقيا جنوب الصحراء، فعادات الزواج بأربع زوجات أو بثلاث زوجات أو بزوجتين، لا يزال الطابع الاجتماعي السائد في المجتمعات الإسلامية في الدول الإفريقية، وبالتالي تعتبر من العوامل المؤثرة مباشرة في عدد الأطفال الذين يتم إنجاهم لكل أسرة مسلمة -لا نقول عائلة- ويأخذ هذا الطابع الاجتماعي مظاهر عدة يتعين في بعضها على أئمة المسلمين وعلمائهم وأعياهم أن يكملوا أربعًا في عدد زوجاهم، مع إمكانية الزواج بأكثر من أربع زوجات في حياته، بأن يتزوج بأخرى إذا حدث طلاق أو وفاة لإحدى زوجاته الأربع، وكذلك نجد هذه العادات الاجتماعية، لا تقتصر على الفئات التقليدية من المجتمعات الإفريقية الإسلامية إنما هذه الظاهرة تشمل فئات الشباب المثقفة المتعلمة حيث الجمع بين زوجتين يعتبر أمرًا مألوفًا لدى جميع مسلمي أفريقيا(١).

(1) انظر: نعيم قداح: أفريقيا الغربية في ظل الإسلام (الجزائر: الشركة الوطنية للنشر =



لذا فليس من المتوقع أن تتساوى معدلات النمو لدى المسلمين وغير المسلمين في أفريقيا جنوب الصحراء، فأي عدد من الأطفال لغير المسلم فسوف يقابله ضعفه للمسلم، فإذا كان معدلات الإنجاب العادي في أفريقيا هي: ٣، ٤٥ لكل ألف نسمة[١] لدى العامة فإنه لدى المسلمين الخاصة يكون ٦، ٩٠ تقريبًا لكل ألف نسمة هذا وتستند هذه العادات لدى مسلمي أفريقيا إلى مبررات عديدة، منها دينية، على أساس أن الدين الإسلامي يبيح الزواج بأربع زوجات، وأن أكمل الرجال زواجًا بأربع زوجات يكون من أكمل الناس دينا وأولى بالإمامة من غيره، ومنها الطابع الاجتماعي الإفريقي الموروث[٢] من تاريخ سحيق حيث يجتمع الوثنيون مع المسلمين في عادات الزواج بأربع ونجد بعض الملوك الأفارقة يتزوجون بأكثر من عشر زوجات أو أكثر، ومن حسن الحظ أن الوثنيين أكثر الناس دخولا إلى الإسلام، هذا العامل الاجتماعي يتجاهله خبراء وعلماء السكان في أفريقيا.

ثانيًا: العامل الحركي الإسلامي: وأقصد به تحول نسبة غير قليلة من سكان القارة الإفريقية إلى الإسلام بصورة ملحوظة، ففي كل يوم يكسب الإسلام شخصًا أو أكثر من كل ألف نسمة من المسيحيين والوثنيين الإفريقيين وعادة ما يسلم شخص واحد ويتبعه إلى الإسلام جميع أفراد عائلته[٣].

=

والتوزيع ط٢، ١٩٧٥م) ص١٨٣.

(1) *see: Africa South of the Sahara Ah African State (Europa publications 29 Edition 2000.*

(2) انظر: أفريقيا في ظل الإسلام، مرجع سابق، ص١٨٤.

(3) انظر: عمر حسن كاسول: الشباب الإفريقي المسلم والتحديات الثقافية، في تقرير المؤتمر الإسلامي الأول لمشكلات الشباب (القاهرة: المركز الدولي الإسلامي =

ثالثًا: العامل الثقافي الفكري:

ذلك أن المسلم الإفريقي المثقف بالثقافة الغربية أو بالثقافة الإسلامية والعربية، قد يقتنع بالاتجاهات الحديثة نحو تنظيم الأسرة *Family Planning* ويراعى الصحة الإنجابية للأم، من حيث التباعد بين فترات الحمل والولادة، وعدم الزواج المبكر للإناث، فهو مقتنع بهذه الاتجاهات، لأنها في الواقع من موروثات اجتماعية إفريقية عريقة وقديمة، فقد جرت العادة لدى الأفارقة، قبل الإسلام وبعده أن تمكث المرأة سنتين تقريبًا ترضع طفلها، وعادة ما يتم ذلك وهي تقيم عند أهلها.

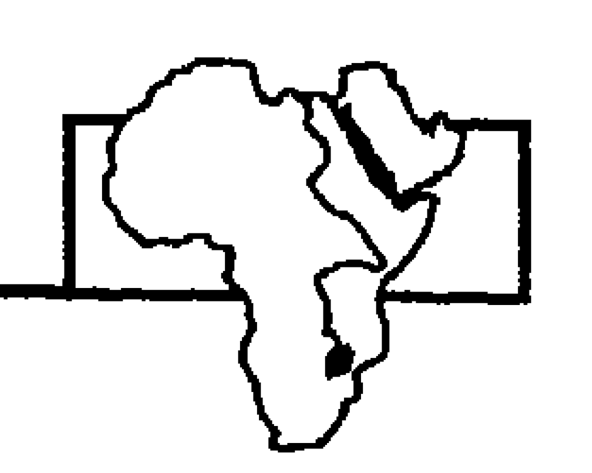
ولا مجال أصلا للحمل في هذه الفترة، وكانت فكرة تنظيم الأسرة متناغمة مع اتجاه الإنسان الإفريقي الفطري، أما أن يحدد نسله بعدد قليل من الأطفال أو بواحد أو بثلاثة فقط، فهذا من الأمور التي لا يقرها الإفريقي، ولا يقبلها المسلم الإفريقي، إلا في حالات نادرة، وفي ظروف خاصة، وهذا لا ينفي وجود المحددين للنسل في المجتمع الإفريقي المسلم، بل وحتى الأفراد العاديين يوجد من يحدد لديهم عدد أقل من الأطفال: إن قصدًا أو بدون قصد.

يتضح لنا من تحليل العوامل الثلاثة السابقة أمران مهمان جدًا:

الأمر الأول: الغموض الذي يحيط بإحصاء وإعلان عن عدد المسلمين في الدول الإفريقية، وخاصة في الدول التي يعتقد في أقلية المسلمين بها، ولا يريد الحكام فيها كشف وذكر حقيقة عدد المسلمين بها مثل غانا وكوتديفوار وبوركينا فاسو وليبيريا وسيراليون وتوجو وبنين وغينيا بساو وفي دول مثل كينيا

=

للدراسات والبحوث السكانية، جامعة الأزهر ١٤٠١هـ-١٩٨١م) ص٤٩٦.



وتنزانيا ويوغندا وزامبيا وملاوي وبوتسوانا وموزمبيق الكنغو الديمقراطية والكنغو كنشاسا.. إلخ.

فنسبة المسلمين طبقًا للعوامل الثلاثة السابقة تكون أعلى مما هي معلنة عنها في تلك البلاد وهذا يعني أيضًا أن مسلمي تلك البلاد ليسو مؤهلين للمشاركة في إدارة شئون بلادهم وخاصة في مجال الإحصاء والعلوم السكانية.

الأمر الثاني: أن نسبة الفئات العمرية (من ١٥-٢٥) فما فوق تقدر بـــ٥٨% من مجموع سكان القارة(١) هذا من جانب، ومن جانب آخر يتوقع أن تكون نسبة الشباب الإفريقي المسلم ضعف نسبة الشباب غير المسلم، طبقًا للعوامل السابقة ومن هنا تكون تسمية القارة بالقارة الإسلامية مقبولة ولها ما يبررها، من حيث العدد وليس من حيث سيادة الإسلام وقيمة الإنسان الإفريقي المسلم بها.

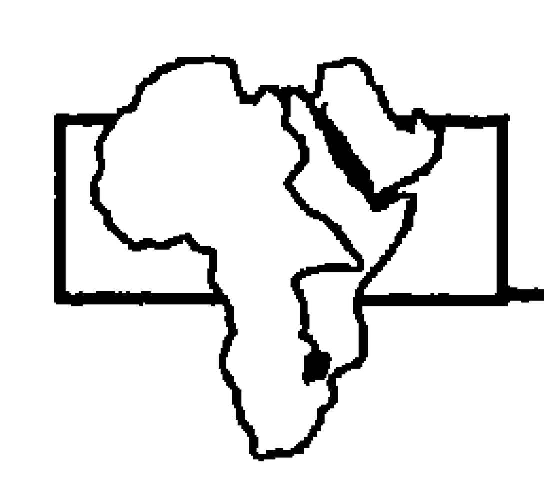
٣- المسلمون في أفريقيا اليوم:

يبلغ عدد الدول الإسلامية بأفريقيا اليوم (الأعضاء في منظمة المؤتمر الإسلامي) ٢٩ دولة يسكنها حوالي ١، ٣٧٣ مليون مسلم، هذا بالإضافة إلى ٥، ٥٨ مليون مسلم آخرين يعيشون كأقليات في ٣٤ دولة وجزيرة إفريقية(٢) وبذلك يرتفع عدد المسلمين بالقارة إلى حوالي ٥، ٤١١ أو ٤٤١ مليون من مجموع سكان القارة البالغ عددهم ٦٩٢ أو ٧٠٠ مليون نسمة عام ٢٠٠٠م وهذا يؤكد التفوق العددي للمسلمين بالقارة وبالتالي اعتبارها قارة إسلامية،

---

(1) *see Unesco Statistical year Book 2000.*

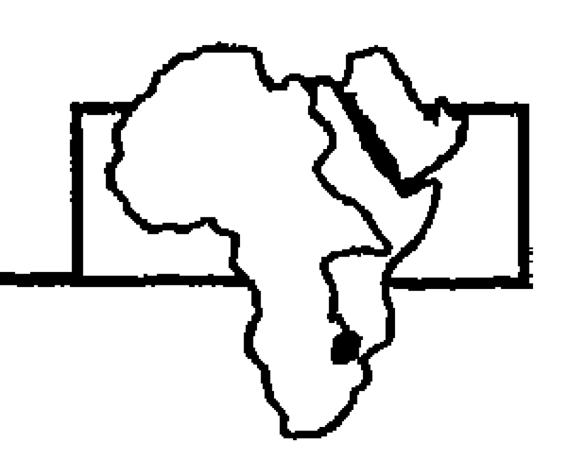
(2) انظر: جمال عبد الهادي وغيره: المجتمع الإسلامي (ب) أفريقيا (المنصورة: دار الوفاء ١٤١٥هـــ١٩٩٥م) ص٢٠.



لذا فسوف نقدم إحصاء عامًا وافيًا عن التوزيع الجغرافي والتوزيع النسبي لجميع الديانات في القارة.

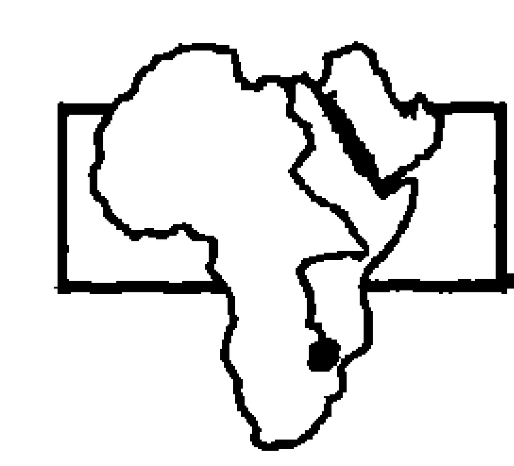
٤- دول القارة الإفريقية اليوم:

بعد استقلال دولة ناميبيا من الاستعمار الإنجليزي في ٢١ مارس ١٩٩٠ والنهاية التاريخية الحاسمة لنظام الفصل والتمييز العنصري في جنوب أفريقيا عام ١٩٩٢م اكتمل استقلال أفريقيا السياسي كلية، ليصل عدد دولها ودول الجزر في مياهها إلى ٥٣ دولة، وكما تنبأت الإحصائيات الديموجرافية بأن سكان القارة سوف بلغ في عام ٢٠٠٠ م ٥، ٧٠٠ مليون نسمة لم تخطئ إلا بقدر ضئيل للغاية إذ يبلغ عدد سكان القارة حوالي ٩٥١، ٧٣٩ مليون نسمة فما فوق عام ٢٠٠٠م.



الخريطة رقم (١١)

خريطة الدول الأفريقية وحدودها السياسية



ثالثًا: أحدث خارطة سكانية للدول الإفريقية ونسب الديانات بها عن إحصائيات عام ٢٠٠٠

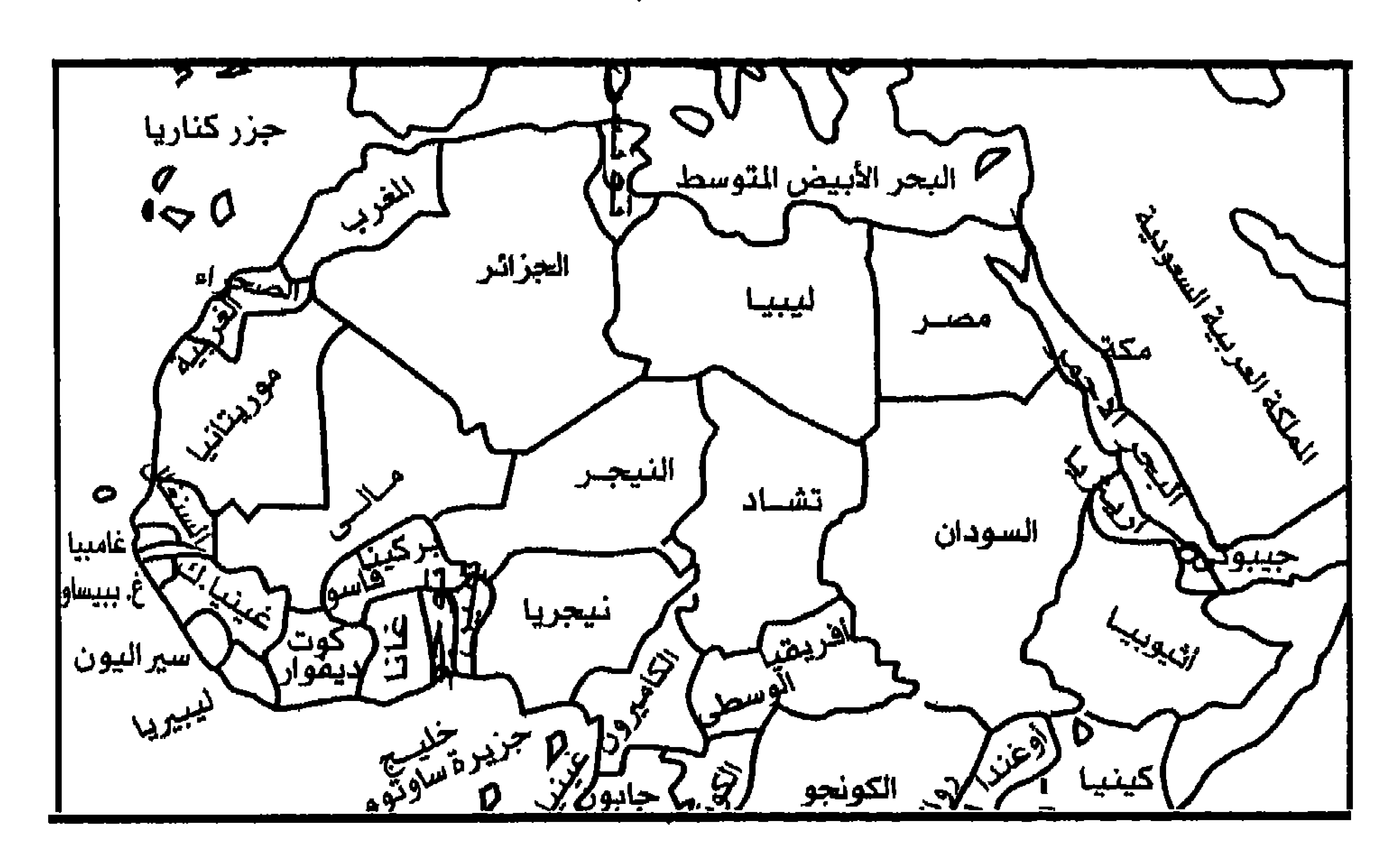
نبدأ بإحصائيات الدول الإفريقية الشمالية الإسلامية على حدة ثم بعد ذلك نقسم بقية الدول الإفريقية إلى ثلاث مناطق أساسية، أي دول غرب إفريقية ودول وسط وجنوب إفريقية، ثم دول جنوب شرق إفريقية.

أولا: دول إفريقية الشمالية الإسلامية (الوطن العربي)

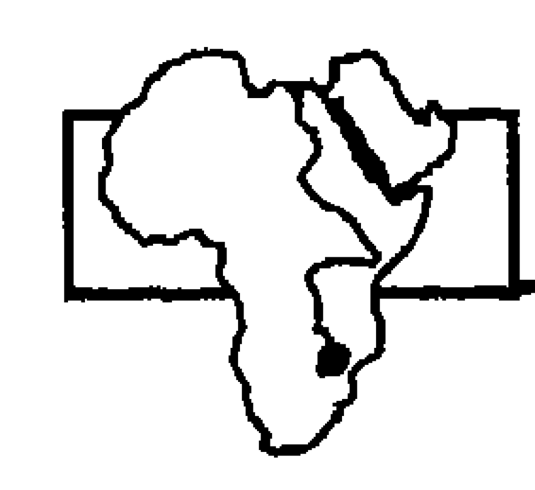
الجدول زقم (١)

م	إسم الدولة Name of the State	العاصمة Capital	اللغة الرسمية of. Language	تاريخ الاستقلال	عدد السكان بالمليون	عدد المسلمين بالمليون	الأديان٪		
							مسلمون	نصارى	وثنيون
١	مصر : Egypt	القاهرة	العربية	١٩٢٢م	٦٦,٥	٦١,٥	٪٩٢,٤	٪٧,٦	--
٢	السودان : Sudan	الخرطوم	العربية	١٩٥٦م	٢٨,٣	٢٤,٠	٪٨٤,٨	٪٥,٢	٪١٠
٣	ليبيا : Libiyan Arab	طرابلس	العربية والبربرية	١٩٥١م	٥,٣	٤,٢	٪٩٦,٢	٪٣,٨	
٤	تونس : Tunisia	تونس	العربية والفرنسية	١٩٥٦م	٩,٣	٩,٢	٪٩٨	٪١,٠	١,٠ يهود
٥	الجزائر : Algeria	الجزائر	العربية والفرنسية	١٩٦٢م	٣٠,١	٣٠,٠	٪٩٩,٠	٪١,٠	-
٦	المغرب : Morocco	الرباط	العربية والفرنسية	١٩٥٦م	٢٧,٤	٢٦,٨	٪٩٧,٠	٪١,٠	٪٢,١٠ يهود
٧	موريتانيا Mauritania	نواكشوط	العربية والفرنسية	١٩٦٠م	٢,٥	٢,٥	٪١٠٠		-
	مجموع سكان دول شمال أفريقية أى الوطن العربى الأفريقى				١٦٩,٤	١٥٣,٢	٪٩٠,٤٣		

خريطة رقم (١٢)



جزر كناريا
البحر الأبيض المتوسط
المغرب
الجزائر
ليبيا
مصر
مكة
المملكة العربية السعودية
الصحراء الغربية
موريتانيا
مالى
النيجر
تشاد
السودان
غامبيا
غ. بيساو
غينيا
بركينا فاسو
نيجريا
كوت ديفوار
غانا
سير اليون
ليبيريا
الكاميرون
أفريقيا الوسطى
أثيوبيا
جيبوتي
خليج
جزيرة ساوتوم
جابون
الكونجو
أوغندا
كينيا



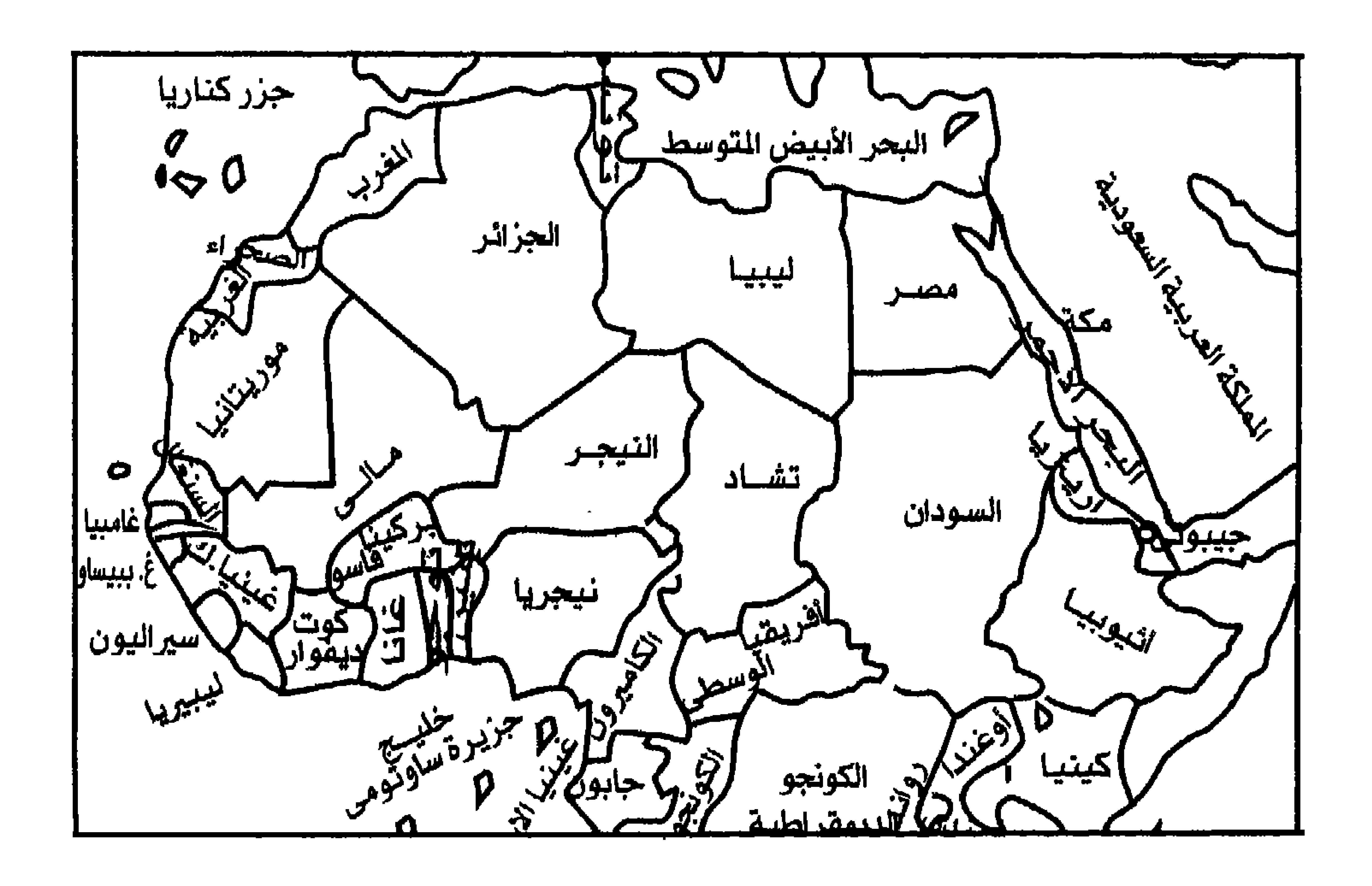
ثانيًا: دول غرب أفريقيا

ومعظم هذه الدول قائمة الآن على تلك الناطق التي كانت تقوم عليها الإمبراطوريات الإفريقية الإسلامية العظمى والدول الإسلامية الإفريقية بعدها والتي سوف نوضحها في الأجزاء اللاحقة:

الجدول رقم (٢)

م	إسم الدولة Name of the State	العاصمة Capital	اللغة الرسمية of. Language	تاريخ الاستقلال	عدد السكان بالمليون	عدد المسلمين بالمليون	الأديان %		
							مسلمون	نصارى	وثنيون
١	السنغال Senegal	دكار	الفرنسية	١٩٦٠	٩,٠	٨,٨٦١	٩٥٪	٢٪	٣٪
٢	مالى Mali	باماكو	الفرنسية	١٩٦٠	١٠,٧	٩,٧	٩٧,٠٪	١٪	٢٪
٣	النيجر Niger	نيامى	الفرنسية	١٩٦٠	١٠,١	٩,٩	٩٨٪	٠,١٪	١,٩٪
٤	نيجيريا Nigeria	ابوجا	الأنجليزية	١٩٦٠	١٢٠,٩	٧٤,٦٨	٦٢٪	٣٠٪	٨٪
٥	غينيا كوناكرى Guinea. K	كوناكرى	الفرنسية	١٩٥٨	٧,٣	٦,٦٥	٩٢٪	١٪	٧٪
٦	غينيا بساو Guinea. B	بيساو	البرتغالية	١٩٧٣	١,٣٢	،٧٩	٦٥٪	٥٪	٣٠٪
٧	غامبيا The Gambia	بانجول	الأنجليزية	١٩٦٥	١,٢	،٩٩,٢	٩٩٪	٠٠٥٪	٠٥٪
٨	السيراليون Sierra Leone	فريتاون	الأنجليزية	١٩٦١	٤,٣٧٠	٣,٦	٧٠٪	٢٠٪	١٠٪
٩	كوت ديفوار Cote. d'voiar	أبدجان	الفرنسية	١٩٦٠	١٤,٣	٨,٣	٥٩٪	٣٠٪	١١٪
١٠	بوركينا فاسو Burkina Faso	وغادوغو	الفرنسية	١٩٦٠	١١,٣	٧,٠	٦١٪	٩٪	٣٠٪
١١	ليبريا Liberia	مونروفيا	الأنجليزية	١٨٤٧	٢,٧	٠,٩٧	٤٩٪	٣٥٪	١٦٪
١٢	غانا Ghana	أكرا .	الأنجليزية	١٩٥٧	١٩,٢	٩,٠	٤٦٪	٤٤٪	١٠٪
١٣	توجو Togo	لومى	الفرنسية	١٩٦٠	٤,٤	٢,٠	٥٠٪	١٠٪	٤٠٪
١٤	بنين Benin	بورتونوفو	الفرنسية	١٩٦٠	٥,٨	٢,٨	٥٦٪	١٤٪	٣٠٪
إجمالي عدد السكان وعدد المسلمين ونسبتهم في غرب افريقيا					٢٢٢,٥	١٤٥,٢٤٣	٦٥,٢٥٪		

الخريطة رقم (١٣)



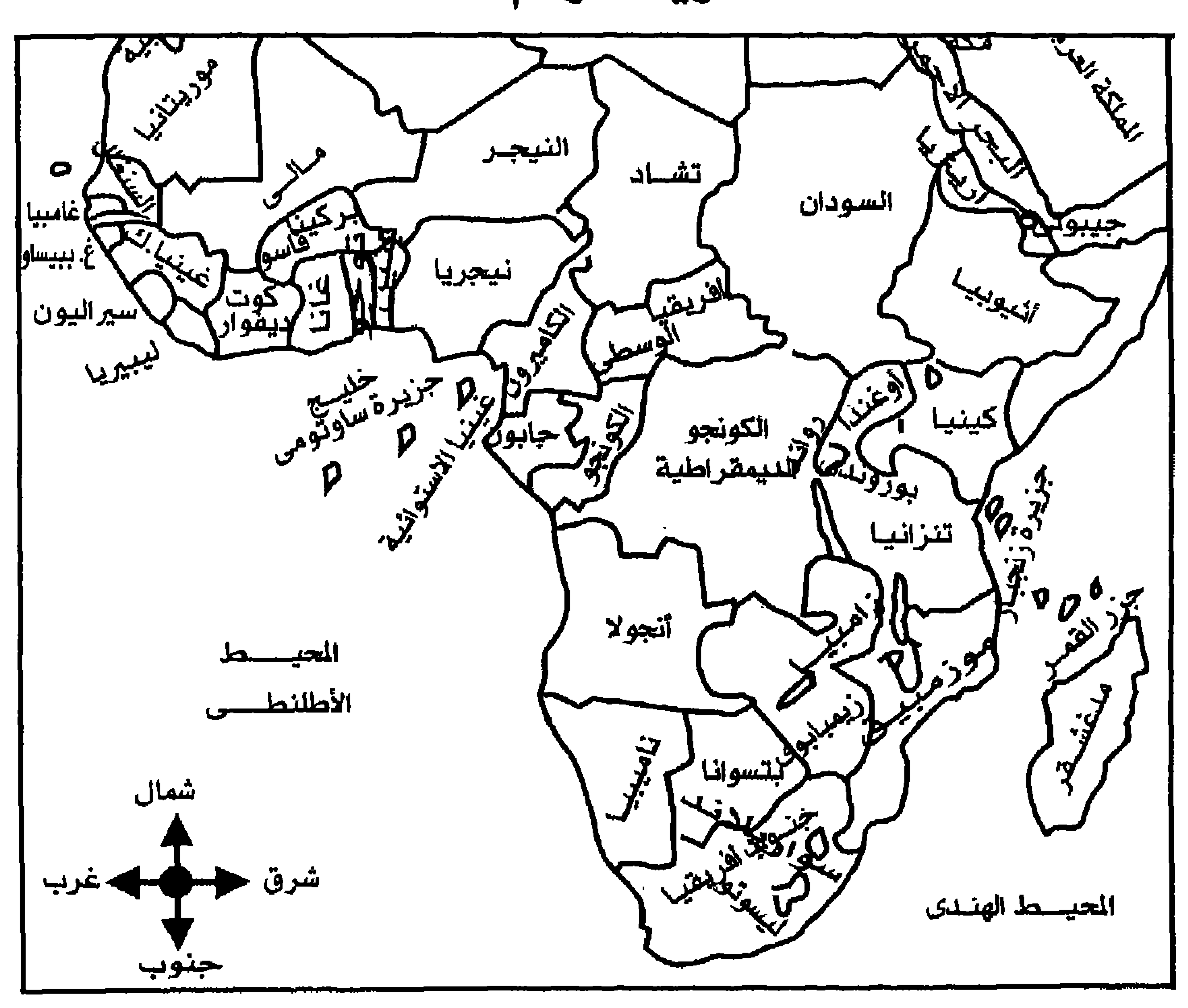
ثالثًا: دول وسط وجنوب أفريقيا

وتضم تشاد، أفريقيا الوسطى، الكاميرون، كنغوبرازفيل، كونغو الديمقراطية، أوغندا، رواندا، بروندي، زامبيا، أنغولا، زمبابوي، ناميبيا، بتسوانا، جنوب أفريقيا، ليسوتو، سوازيلاند، مالاوي، علمًا بأن الإحصائية بعدد المسلمين في هذه الدول هي أقلها دقة في ذكر العدد الحقيقي للمسلمين.

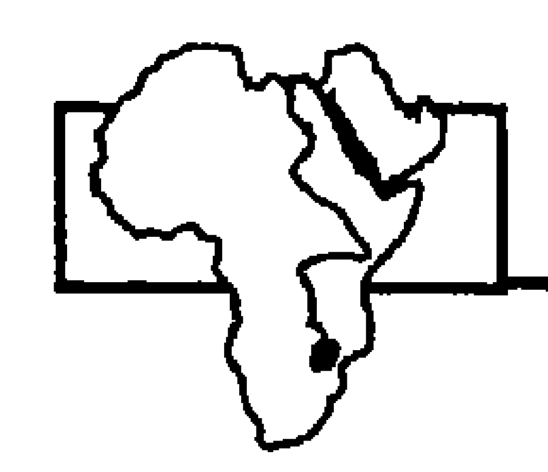
الجدول رقم (٣)

م	إسم الدولة Name of the State	العاصمة Capital	اللغة الرسمية of. Language	تاريخ الاستقلال	عدد السكان بالمليون	عدد المسلمين بالمليون	الأديان ٪ مسلمون	نصارى	وثنيون
١	Chad تشاد	نجامينا	الفرنسية	١٩٦٠	٧،٣	٦،٠	٪٨٢	٪١٠	٪٨
٢	C. Africa. R. افريقيا الوسطى	بانجوى	الفرنسية	١٩٦٠	٣،٠٦٣	١،٧٥	٪٥٧	٪١٣	٪٣٠
٣	Cameroon الكاميرون	يوندى	الفرنسية+الانجليزية	١٩٦٠	١٤،٣	٩،١٢	٪٦٣	٪٢٥	٪١٢
٤	Equ. Guinea غينيا الاستوائية	مالبو	الأسبانية	١٩٦٨	،٥٦	،٢٠	٪٣٥	٪٥٠	٪١٥
٥	Gabon الغابون	ليبرفيل	الفرنسية	١٩٦٠	١،٢٤٩	٠،٦٢	٪٥٠	٪٣٠	٪٢٠
٦	Congo. B. كنغو برازفيل	برازفيل	الفرنسية	١٩٦٠	٢،٨	٠،٨	٪٢٨	٪٤٢	٪٣٠
٧	Congo. D. كنغو ديمقراطية	كينشاسا	الفرنسية	١٩٦٠	٤٩،١	٧،٥	٪١٥	٪٥٥	٪٣٠
٨	Uganda اوغندا	كمبالا	الانجليزية	١٩٦٢	٢٠،٦	١٠،٠	٪٤٨	٪٤٢	٪١٠
٩	Burundi بروندى	بوجومبورا	الفرنسية	١٩٦٢	٦،٥	١،٨٩	٪٢٩	٪٥٠	٪٢١
١٠	Rwanda رواندا	كيجالى	الفرنسية	١٩٦٢	٧،٦	٠،٩٩	٪١٣،٢	٪٦٥	٪٢٢
١١	Zambia زامبيا	لوساكا	الانجليزية	١٩٦٤	٩،٠٩٣	٠،٤٠	٪٤	٪٢٦	٪٧٠
١٢	Angola انجولا	لواندا	البرتغالية	١٩٧٥	١٢،١	١،٨٩	٪١٥	٪٣٥	٪٥٠
١٣	Zimbabwe زمبابوى	هرارى	الانجلزية	١٩٨٠	١١،٤	١،٥٠	٪١٣	٪٤٠	٪٤٧
١١	Namibia ناميبيا	وندهوك	الانجلزية	١٩٩٠	٢،٧	٠،٧	٪٣	٪٥٠	٪٤٧
١٥	South Africa جنوب افريقيا	بريتوريا	الانجلزية	١٩٦١	٤١،٠	٢،٢٠	٪١٥	٪٥٠	٪٣٥
١٦	Lesoto ليسوتو	ماسيرو	الانجلزية	١٩٦٦	٢،١	٠،٠٦	٪٣	٪٤٧	٪٥٠
١٧	Botswana بتسوانا	جابرونى	الانجلزية	١٩٦٦	١،٨٧٦	٠،٠٩	٪٦	٪٢٩	٪٦٥
١٨	Swaziland سوازيلاند	امبابين	الانجلزية	١٩٦٨	٠،٩٤٤	٠،٠٥	٪٦	٪٣٢	٪٦٢
١٦	Malawi ملاوى	ليلنجوى	الانجلزية	١٩٦٤	١٠،٣	٤،٠	٪٣٥	٪٢٥	٪٤٠
١٩	إجمالي عدد السكان وعدد المسلمين ونسبتهم في هذه الدول				٢٠٥،٩٨	٥١،٥١	٪٢٥،٠٣		

خريطة رقم (١٤)



خريطة دول وسط وجنوب أفريقيا



رابعًا: دول جنوب شرق أفريقيا

وهي: إريتريا، جيبوتي، (إثيوبيا: الحبشة) الصومال، كينيا، تنزانيا، موزمبيق، جزر القمر، مدغشقر، ما عدا السودان فقد ضممناها للدول العربية.

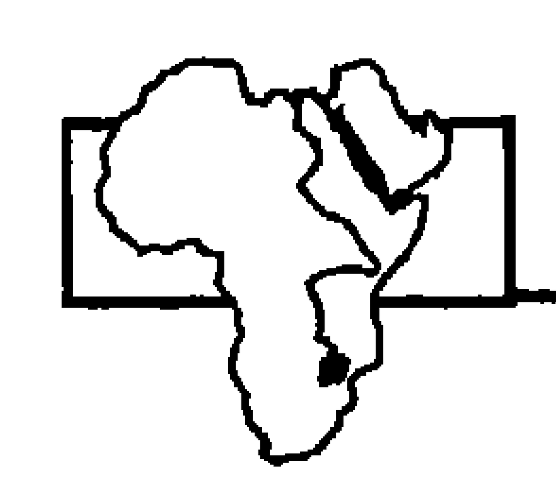
جدول رقم (٤)

م	إسم الدولة Name of the State	العاصمة Capital	اللغة الرسمية of. Language	تاريخ الاستقلال	عدد السكان بالمليون	عدد المسلمين بالمليون	الأديـــــان %		
							مسلمون	نصارى	وثنيون
١	إرتريا: Eritra	أسمرة	العربية والانجليزية	١٩٩٣م	٤,٥٠٠	٣,٣٧٠	٪٧٤,٨٨	٪٢٥,١٢	-
٢	جيبوتي: Djibouti	جيبوتي	العربية والفرنسية	١٩٧٧م	٠,٤٣١	٠,٤٠٥	٪٩٣,٩٦	٪٦,٩	-
٣	الصومال: Somalia	مقديشيو	الصومالية، العربية	١٩٦٠م	٧,٩١٧	٧,١٩٧	٪١٠٠	-	-
٤	اثيوبيا: Ethiopia	اديس ابابا	الانجليزية، امهرية	لم تستعمر	٥٩,٦	٣٨,٨٤	٪٦٥,١	٪٢٢,٠	٪١٢,٩
٥	كنيا: Kenya	نيروبي	السواحلي والانجليزية	١٩٦٣م	٢٩,٧٣	١٠,٦٤	٪٣٦,٣	٪٢١,٠	٪٤٢,٧
٦	تنزانيا Tanzania (U.R)	دار السلام	السواحلي والانجليزية	١٩٦١م	٣٢,١٢	١٧,٨٦٢	٪٥٥,٦	٪١٥,٠	٪٢٩,٤
٧	موزمبيق: Mozambique	مابوتو	البرتغالية	١٩٧٥م	١٨,٩٠	١٠,٩٧	٪٥٦	٪١٠	٪٢٢
٨	جزر القمر: Comoros	موروني	العربية	١٩٧٥م	٠,٧٠٠	٠,٦٥٠	٪٩٢,٨	٪٧,٢	-
٩	مدغشقر: Madagascar	تاناناريف	الملاجاسية، الفرنسية	١٩٦٠م	١٥,١٣	٤,٣٨٣	٪٢٨,٩	٪٢٥	٪٤٦,١
١٠	موريشيوس: Mauritius	بورت لويس	الانجليزية، الكريول	١٩٦٨م	١,٥٠	٠,٣٠٠	٪٢٠,٠	٪٣٠	٪٥٠,٠
	إجمالي عدد السكان وعدد المسلمين ونسبتهم في هذه الدول				١٧٠,٣١	٩٤,٦١٧	٥٥,٦		

الخريطة رقم (١٥)

النيجر
تشاد
السودان
مالى
غامبيا
غ. بيساو
سيراليون
ليبيريا
غينيا
بركينا فاسو
كوت ديفوار
نيجيريا
الكاميرون
أفريقيا الوسطى
جيبوتى
اثيوبيا
أوغندا
كينيا
رواندا
بوروندى
تنزانيا
خليج
جزيرة ساوتومى
غينيا الاستوائية
جابون
الكونجو
الكونجو الديمقراطية
جزيرة زنجبار
جزر القمر
مدغشقر
أنجولا
ملاوى
زامبيا
موزمبيق
زيمبابوى
ناميبيا
بتسوانا
جنوب أفريقيا
ليسوتو
المحيط الأطلنطى
المحيط الهندى
شمال
غرب
شرق
جنوب

خريطة دول الشرق و شرق جنوب أفريقيا

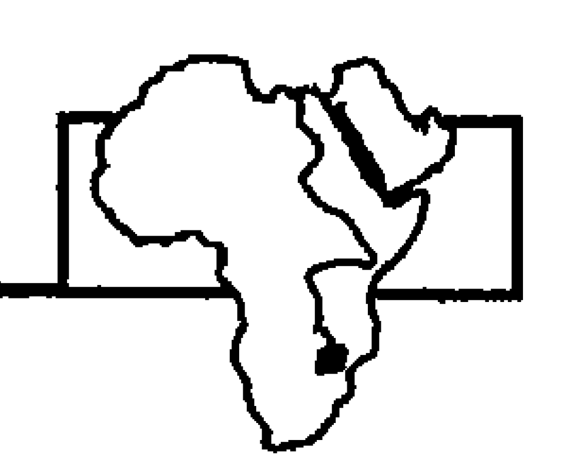


التحليل الإحصائي(*)

كما هو موضح في الجداول الثلاثة السابقة، يلاحظ أن الإسلام ينتشر بكثافة في جميع دول غرب أفريقيا الـ١٤، ولا توجد بها دولة تقل نسبة المسلمين فيها عن ٥٠% ما عدا دولتين فقط، وهما غانا التي سجلت بها ٤٦% وكذلك ليبيريا سجلت بها ٤٩% وفي الإحصائيات الرسمية لبعض دول غرب أفريقيا تقل نسبة المسلمين بها عن ٤٠% وهذا الذي أبدى الباحث فيه شكوكه، ويمكن القول أن بعض دول غرب أفريقيا التي أعلنت بها رسميًا نسب المسلمين ما بين ٥٠-٦٠% فالواقع يثبت غير ذلك، فنسبة المسلمين بها تفوق تلك النسب المعلنة، وذلك للعوامل الثلاثة التي ذكرناها، فبغض النظر عن عدد الأطفال الأكثر الذين ينجبون لأسر المسلمين، فإن نسبة الوثنين الذين يدخلون الإسلام في تلك البلاد في حالات كثيرة أكثر من نسبة الذين يدخلون المسيحية وفضلا عن تحول المسيحيين أنفسهم إلى الإسلام في حالات كثيرة.

فمن المفارقات الغريبة أن تذكر الإحصائيات الرسمية في غانا أن نسبة المسلمين فيها هي ١٢% متمسكين بإحصائيات الستينيات من القرن الماضي وتعلن رسميًا في كل الإحصائيات على طول الأعوام بعد ذلك، وحتى أن النسبة المعلنة للمسلمين رسميًا في غانا عام ٢٠٠٠ هي ١٢% والمسيحيين ٤٢,٨% وللوثنيين ٣٨,٢% واللادينيين ٧% ويمكن تعكيس هذه النسب فتكون

(*) نلفت عناية القارئ إلى أن هذه الإحصائيات عند تجميعها وإعدادها في عام ٢٠٠٠ كان مجموع سكان القارة حوالي ٧٦٧,٢٢٠,٠٠٠ مليون نسمة. سبعمائة وسبعة وستون مليون نسمة. وفي عام ٢٠٠٧ بلغ عدد سكان القارة حوالي ٩٠٠ مليون تسعمائة مليون نسمة، وسوف نقدم إحصائيات عام ٢٠٠٧ مع التقسيم، الاتحاد الأفريقي الرسمي لأقاليم القارة الأفريقية.



للمسلمين ٤٢,٨٪، و ٣٨,٢٪[١] للمسيحيين... إلخ، ونفس الشيء أعلنت رسميًا للمسلمين في نيجيريا أن نسبتهم هي ٤٧,٢٪ [٢] بينما الظاهر والواقع يؤكدان أن نسبة المسلمين تبلغ ٦٧٪ أو أكثر، وفي ساحل العاج جاءت نسبة المسلمين ٣٩٪ حسب إحصائيات عام ١٩٨٨، وإن عجزت هذه الإحصائيات عن إخفاء الحقيقية فذكرت نفس الإحصاءات أن نسبة المسلمين ٦٢٪ [٣] إلا أنها لا تريد أن تذكر التفوق العددي الساحق للمسلمين في كوت ديفوار.

لو سألت أي إنسان عادي في هذه البلاد عن ملاحظاته وانطباعاته عن نسبة المسلمين والمسيحيين لأجابك بأن الغالبية الساحقة بها للمسلمين، ففي غانا سوف يجيبك الناس بـــ ٥٥٪ للمسلمين، وفي نيجيريا سوف يجيبك الناس بها بـــ ٦٨٪ للمسلمين وفي كوت ديفوار ٦٥٪ وهكذا.

فكل مسافر إلى غانا سوف يلاحظ الآتي:

١- أن مناطق تجمع إسلامي بها وهي شمال غانا وإقليمي عليا ومحافظة فولتا وجزء من الإقليم الوسطى تقل بها نسبة المسيحيين رغم وجود هياكل الكنائس بما تبذله حركات التبشير في هذه المناطق الشمالية بينما يمكن ملاحظة كثافة الوجود الإسلامي في مناطق التجمع المسيحي في أقاليم الجنوب مثل إقليم أشانتي وإقليم الغربي والوسطى والشرقي.

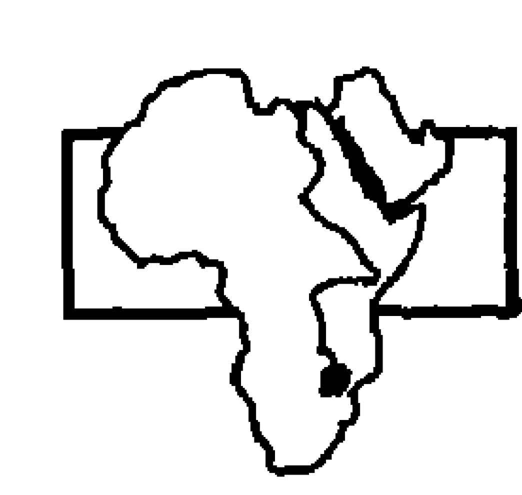
٢- أن أكبر القبائل في غانا لم تكن تعرف إلى الإسلامي طريقًا، وهي قبيلة أشانتي والقبائل المتفرعة منها، أصبحت الآن تدخل الإسلام بقوة

---

(١) *see: Africa South of the Sahara Regional Survey of the world 2000, p.536.*

(2) *Ibid. p847*

(3) *Ibid. p.413*



وعلماؤهم من أنشط الناس في الدعوة إلى الإسلام وأشد حجة على المسيحيين، فأين المجال هنا ليقال أن نسبة المسلمين بها هي ١٢% أو حتى ٤٠% لا شك أن نسبتهم لا تقل عن ٥٠%.

وأما دول وسط وجنوب أفريقيا فكلما بدأنا بوسط أفريقيا نجد الإسلام تتكاثف، فيها دولتان تتراوح نسبة المسلمين بها بين ٦٠-٨٥% وهما تشاد ٨٥% والكاميرون ٦٠% ولكن كلما اتجهنا جنوبًا تضاءلت الكثافة لتصبح النسبة تتراوح بين ٣٥-٥٠% ثم ٢٥%-٣٠% وهذه أيضًا نسبة مشكوكة في صحتها، للأسباب نفسها التي ذكرنا، وكذلك النسب المعلنة للمسلمين في دول شرق أفريقيا مشكوكة في صحتها أيضًا.

إجمالي سكان جنوب الصحراء

المهم يمكن ترتيب أعداد المسلمين ونسبتهم في دول جنوب الصحراء الإفريقية غير الدول العربية على النحو التالي:

إجمالي سكان دول غرب أفريقيا = ٢٢٢,٥ مليون نسمة (إحصائيات ٢٠٠٠).

إجمالي سكان دول وسط جنوب أفريقيا = ٢٠٥,٩٨ مليون نسمة (إحصائيات ٢٠٠٠).

إجمالي سكان دول شرق أفريقيا = ١٧٠,٥٩ مليون نسمة (إحصائيات ٢٠٠٠).

مجموع سكان الدول الإفريقية بجنوب الصحراء ٥٩٩,٠٧ مليون نسمة (حسب هذه الإحصائيات)[١].

---

(١) *Regional Survey of the World 2000.*

إجمالي سكان مسلمي أفريقيا جنوب الصحراء والنسب المئوية لعددهم

- عدد المسلمين في دول غرب إفريقية هو ١٤٥,٢٤٣ مليون نسمة من أصل ٢٢٢,٥ مليون نسمة، بنسبة ٦٥,٢% حسب إحصائيات عام ٢٠٠٠م.

- عدد المسلمين في دول وسط وجنوب إفريقية ٥١,٥٦ مليون نسمة من أصل ٢٠٥,٩٨ مليون بنسبة ٢٥,٠٣%.

- عدد المسلمين في دول شرق إفريقية ٩٤,٥٧٢ مليون نسمة من أصل ١٧٠,٥٩ مليون بنسبة ٥٥,٤٣%.

- مجموع عدد المسلمين في الدول الإفريقية جنوب الصحراء كلها: ٢٩١,٤٢ مليون نسمة من أصل ٥٩٩,٧ مليون نسمة.

- إجمالي نسبة المسلمين إلى إجمالي سكان أفريقيا جنوب الصحراء هي ٥١%.

إجمالي سكان القارة

إجمالي سكان القارة الإفريقية كلها حسب إحصائيات عام ٢٠٠٠ كالتالي:

١- مجموع سكان دول شمال إفريقية العربية الإسلامية = ١٦٩,٤ مليون نسمة.

٢- مجموع سكان دول جنوب الصحراء كلها = ٥٩٩,٠٧ مليون نسمة.

- إجمالي سكان الدول العربية الإفريقية ودول جنوب الصحراء مجتمعة = ٧٦٨,٢٢ مليون نسمة حتى عام ٢٠٠٠.

أي سبعمائة وثمانية وستون مليون نسمة، ومائتان وعشرون ألف نسمة.

إجمالي عدد مسلمي القارة

- مجموع عدد المسلمين في دول شمال أفريقيا العربية = ١٥٣,٢ مليون نسمة.

- إجمالي عدد المسلمين في الدول الإفريقية جنوب الصحراء = ٢٩١,٤٢ مليون نسمة.

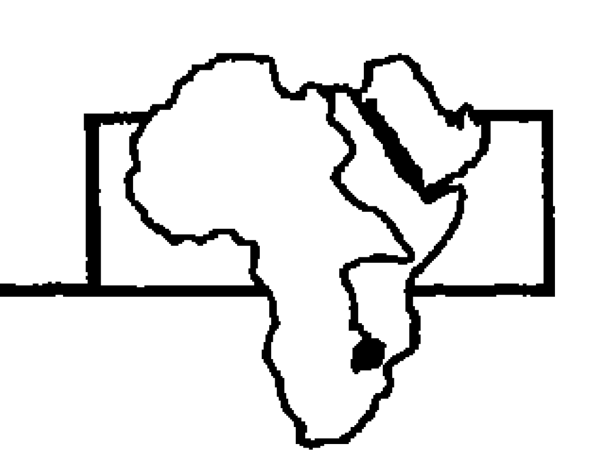
- إجمالي سكان مسلمي القارة الإفريقية = ٤٤٤,٥٧٥ مليون نسمة.
- نسبة مسلمي القارة إلى غير المسلمين هي ٥٧,٨٧% فما فوق.
- عدد غير المسلمين = ٢٩٥,٣٣١ مليون نسمة بنسبة ٤٠% تقريبًا.
- ويتقاسم المسيحيون والثنيون النسبة الـ ٤٠% هذه مناصفة.

تنبيه:

ما ورد في هذه الدراسة الأولية من نسبة سكان مسلمي القارة وهي: ٥٧% مأخوذة من الإحصائيات الرسمية، والتي قد تخطئ كثيرًا في إبراز العدد الحقيقي لمسلمي القارة، بينما تشير التقديرات من الواقع المعاش إلى أن نسبة المسلمين في القارة تتجاوز الـ (٦٠%)(*).

لكن السؤال الذي يطرح نفسه هنا: ما القيمة الاقتصادية والعلمية والسياسية والثقافية لهذا العدد الساحق لمسلمي القارة؟ وهم الأغلبية، ولا يجب الاستهانة بهذا الوزن العددي بل لا يمكن تجاهلهم عند بناء وتنمية القارة إذا ما أريد لها النجاح، ولكن هل بإمكان مسلمي أفريقيا بوزنهم العددي هذا، أن يعيدوا بناء حضارة القارة مستقبلاً كما فعلوا في الماضي؟ أو هل يمكنهم التأثير

(*) جميع الإحصائيات عن سكان القارة مأخوذة من الدراسة المسحية الدولية لسكان الأقاليم وأيضًا من إحصائيات اليونسكو.



في بنائها الفكري والثقافي؟ ومن هم وسائط الفكر الإسلامي والعربي إلى البلاد الإفريقية بجنوب الصحراء الذين سوف يوصلون ويرسخون الفكر الحضاري الإسلامي في قلب الدول؟ وكيف يمكنهم ذلك؟ تلك الأسئلة التي سوف تجيب عليها هذه الدراسة في الأجزاء التالية إن شاء الله.

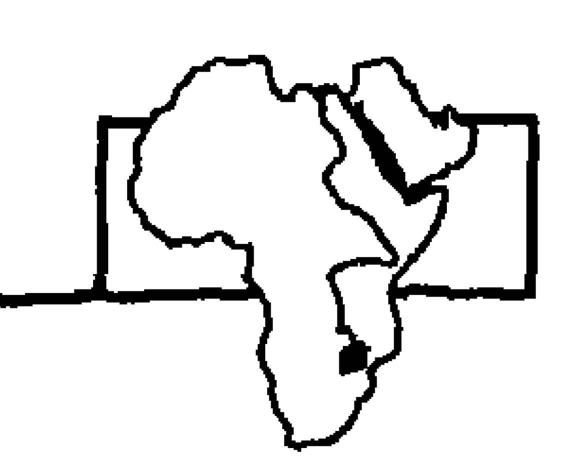
ملحق رقم (١)

تقسيم الاتحاد الأفريقي الرسمي لأقاليم القارة إلى خمس أقاليم

مع إحصائيات ٢٠٠٠-٢٠٠٧

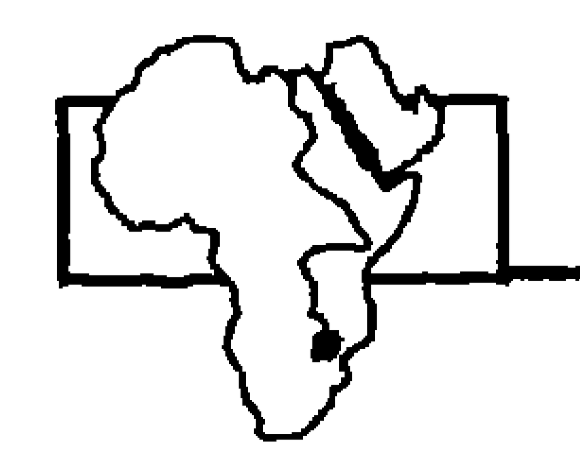
أولاً: دول شمال أفريقيا: ***Part 1: North African states***

م	اسم الدولة *State*	عدد السكان بالمليون	نسبة المسلمين	نسبة المسيحية	نسبة الوثنية	نسب أخرى
١	مصر: ***Egypt***	٧٤,٠٣٣م	%٩٤			
٢	ليبيا: ***Libya A.J***	٥,٨٥٣م	%١٠٠			
٣	تونس: ***Tunisia***	١٠,١٠٢م	%٩٨			
٤	الجزائر: ***ALgeria***	٣١,٥١٢م	%٩٩			
٥	المغرب: ***Morocco***	٣١,٤٧٨م	%٩٨,٧			
٦	موريتانيا: ***Mauritania***	٣,٠٦٩م	%١٠٠			
٧	السودان: ***Sudan***	٣٦,٢٣٣م	%٧٠			
٨	الصحراء الغربية: ***The Western Desert***	٣٤١,٠٥ ألف	%١٠٠			



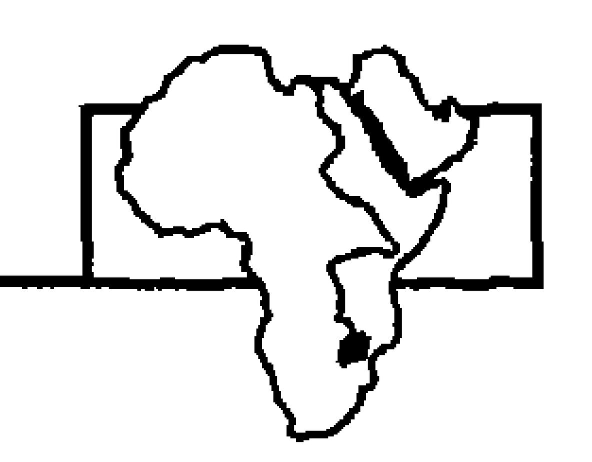
Part2: West African states: ثانياً: دول غرب أفريقيا

م	اسم الدولة State	عدد السكان بالمليون	نسبة المسلمين	نسبة المسيحية	نسبة الوثنية	نسب أخرى
١	نيجيريا: Nigeria	١٣١,٥٣٠م	%٦٠			
٢	مالي: Mali	١٣,٥١٨م	%٩٠			
٣	السنغال: Senegal	١١,٦٥٨م	%٨٠			
٤	النيجر: Niger	١٣,٩٥٧م	%٩٨			
٥	غينيا. ك: Guinea. Ko	٩,٤٠٢م	%٨٥			
٦	غينيا بساو: Guinea Bi	١,٥٨٦م	%٧٠			
٧	غامبيا: The Gambia	١,٥١٧م	%٩٠			
٨	سيراليون: Serra leone	٥,٥٢٥م	%٧٠			
٩	ليبيريا: Liberia	٣,٢٨٣م	%٥٠			
١٠	بوركيا فاسو: Burkina Faso	١٩,٢٢٥م	%٦٠			
١١	غانا: Ghana	٢٢,١١٣م	%٤٦			
١٢	توجو: Togo	٦,١٤٥م	%٦٥			
١٣	بنين: Benin	٨,٤٣٩م	%٥٦			
١٤	كوت ديفوار: Cote D'voure	١٨,١٥٤م	%٥٩			
١٥	الرأس الأخضر: Cap Verde	٥٠٧,ألف	غير وارد			



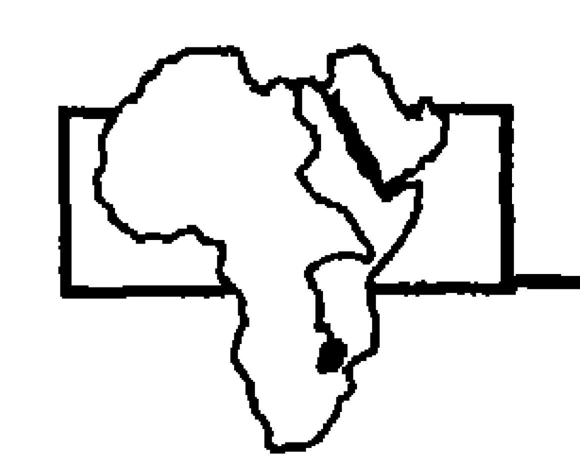
ثالثًا: دول وسط أفريقيا: part 3: Centerial African States:

م	اسم الدولة State	عدد السكان بالمليون	نسبة المسلمين	نسبة المسيحية	نسبة الوثنية	نسب أخرى
١	الكاميرون: Cameron	١٦,٣٢٢م	٦٣%			
٢	تشاد: Chad	٩,٩٤٩	٨٥%			
٣	أفريقيا الوسطى: Central Af.R.	٤,٠٣٨	٥٧%			
٤	الكنغو: Congo	٣,٩٩٩	٢٨%			
٥	غابون: Ghabon	٢,٠٢٢	١٠%			
٦	غينيا الاستوائية: Equatorail Gu	٥٠٤,٥١٩ ألف	٢٥%			
٧	سوتومي: Sao Tome	٠,١٥٧ ألف	غير وارد			



رابعاً: دول شرق أفريقيا: *Part 4: East African States:*

م	اسم الدولة State	عدد السكان بالمليون	نسبة المسلمين	نسبة المسيحية	نسبة الوثنية	نسب أخرى
١	بوروندي: **Burundi**	٧,٥٤٨	%١٠			
٢	جزر القمر: *Comoros Lst*	٧٨٩,٤٩٠ ألف	%١٠٠			
٣	الكنغو الديمقراطية: **D.R. Congo**	٥٨,٣٢٠ م	%٥			
٤	جيبوتي: **Djibouti**	٧٩٣,٥٧٨ ألف	%٩٩			
٥	إريتريا: **Eritrea**	٤٦٠,٧٠٠ ألف	%٦٠			
٦	أثيوبيا: **Ethiopia**	٧٧,٤٣٠	%٤٥			
٧	كينيا: **Kenya**	٣٤,٢٥٦	%١٥			
٨	مدغشقر: **Madagascar**	١٨,٦٠٦	%١٠			
٩	روندا: **Rwanda**	٩,٥٣٨	%٤,٦			
١٠	سيشل: **Seychelles**	٨٥,١٢٠ ألف	غير وراد			
١١	الصومال: **Somalia**	٩,٥٥٠	%١٠٠			
١٢	تنزاليا: **Tanzania**	٣٨,٣٢٩	%٦٥			
١٣	أوغندا: **Uganda**	٢٨,٨١٦	%٣٦			



خامساً: دول جنوب أفريقيا: Part 5: Southern Afrian:

م	اسم الدولة State	عدد السكان بالمليون	نسبة المسلمين	نسبة المسيحية	نسبة الوثنية	نسب أخرى
١	أنغولا: Angola	١٥,٩٤١	%٢٠			
٢	بوتسوانا: Botswana	٢,٩١٢	%٥			
٣	ليسوتو: Lesoto	٢,٣٢١	%١٠			
٤	مالاوي: Malawi	١٢,٨٨٤	%٣٥			
٥	موتشيوس: Maurituis	٢,٥٩١	%١٩			
٦	موزمبيق: Mozambique	١٩,٧٩٢	%٢٩			
٧	ناميبيا: Namibia	٢,٠٣١	%٥			
٨	جنوب أفريقيا: South Africa	٤٧,٤٣٢	%٥			
٩	سوازيلاند: Swaziland	١,١٣٢	%١٠			
١٠	زيمبابوي: Zimbabwe	١٣,٣١٠	%١٥			
١١	زامبيا: Zambia	١١,٦٦٨	%١٥			

انظر مصدر هذا التقسيم:

African statistical year Book of 2004 Volume 11. United Nations. New York.

انظر مصدر التعداد:

UnitED NATIONS Department of Economic and social afairs 2006- 2007

www.Unpopulation.org

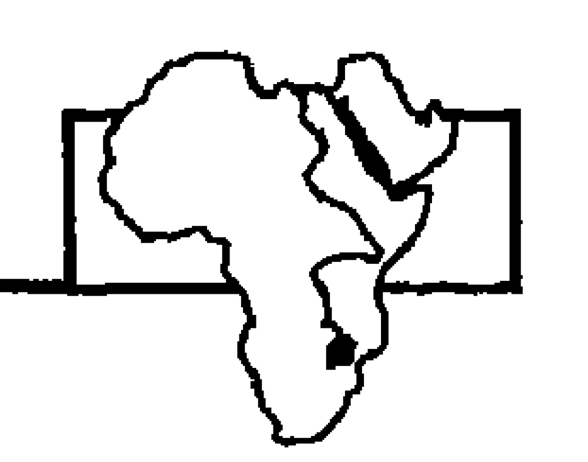
الملحق رقم (٢)

الجزر الأفريقية: *The African Islands*

وهي الجزر التابعة للقارة الأفريقية وتعد من الدول الأفريقية وتقع هذه الجزر في غرب غرب أفريقيا وجنوبها في المحيط الأطلنطي وفي جنوب شرق أفريقيا في المحيط الهندي.

اسم الجزيرة *The Name*	مساحة *Area*	عدد السكان *pop*	الموقع من القارة
مدغشقر	٥٨٧,٠٤١	١٨,٠ مليون	جنوب شرق أفريقيا، وتبعد عن القارة بـــ٤٠٠ كم في المحيط الهندي
جزر موريشيوس	٢٠٤٠كم٢	٢,٥٩١ مليون	جنوب شرق أفريقيا المحيط الهندي
جزر القمر (٤) جزر	١,٨٦٢ كم٢	٧٩٨,٤٩٠ ألف	جنوب شرق أفريقيا (المحيط الهندي)
جزر رينون	٢٥١٧كم٢	٧٨٥,٤٢٠ ألف	جنوب شرق أفريقيا (المحيط الهندي)
جزر الأخضر (١٠١) جزر	٤٠٣٣كم٢	٨٠,٥٠٧ ألف	غرب أفريقيا (المحيط الأطلنطي)
جزر ماديرا	٧٩٧كم٢	٣٠٠,٣٢١ ألف	شمال غرب غرب أفريقيا (م. الأطلنطي)
جزر ساوتومي بريسيت	٠,٩٦٤كم٢	١٥٧,٢١٠ ألف	جنوب غرب غرب أفريقيا (م. الأطلنطي)
جزر كناريا	٧,٢٤٢كم٢	٢,١٥٢ مليون	شمال غرب غرب أفريقيا (م. الأطلنطي)
جزيرة أدنونون	٢,٥٢٩	٢٢,٢٢١ ألف	جنوب غرب غرب أفريقيا (م. الأطلنطي)
جزر آصور		٤٣٠,٠٥٢ألف	أقصى شمال غرب أفريقيا (م. الأطلنطي)

١- ملحوظة: جزيرة زنجبار وهي جزيرة في جنوب شرق أفريقيا في المحيط



الهندي تابع لدولة تنزانيا المتحدة.

٢- ملحوظة: يبلغ مجموع عدد سكان هذه الجزر ٨,١٨٩٧٨ مليون نسمة ويمثل المسلمون فيها حوالي ٣٥%.

مصدر الجزر (كتاب المعلومات الدولية: مكتب الآفاق المتحدة، الرياض السعودية (ط١، ٩٧/١٩٩٨م) عمارة الدهلوي، طرق ... النهضة العليا، فاكس: ٤٦٣٢٥٢٩ (٠١) الرياض.

٢- كتاب المجتمع الإسلامي المعاصرة (ب) أفريقيا، ط١، ١٤١٥ هـ-١٩٩٥م. دار الوفاء للمطالعة والنشر والتوزيع المنصورة ج. مصر العربية.

الملحق رقم (٣)

انتشار الإسلام في القارة الأفريقية وتوزيع نسب المسلمين في مختلف مناطقها ودولها

أولاً: الدول ذات النسبة الإسلامية ١٠٠% وعددها أربع دول وهي:

١- ليبيا ٢- موريتانيا ٣- الصومال ٤- الصحراء الغربية

ثانيًا: الدول ذات النسبة من ٩٠-١٠٠% وعددها ١٠ وهي:

١- مصر ٢- تونس ٣- المغرب ٤- الجزائر ٥- النيجر ٦- السنغال ٧- غامبيا ٨- مالي ٩- غينيا كوناكري ١٠- جيبوتي

ثالثًا: الدول ذات النسبة من ٨٠-٩٠% وعددها ٤ دول وهي:

١- جزر القمر ٢- السودان ٣- تشاد ٤- إريتريا

رابعًا: الدول ذات النسبة من ٧٠-٨٠% وعددها ٢ دول وهي:

١- نيجيريا ٢- غينيا بساو

خامسًا: الدول ذات النسبة من ٦٠-٧٠% وعددها ٤ دول وهي:

١- السيراليون ٢- تنزانيا ٣- كوت ديفوار ٤- أثيوبيا

سادسًا: الدول ذات النسبة من ٣٠-٤٠% وعددها ٤ دول وهي:

١- غانا ٢- أوغندا ٣- ملاوي ٤- ليبيريا.

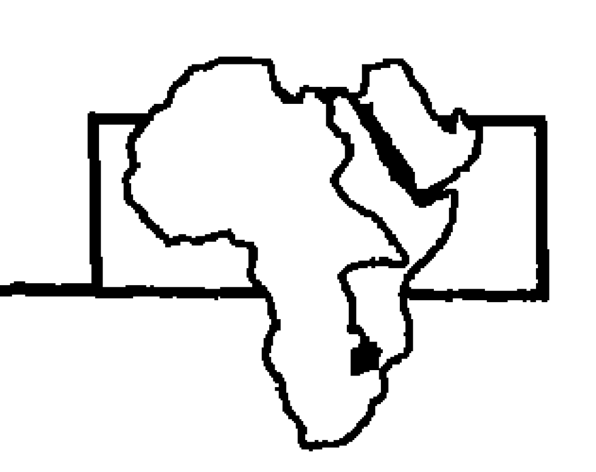
سابعًا: الدول ذات النسبة ٢٠-٣٠% وعددها ٦ دول وهي:

١- كينيا ٢- موزمبيق ٣- أنجولا ٤- غينيا الاستوائية ٥- بروندي ٦- مدغشقر.

ثامنًا: الدول ذات النسبة من ١٠-٢٠% وعددها ٨ وهي:

١- مورتشيوس ٢- الكنغو برازفيل ٣- الكنغو الديمقراطية ٤- زامبيا ٥- زيمبابوي.

٦- بنين ٧- سوازيلاند ٨- ليسوتو.



تاسعًا: الدول ذات النسبة من ٥-١٠% وعددها ٥ دول وهي:

١- بوتسوانا ٢- جنوب أفريقيا ٣- ناميبيا ٤- جابون ٥- رواندا.

(١) مصدر هذا التوزيع: انظر د.، حورية مجاهد: الإسلام في أفريقيا وواقع المسيحية والديانة التقليدية. (القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ٢٠٠٢) ص١٦.

وأيضًا راجع نفس المرجع لمعرفة أسباب هذا التوزيع والأشكاليات الإحصائية لندوة النسب.

الملحق رقم (٤)

بعض المؤشرات الإحصائية

من الإحصائيات الجديدة ٢٠٠٠-٢٠٠٧

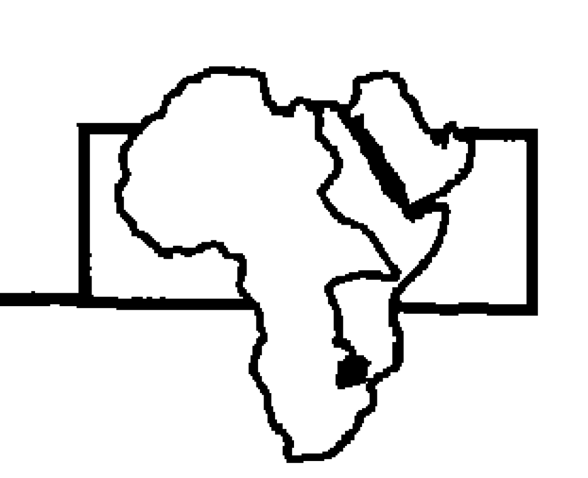
المؤشر الأول: أن مركز ثقل الإسلام يوجد في شمال القارة وغربها، وليس في شرقها، على الرغم من أن شرقها أقرب للأراضي المقدسة في الجزيرة العربية منبع الإسلام، حيث كان من المنطقي أن يكون الإسلام أكثر انتشارًا في القرب الجغرافي النسبي وللعلاقات التجارية القديمة.

المؤشر الثاني: أن مركز ثقل الإسلام في الشرق وجنوب الشرق يوجد في جيبوتي والصومال وجزر القمر وجزيرة زنجبار حيث تصل نسبة الإسلام بها ٩٩% و١٠٠% فبالرغم من أن الحبشة (أثيوبيا) تعد أول أرض يصلها الإسلام بعد مكة المكرمة فإن الإسلام بها يتراوح بين ٥٠و ٦٠% ولكن مسلميها يفتخرون بذلك وبالإسلام إلى اليوم.

المؤشر الثالث: أن الإسلام يتمركز أيضًا في وسط أفريقيا نسبيًا ولكن كلما اتجهنا نحو جنوب القارة انطلاقاً من الكنغو الديمقراطية والكنغو برازفيل وأوغندا إلى أقصى جنوب أفريقيا يتضاءل الوجود الإسلامي حتى وصلت نسبة انتشاره إلى أقل من ١٠%.

المؤشر الرابع: وهو الأهم أن المناطق الأفريقية التي يتمركز فيها الإسلام بكثافة يقل انتشار مرض الإيدز بها من المناطق التي يتضاءل فيها الإسلام.

فانتشار هذا المرض المميت أقل بكثير في مناطق شمال أفريقيا ثم يزيد قليلاً في غرب أفريقيا وشرقها ووسطها ويتمركز انتشار مرض الإيدز بكثافة في مناطق جنوب القارة والتي وصلت الأضرار المرض بها إلى حد الكارثة كما ذكر رؤساء بعض دولها، مثل جنوب أفريقيا وكينيا وروانda وبتسوانا وليسوتو.



والكنغو الديمقراطية وزيمبابوي وزامبيا وموزمبيق إلخ انظر هذا الاعتراف في ص١٦٨ من الفصل السابع من الكتاب.

وللمعلومات عن أحدث خارطة توزيع المرض الإيدز في القارة الأفريقية وأسباب هذا التوزيع حتى عام ٢٠٠٧، يمكن زيارة الموقع التالي: وهي موقع منظمة الصحة العالمية.

1) http://www.who.sci.eg.

2) Emro@who.sci.eg

المراجـــع

١- **أ.د أحمد شلبي**، موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة، الجزء السادس، الخاص بالإسلام والدول الإسلامية جنوب صحراء أفريقيا، منذ دخلها الإسلام إلى الآن، تاريخ كامل لجميع الإمبراطوريات الإفريقية (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية ط٤، ١٩٨٣م).

٢- **أحمد طاهر**، أفريقيا، فصول من الماضي والحاضر، (القاهرة: دار المعارف ١٩٧٩م).

٣- **أحمد سيكوتوري**، الإسلام دين الجماعة، ترجمة: محمد البخاري (الكويت: شركة الشايع للنشر والتوزيع، ١٩٧٧م).

٤- **أحمد سيكوتوري**، الثورة والدين، ترجمة: محمد البخاري (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٨م).

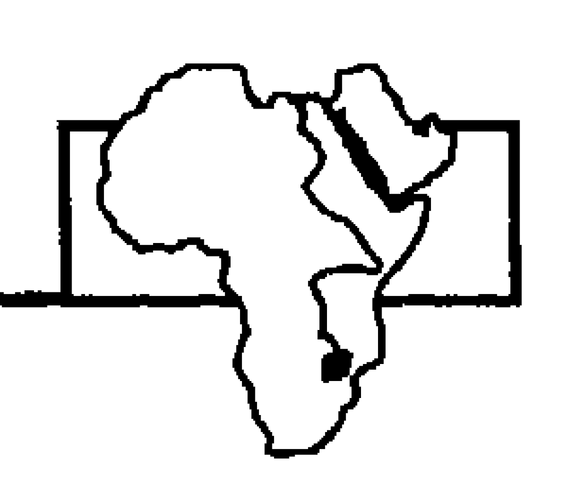
٥- **أحمد سيكوتوري**، الثورة الثقافية ووحدة الشعوب الإفريقية (كوناكري: مجلة الحزب يونية ١٩٧٥).

٦- **أحمد سويلم العمري**، الإفريقيون والعرب (القاهرة: الأنجلو المصرية ١٩٦٧م).

٧- **أورينوا دالارا نشأة التيار الإفريكاني**، الجزور الكاريبي والأمريكية والإفريقية في القرن التاسع عشر ترجمة: هيثم اللمع: (مصراته: الدار الجماهرية للنشر والتوزيع والإعلان ٢٠٠١).

٨- **أحمد إبراهيم محمود**، العلاقات العربية الإفريقية في بيئة دولية متغيرة، في التعاون العربي الإفريقي: (مالطا: مركز دراسات العالم الإسلامي، ١٩٩٢م).

٩- **إبراهيم علي طرخان**، إمبراطورية غانة الإسلامية (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٠م).



١٠- **إبراهيم علي طرخان**، دولة مالي الإسلامية (القاهرة الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٣م).

١١- **إبراهيم علي طرخان**، إمبراطورية البرنو الإسلامية (القاهرة: الهيئة العامة للكتاب ١٩٧٥م.

١٢- **أحمد محمد كاني**، الجاليات العربية الإسلامية في غرب أفريقيا: ماضيها وحاضرها ومستقبلها، في التعاون العربي الإفريقي (مالطا: مركز دراسات العالم الإسلامي ١٩٩٢م).

١٣- **إجلال رأفت**، الدور السياسي للإسلام في السنغال: دراسة تحليلية للطريقة المريدية، سلسلة بحوث سياسية رقم ٢٩، (مركز البحوث والدراسات السياسية، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة ١٩٨٩).

١٤- **إدوارد غالي الزغبي**، معاملة غير المسلمين في المجتمع الإسلامي (القاهرة: مكتبة غريب ١٩٩٣م).

١٥- **بادي أونيمو**، أفريقيا الطريق الآخر: البديل الإفريقي البرنامج المواءمة الهكلية، ترجمة: بهجة عبد الفتاح عبده (القاهرة: الهيئة العامة للكتاب ١٩٩٥م).

١٦- بانيكا: **مادهو بانيكا**، الوثنية والإسلام، تاريخ الإمبراطوريات الزنجية في غرب أفريقيا (دار النشر الهندية، ط٢، ١٩٨٠م).

١٧- **جمال زكريا قاسم**، الأصول التاريخية للعلاقات العربية الإفريقية (القاهرة: دار الفكر العربي ١٤١٦هـ-١٩٩٦م).

١٨- **جمال زكريا قاسم**، الروابط العربية الإفريقية قبل حركة الكشوف الجغرافية وبدء حركة الاستعمار الأوروبي في القرن الخامس عشرة في (مجلد العلاقات العربية الإفريقية، دراسة شخصية للآثار السلبية للاستعمار (القاهرة:

معهد البحوث والدراسات العربية ١٩٧٧م).

١٩- **جمال حمدان**، استراتيجية الاستعمار والتحرير: (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٩م).

٢٠- **جمال عبد الهادي محمد سعود، ووفاء رفعت جمعة**، أخطاء يجب أن تصحح في التاريخ: أفريقيا التي يراد لها أن تموت جوعًا، (المنصورة: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع: ١٤٠٧هـ-١٩٨٦م).

٢١- **جمال عبد الهادي**، المجتمع الإسلامي المعاصر، ب أفريقيا (القاهرة: دار التوزيع والنشر الإسلامية، ط١ ١٤١٥هـ-١٩٩٥م).

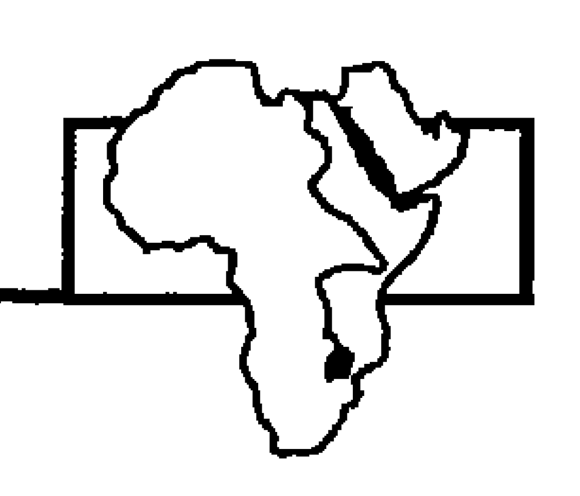
٢٢- **جوان جوزيف**، الإسلام في ممالك وإمبراطوريات أفريقيا السوداء (القاهرة: بيروت، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني ١٩٨٤م).

٢٣- **جوزيف كي زربو**، تاريخ أفريقيا السوداء، ترجمة: يوسف شلبي الشامي: وزارة الثقافة السورية، دمشق ١٩٩٤) ترجمة: عقيل الشيخ حسين (مصراته: الدار الجماهيرية لليبية للنشر والتوزيع والإعلان ٢٠٠١).

٢٤- **جورج المصري**، العمل المشترك الإفريقي العربي، التاريخ والمستقبل، في التعاون العربي الإفريقي: الواقع الراهن وآفاق المستقبل (مالطا: مركز دراسات العالم الإسلامي ١٩٩٢م.

٢٥- **حسين إبراهيم حس**، انتشار الإسلام والعروبة فيما يلي الصحراء الكبرى، شرقي القارة الإفريقية وغربها: القاهرة معهد البحوث والدراسات العربية ١٩٥٧م).

٢٦- **حسن عيسى عبد الظاهر**، الدعوة الإسلامية في غرب إفريقية وقيام دولة الفولاني. (القاهرة: الزهراء للإعلان العربي ط١، ١٤١٢هـ-١٩٩١م).



٢٧- **حورية توفيق مجاهد**، الإسلام في أفريقيا، وواقع المسيحية والديانة التقليدية. (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية ط١، ٢٠٠٢).

٢٨- **حسين مؤنس**، الحضارة. (الكويت: عالم المعرفة، العدد ١٣٧، جمادى الأول ١٤١٩هـ سبتمبر ١٩٩٨).

٢٩-**حسين شعلان**، غانا ومواجهة الثورة المضادة في أفريقيا. في مجلة الطليعة، طريق المناضلين إلى الفكر الثوري المعاصر، العدد ٤ إبريل ١٩٦٦ (القاهرة: مؤسسة الأهرام ١٩٦٦).

٣٠- **الحافظ أبي الفداء إسماعيل بن كثير البداية والنهاية**، الجزء الثالث من المجلد الثاني (القاهرة: دار التقوى ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م).

٣١- **الخضر بن عبد الباقي محمد**، صورة العرب لدى الأفارقة: دراسة مسحية في حالة نيجيريا. رسالة دكتوراه غير منشورة (القاهرة: معهد البحوث والدراسات العربية ٢٠٠٥م).

٣٢- **خليفة شاطر**، الاستعمار الفرنسي والثقافة العربية في شمال أفريقيا، في العلاقات العربية الإفريقية، دراسة تاريخية للآثار السلبية للاستعمار. (القاهرة: معهد البحوث والدراسات العربية ١٩٧٧).

٣٣- **ديالو مامادو هادي**، المعالجة الصحفية المصرية للقضايا الإفريقية: دراسة مقارنة بين جريدتي الأهرام اليوم والأهرام أبادو الصادرة بالفرنسية، رسالة الماجستير غير منشورة (القاهرة: معهد البحوث والدراسات العربية ٢٠٠٥).

٣٤-**رجب محمد عبد الحليم**، تاريخ المسلمين في أفريقيا جنوب الصحراء في موسوعة سفير للتاريخ الإسلامي، الجزء التاسع (القاهرة: مؤسسة سفير ١٩٩٦).

٣٥- **روجيه جارودي**، الإسلام والقرن الواحد والعشرون: شروط نهضة المسلين، ترجمة: د/ كمال جاد الله. (القاهرة: دار الجليل للكتب والنشر ١٩٩٧).

٣٦- **شوقي الجمل**، تاريخ كشف أفريقيا واستعمارها (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ط٨، ١٩٨٠م).

٣٧-**صلاح صبري**، أفريقيا وراء الصحراء (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٦٠م).

٣٨- **رجاء إبراهيم سليم**، التبادل الطلابي بين مصر والدول الإفريقية، رسالة دكتوراه منشورة (القاهرة: مركز البحوث والدراسات السياسية، جامعة القاهرة: ١٩٨٩).

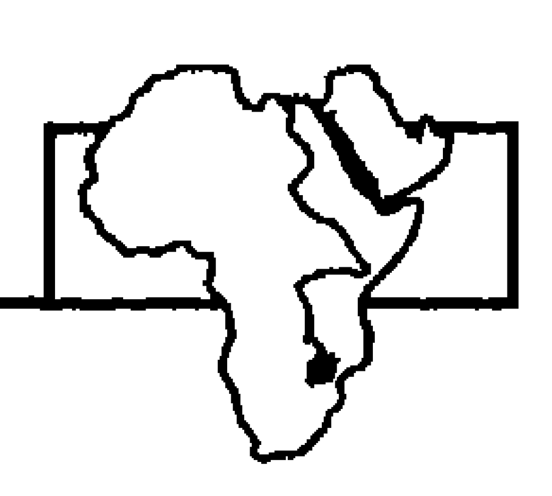
٣٩- **عبد الله عبد الرازق إبراهيم**، الإسلام والحضارة الإسلامية في نيجيريا (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٨٤م).

٤٠- **عبد الله عبد الرازق إبراهيم**، المسلمون والاستعمار الأوروبي لأفريقيا. (الكويت: عالم المعرفة، العدد ١٣٩ ذو القعدة ١٤٠٩هـ يوليو ١٩٨٩م).

٤١- **عبد الله صالح سانا**، مدخل لقضايا المسلمين في غرب أفريقيا (القاهرة: دار القارئ العربي ط١، ١٩٩١).

٤٢- **عثمان برايما باري**، جذور الحضارة الإسلامية في الغرب الإفريقي (القاهرة: دار الأمين للطبع والنشر، والتوزيع، ط١، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م).

٤٣- **عبد القادر محمد سيلا**، المسلمون في السنغال: معالم الحاضر وآفاق المستقبل (الدوحة: كتاب الأمة، العدد ١٤، شوال ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م).



٤٤- **علي مزروعي**، قضايا فكرية، أفريقيا والإسلام والغرب، ترجمة: د/ صبحي منصور، وغيره، (القاهرة: مركز دراسات المستقبل الإفريقي ١٩٨٨م).

٤٥- **عبد الرحمن الصالحي**، الاتحاد الإفريقي كمنظمة إقليمية، بين الأمل والحذر، في الاتحاد الإفريقي ومستقبل القارة الإفريقية (القاهرة: معهد البحوث والدراسات الإفريقية ٢٠٠١).

٤٦- **عبد الفتاح مقلة الغنيمي**، حركة المد الإسلامي في أفريقيا (القاهرة: عالم الكتب ١٩٩٢م).

٤٧- **عبد القادر زبادية**، التأثير الفرنسي على القوى الإسلامية في غرب أفريقيا. في العلاقات العربية الإفريقية. (القاهرة: معهد البحوث والدراسات العربية ١٩٧٧م).

٤٨- **عبد الله واد**، (رئيس الدولة السنغال الحالي ٢٠٠٧) محاضرات في التعاون العربي الإفريقي (الخرطوم ١٩٨٧).

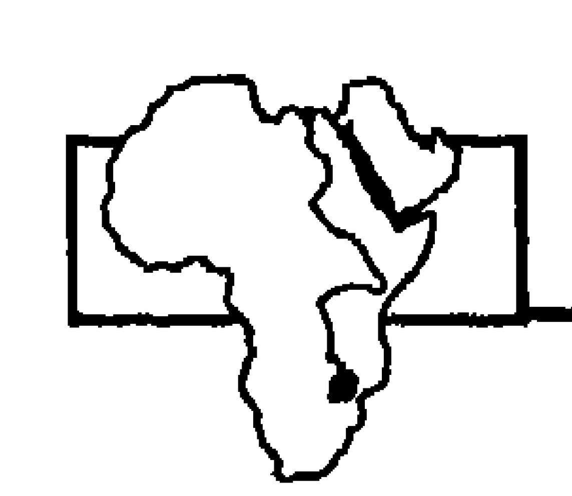
٤٩- **محمد عبد الغني سعودي**، أفريقيا دراسة شخصية الأقاليم. (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية: بدون تاريخ).

٥٠- **محمد عبد الغني سعودي**، قضايا إفريقية (الكويت: عالم المعرفة، العدد ٣٤ ذي القعدة وذي الحجة ١٤٠٠هـ-أكتوبر ١٩٨٠م).

٥١- **محمد عبد الغني سعودي**، الوطن العربي، بترول العرب. (القاهرة: معهد البحوث والدراسات الإفريقية ١٩٨٤م).

٥٢- **محمد عبد الغني سعودي**، العلاقات العربية الإفريقية: دراسة تحليلية في أبعادها. (القاهرة: معهد البحوث والدراسات العربية ١٩٧٨).

٥٣- **محمد عبد الحليم وآخرون**، الموسوعة الإفريقية: لمحات من تاريخ القارة الإفريقية: (القاهرة: معهد البحوث والدراسات الإفريقية ١٩٩٧م).



٥٤- **محمد عبد الفضيل وآخرون**، الاقتصاد العربي في مواجهة تحديات القرن الواحد والعشرين. (القاهرة: معهد البحوث والدراسات العربية ١٩٩٨).

٥٥- **محمد علي ضناوي**، الأقليات الإسلامية في العالم. (بيروت: مؤسسة الريان، للطباعة والنشر والتوزيع ١٤١٣هـ-١٩٩٢م).

٥٦- **شوقي الجمل وعبد الله عبد الرازق**، تاريخ أفريقيا الحديث والمعاصر (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٧٧).

٥٧- **المأمون بابا لامين كيتا**، قضايا إفريقية: التحديات الحالية والمستقبلية الجزء الأول (سفارة مالي بالقاهرة ١٩٩٣م).

٥٨- **عمر حسن كاسول**، الشباب الإفريقي المسلم والتحديات الثقافية، في تقرير المؤتمر الإسلامي لمشكلات الشباب. (القاهرة: المركز الدولي الإسلامي للدراسات والبحوث السكانية جامعة الأزهر ١٤٠١هـ-١٩٨١م).

٥٩- **كولين ماكيفيدي**، أطلس التاريخ الإفريقي، ترجمة: مختار السويفي (القاهرة: الهيئة العامة للكتاب ١٩٨٧).

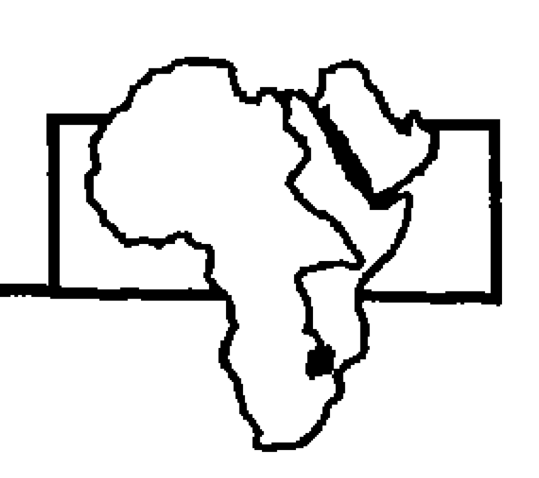
٦٠- **كوامي أنكروما**، الاستعمار الحديث، آخر مراحل الإمبريالية، ترجمة: عبد الحميد حمدي (القاهرة: دار للطباعة والنشر ١٩٦٦).

٦١- **ويدنر دونالد**، تاريخ أفريقيا جنوب الصحراء، ترجمة: راشد البراوي (القاهرة: مكتبة الوعي العربي ١٩٩٢م).

٦٢- **المارمول مرتجال**، أفريقيا، ترجمة: محمد صبحي وغيره (رباط: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ١٩٨٤).

٦٣- **كلود فوتيه**، أفريقيا للإفريقيين، ترجمة: أحمد كمال يونس (القاهرة: دار المعارف ١٩٧٨م).

٦٤- **تيريز هايتر**، صناعة الفقر العالمي، ترجمة: مجدي نصيف (القاهرة:



كتاب الأهالي رقم ٣٥ أغسطس ١٩٩١م).

٦٥- يوسف فضل حسن، الجزور التاريخية للعلاقات العربية الإفريقية في العرب وأفريقيا، بحوث ومناقشات للذروة الفكرية (بيروت مركز دراسات الوحدة العربية ١٩٨٧م).

٦٦- يونان لبيت، اللاتعريب في جنوب السودان، في العلاقات العربية الإفريقية (معهد البحوث والدراسات العربية ١٩٧٧م).

٦٧- شمس الدين أبي عبد الله محمد بن قيم جوزية، الداء والدواء (القاهرة: مكتبة الصفا ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م).

٦٨- التقرير الاستراتيجي الإفريقي ٢٠٠١-٢٠٠٢ (القاهرة: مركز البحوث الإفريقية، معهد البحوث والدراسات الإفريقية ٢٠٠٢).

٦٩- هـ دي كنتنون، حضارة فترة ما قبل أكسوم. في تاريخ أفريقيا العام، المجلد الثاني، حضارات أفريقيا القديمة (باريس: اليونسكو ١٩٩٧) (مترجم).

٧٠- فرنسيس انفري، حضارة أكسوم من القرن الأول إلى القرن السابع، في تاريخ أفريقيا العام، المجلد الثاني، (باريس: اليونسكو ١٩٩٧).

٧١- عبد العظيم الحجاوي، أفريقيا: الماضي والحاضر. في الثقافة العربية: الجماهيرية الليبية: ثقافة عربية أصلية وفكر إنساني متفتح، العدد ١/السنة السابعة والعشرين، يناير ١٩٩٩.

٧٢- طاهر محمد السنفاز، اتفاقية دول الساحل والصحراء ومستقبل أفريقيا، في مجلة الثقافة العربية. (الجماهيرية العربية الليبية، العدد ١/السنة ٢٧ يناير ١٩٩٩).

٧٣- تقرير مجلة الشاهد، عن أفريقيا، لعام ٢٠٠٤، وحدة الأمين

الأفريقي. في مجلة الشاهد العدد ٢٢٤. (قبرص: شركة الشاهد للنشر المحدودة، إبريل ٢٠٠٤).

٧٤- **أحمد حسن،** عرض للكتاب؛ خرافة التفوق الأمـــــــريكي *The Bubble of American Supermacy* لمؤلفه (جورج سوروس *George Soros*) في جريدة أخبار اليوم العدد ٣٠٩١، القاهرة: ٩ من ذي الحجة ١٤٢٤هـــ-٣١ يناير ٢٠٠٤.

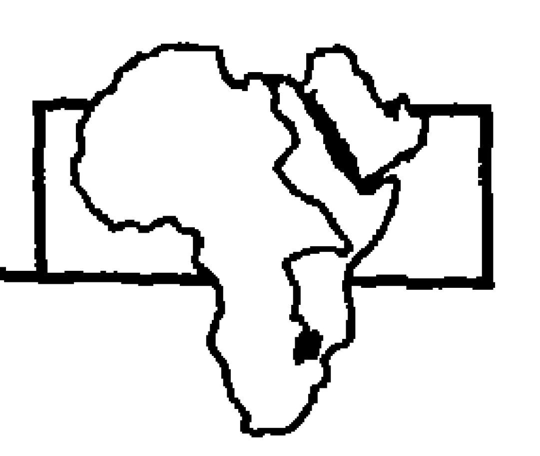
٧٥- **عرض لكتاب أمريكي،** السلالة الحاكمة في أمريكا: *American Dynasty* الارستقراطية المال وسياسة الخداع لمؤلفه: كيفين فيليب *Kevin Phillip* في جريدة أخبار اليوم، (القاهرة: العدد ٣٠٩٣ فبراير ٢٠٠٤).

٧٦- **نعيم قداح،** أفريقيا الغربية في ظل الإسلام. (الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط٢، ١٩٧٥).

٧٧- **عثمان صالح سي،** جغرافيا إريتريا. (بيروت: دار الكنوز الأوروبية، ١٩٨٣).

٧٨- **سيد عبد المجيد بكر،** الأقليات المسلمة في أفريقيا (جدة، هيئة الإغاثة الإسلامية، ١٤١٢هـــ).

٧٩- كتاب المعلومات الدولية. (الرياض: مكتب الآفاق المتحدة، ط ١، ١٩٩٧/١٩٩٨م) عمارة الدهلوي: طريق الملك فهد العليا. فاكس: ٤٦٣٢٥٢٩(٠١) السعودية).



1- ***Kwame Nkrumah,*** *New-colonialism (London: Panaf Books L.t.d. 1995).*

2- ***Kwame Nkrumah,*** *Africa must unite. (London: Panaf Books L.t.d. 1964).*

3- ***Kwame Nkrumah,*** *Handbook of Revolutionary warfare. (London: Panaf Books L.t.d. 1966).*

4- ***Kwame Nkrumah,*** *Revolutionary Path. (London: Panaf Books L.t.d. 1972).*

5- ***Roland Oliver,*** *and Other Editors, The Cambridge tncyclopedia Africa. (London Cambridge University press 1975).*

6- ***Regine Van Chi-Bonnardel,*** *ATLAS OF AFRICA. JEUNE AFRIQUE. (PARIS Agrigie d'Historie et la Geographie Universite de paris 1970).*

7- ***Dr. Kwame Nkrumah,*** *Africa must unite: in the New African No. 381 (London Junuary 2000).*

8- ***Moin Asiddiqi,*** *Brinking out of the Debt trap, in the New African No. 366. September 1998).*

9- ***Adebayo Adedeji,*** *Africa Development Crisis. in the African Guide (Africa Guide Company sabbrom World, England, 1978).*

10- ***Richard Sandbrook,*** *Economic Crisis structure Adjusment and the state, In the sub Saharan Africa in the IMF and the south the social impact of the Crisis (Dharam Ghai Geneva: UNRIS 1990).*

11- ***Al Venter,*** *Arm are pouring into Africa from every source. in the New African No. 370 January 1999.*



12- ***David Blair.*** *Tank Trobles. in the New African No. 372. March 1999. London).*

13- ***Francois Misser,*** *Belgium Finally sets up official al inquiry into Lumumbas muder 30 years affer the event. in the New African No. 382. February 2000.*

14- ***F. Misser. Lumumber,*** *Murder inqury began in the NA No. 386. 2000.*

15- ***Lumumber,*** *more revealation. in the NA No. 387 July/ Augest 2000.*

16- *Report from Brussel in the NSA No 392 January 2001.*

17- ***Lumumber,*** *the UN and American role NA No.382, 2000.*

18- *Mrs. Lumuba Speaks in the NA, No. 406, April 2002.*

19- ***June Milne,*** *How Nkrumah was lured to his end panaf Books London 1999.*

20- *How Nkrumah's dream to industrialized Ghana as a model for the whole of Africa was frustrated. in the NA. No. 404. February 2002.*

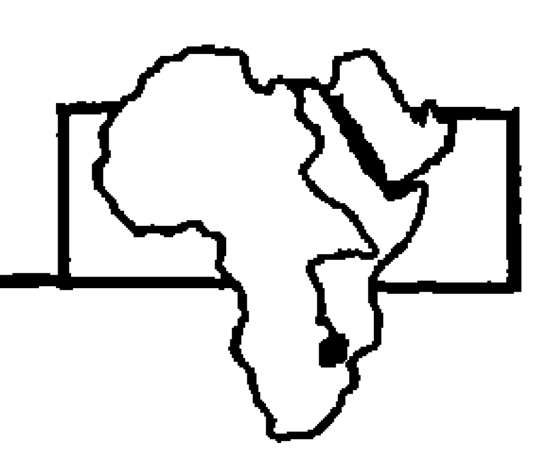
21- ***E. Ablorh Odjiddje,*** *the 24th February 1966 Coup that overthrew Nkrumah created a chain reaction that brought Ghana to the brink of a faild state in the NA No. 406 April 2002.*

22- ***Aidoo prince,*** *Who Killed Dr. Kwame Nkrumah? in the Ghanaian Weekly News, The independent Thursday No. 4 September .2003. Accra).*

23- *www.algthafi.org.algathafiyatahaddas.*

24- *http\\ www.African Union.hlm.*

25- *www.or.wiklpedia.org the main page 2006.*



26- www.project-syndicate.org.2006

27- General history of Africa Vol. 2, The Ancient African Civilzationas UNESCO. Paris 1992.

***28- J. Spencer Trimingham**. the influence of islam upon Africa. (Butter and Tammer L.t.d. London 1963).*

***29- Peter B. Clark,** West Africa and Islam (Edward A.C. Publich L.t.d. 14 Bedford sque London 1972).*

***30- Samir M. Zoghby,** Islam in Sub Saharan Africa. (Africa section in the Library of Congress. Washington 1978).*

***31- Pusch Commey,** African Union. in the NA. No. 410 September. London 2002.*

32- http\\ www.AfricanUnion.htm.

33- http\\ www. the institution of Eurpean Union.com

34- http\\ www.Eu.cort of justice.com the cort of justice and the life of European Cilizens.

35-http\\www. European. Euint/presentation/de/auten.htm.

***36- J. S. Trimingham,** The phases of Islam Expansion and Islamic cutur Zones in Africa. in I.M Lewis. Islam in Tropical Africa. Bloominglon and London International African Institute and Judiqwa Uni. Press 1980.*

37- All roads Leads to Durban in NA No. 408 June 2002.

***38- Omar Ben Yedder,** African Union So far So good in NA No. 421 Augest 2003.*

***39- Baffour Ankomah,** In time of peace preper for war in NA No. 410 September 2002.*

40- www.whenwruled.com

41- www.everygeneration.co.uk.

42- **Robin Walker,** *When we ruled. (Every generation Media London 2006).*

43- **Adam Hochschild.** *How the Church of Englan treated its slaves. the Britis struggle to Abolish slavery. (Houghton Mifflin Company. New York 2005 l/k Panaf Books London 2006).*

44- *Blak History month 2006, in NA No. 455 London 2006.*

45- *www.London.gov.uk.*

46- *www.blackscholar.net.*

47- *the 13th international Aids Confrence. Durban 9-14 July 2000. in NA No. 388 September 2000.*

48- *United Against Homosexuality. in NA No. 380 December 1999.*

49- *Africa South of the Sahara Regional Survey of the world 2000.*

50- *http://www.Islam-web.com/begum/population.htm.*

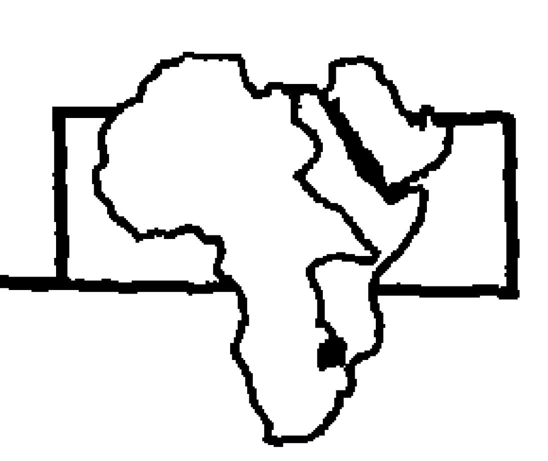
51- *Cia. http:// www.odci.gov.*

52- **W.S. Rycroft & M.M, Clemmer,** *A Factual Study of Sub-Saharan Africa. New York: Commission on Ecumenical. Mission on Relations. Office of Research. the united Pres by terian Church in the U.S.A. 1962.*

53- **Basil Davidson,** *Africa In History (London, Paladim Book Granada Publishing Lts, 194).*

54- **Hodgkin. T,** *Islam and National Movement in West Africa Cofrence on Africa History and Archeology. London. 1960.*

55- *Africa South of the Sahara, Regional Surveys of the World 2000 (Eueope Publication. Taylor and Francis Group).*



56- ***World Health Organization,*** *Global AIDS Surveiance. Gl Data 1998 (Regional Office For the Eastern Meditreanean Alexandria).*

57- *Unesco Statislical Year Book-2000.*

58- ***Mazrui,*** *The African Triple Heritage (London. BBC Publication And Boston Little Brown Press 1986).*

59- ***CMC Evedy,*** *The penguin Atlas of African History (Harmonds With Middlesex: (Penguin Borks 1980).*

60- ***Spenceer Trmingham,*** *Ahitory of Islam in Africa (London Oxford University Press 1962).*

61- ***Peter B. Clarke,*** *West Africa and Islam a study of Rillgion Development from the 18th to the 20th Century London Edward and Arnold Publication Ltd. 14-1982).*

62- ***Basil Davidson,*** *West African Before the Colonial Era A History to 1850 (Lond man Publication, New York 1988).*

63- ***Roland Oliver and Gervase,*** *History of Est Africa volume one Oxford University Press Ely House London. N.1 1963.*

64- ***Kevin Shillington,*** *a History of Africa (Macmilan Education Ltd London, 1995).*

65- ***Agrege D,*** *Histoire et Geographie JELINE AFRIOUE Regine VAN CHI Bonnardel. University de Paris.*

66- *African Statistical Year Book of 2004 Volume 10 United Nations. New York, 2004.*

67- ***J.F.A Ajayi and Micheal,*** *History of West Africa Volume 1 (London Longman Group Ltd. 1971-1976).*

68- ***J.D. Fage,*** *The History of Human Story. History of Africa. (New York. Alfrade A. Knopf. 1978).*

69- ***G.S.P. Freeman and Grenville*** *The New Atlas of African History. (Jerusalam, the Israel map and Publishining Company Ltd)*

70- ***Richard F,*** *Burtion First Footsteps in East Africa (London: Longman Brown Green 1965).*

71- ***Norman R. Benneh,*** *a History of the Arab state of Zanzibar. (London, Methuem and Colld 11 New Africa 1978).*

72- ***Mary Cath Cart Borer,*** *A Short History of Africa (London 1963).*

73- *http://www.elksad.com*

74- *www.hrinfo.net*

75- *www.islamemo.com*

76- *http://www.who.sci.eg*

77- *Emro@who.sci.eg*

78- *Marika Sherwood. After Abolition. Britain and slave trade since 1807. (london, I.B. Tauris 2007).*

79- *Baffour Ankomah: lies, lies, lies. In NA. NO 466. October 2007.*

80- *African Stlatisical year Booh of 2004 Volume II. United Nations. New york.*

81- *United Nations Department of Economic and social Affairs 2006-2007. www.unpopulation. org*

ومن أهم مصادر هذه الدراسة:

١) أبناء مسلمي أفريقيا في أقاليم جنوب الصحراء الدارسين في الجامعات والمعاهد الإسلامية والعربية في مختلف المستويات التعليمية. حيث ناقش الباحث أكثر من ٧٠٠ طالب وطالبة ومعظمهم في المراحل المتقدمة من التعليم الجامعي والدراسات العليا وبعضهم في المراحل الثانوية، حيث قضوا سنوات قرابة ٥-٨ سنوات في البلاد العربية وأما طلبة الدراسات العليا والخريجين منهم فهم ممن قضوا أكثر من ١٠-٢٠ سنة في البلاد العربية. وأما طلبة الأفارقة الذين استمع إليهم وهم يتحدثون في شأن العلاقات الأفريقية والعربية باللغات الأفريقية دون أن يتدخل في مناقشاقم فأكثر من ألفي طالب أفريقي. وكثيرًا ما يتحدثون ويناقشون هذه الأمور باللغة العربية في مجالسهم الخاصة الأمر الذي جعل رؤاهم في شأن العلاقات الأفريقية والعربية تعتبر تعبيرًا صادقًا بعيدًا عن المجاملة والتصنع.

٢) الأئمة الأفارقة الذين يحضرون برامج تدريب الأئمة في الأزهر وخاصة أئمة دول غرب أفريقيا حيث يقوم الباحث بزيارة كل فوج على حدة، ثم يدعوهم إلى مأدبة في مترله وهناك يتم مناقشة أحوال المسلمين في أفريقيا وعن رؤاهم في الدعوة في أفريقيا ومشكلاقما وكذلك رؤاهم في العرب وفي العلاقات العربية الأفريقية وعن الأمراض في أفريقيا ومختلف المواقف، لأن الأئمة في أفريقيا لديهم مكانة عظيمة في مجتمعات الإسلامية، لذلك تكون تعبيراقم معبرة عن الواقع الأفريقي.

الكتاب والمؤلف

الكتاب:

يدعو العرب والأفارقة، باعتبارهما بناة الحضارات الأفريقية إلى الوحدة في (الدول العربية والأفريقية المتحدة) من أجل إنقاذ السلام العالمي وحماية حقوق الإنسان.

ويعالج الكتاب هذه القضية من خلال المنظور التاريخي والمتغيرات العصرية الشائكة، حيث يبرز الظروف التاريخية والعصرية التي شكلت القاسم المشترك بين العالمين، العربي والأفريقي، في أنهما **أكثر الأمم تضرراً بفعل الحركات الاستعمارية القديمة والحديثة.**

ويرى المؤلف أن السبيل الوحيد لفكاكهما من قبضة جميع أشكال الاستعمار هو:
أن يتحد العالم العربي في (الدول العربية المتحدة) باعتباره قلب العالم الإسلامي.
وأن يتحد الأفارقة في (الاتحاد الأفريقي) باعتبارهم الحس الإنساني العالمي ينشدون العدالة ويكرهون الظلم من أجل أن يصبحا معاً قوة عالمية غير استعمارية لأداء الرسالة الإنسانية والحضارية، ولدعم التوازن في النظام الدولي الجديد.
وإلا فلن يحظى العرب والأفارقة باحترام العالمين فضلاً عن أنهما لن ينعما بالسلام والطمأنينة أبداً.

المؤلف في سطور:

ولد في غانا عام (١٩٥٨).

أتم تعلم القرآن في كتاتيب غانا وبوركينا فاسو. التحق بالمدارس الإسلامية في كل من غانا وكوت ديفوار ونال الشهادة الثانوية في العلوم الإسلامية واللغة العربية عام (١٩٧٧م) بمدرسة الانجليزية العربية في شمال غانا.

عمل مدرساً لتعليم المبادئ الإسلامية واللغة العربية وتحفيظ القرآن في المدارس الإسلامية في غانا وكوت ديفوار.

حصل على منحة أزهرية فالتحق بالثانوية الأزهرية بمصر عام (١٩٨٠م) ثم التحق بكلية التربية عام (١٩٨٢م) وحصل على الإجازة العالمية (ليسانس في التاريخ والتربية عام ١٩٨٥م).

حصل على دبلوم الدراسات العليا في التخطيط التربوي وسيكولوجية الطفولة بجامعة عين شمس عام (١٩٩٣م). كرس جل اهتمامه لقضايا المسلمين في أفريقيا وخاصة قضايا أبناء مسلمي أفريقيا الدارسين في الجامعات والمعاهد الإسلامية والعربية ومستقبلهم العلمي والمهني والعلاقات الأفريقية والعربية.



حاضر في عدة ندوات أقيمت لطلاب أفريقيا الدارسين في الجامعات والمعاهد المصرية والتي ينظمها الاتحاد العام لطلاب غرب أفريقيا.

تقلد منصب الأمين العام لرابطة أفريقيا المتحدة ونظم فيه عدة ندوات حول القضايا الأفريقية.

كتب عدة موضوعات في هذه القضايا منها:

- مدخل لقضايا المسلمين في غرب أفريقيا طبع في القاهرة عام ١٩٩١م.
- الشباب الأفريقي المسلم والبحث عن مقومات المشاركة في بناء مستقبل أفريقيا
- خطة مقترحة لإنتاج مواد تعليمية الإسلامية في الدول الأفريقية غير
- مراجعات للمتغيرات المؤثرة في الأفريقية (لم يطبع بعد)

هذه السلسلة المنشورة.

ISBN 977-17-5846-2

